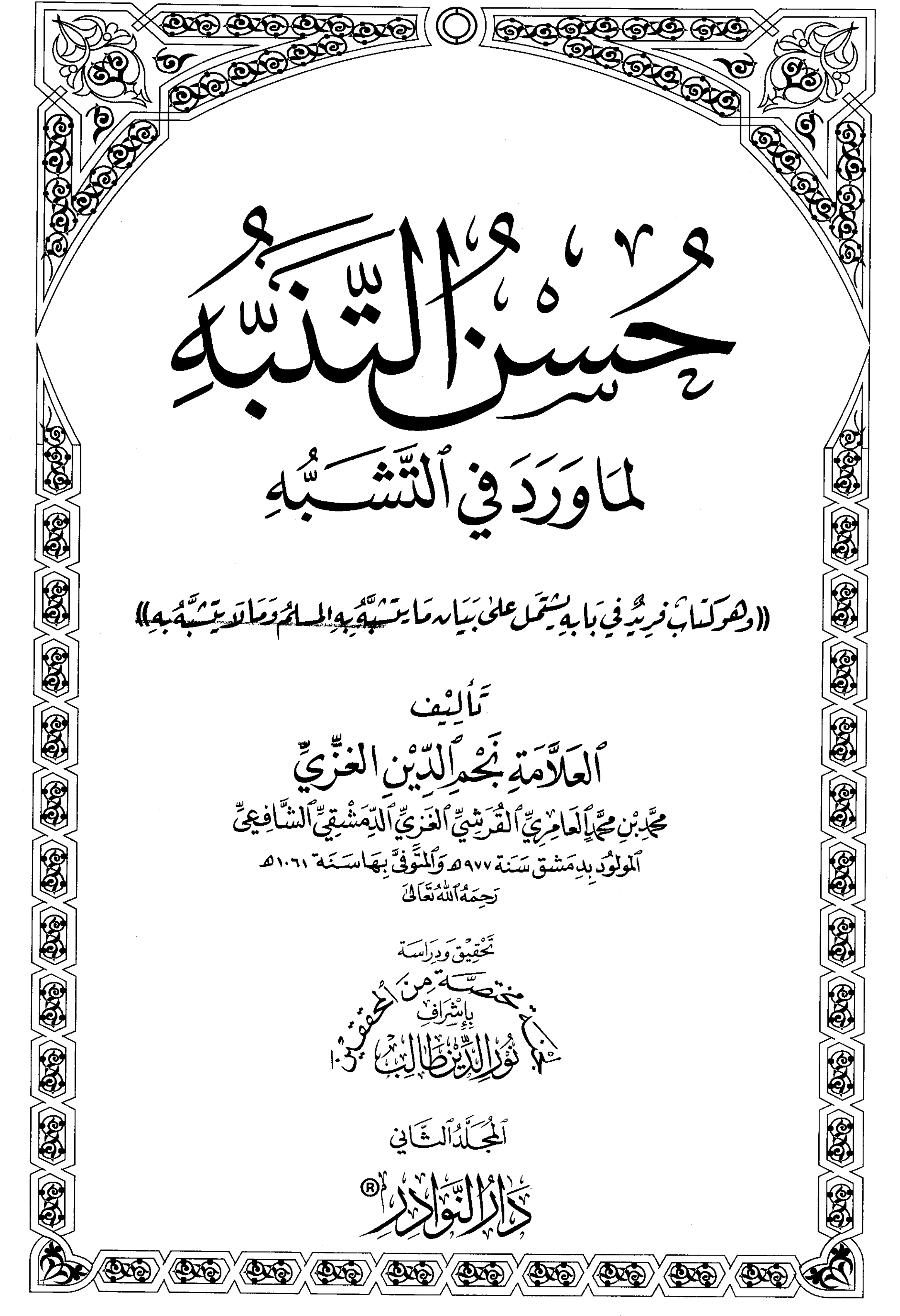


حسن التنبه
لما ورد في التشبه

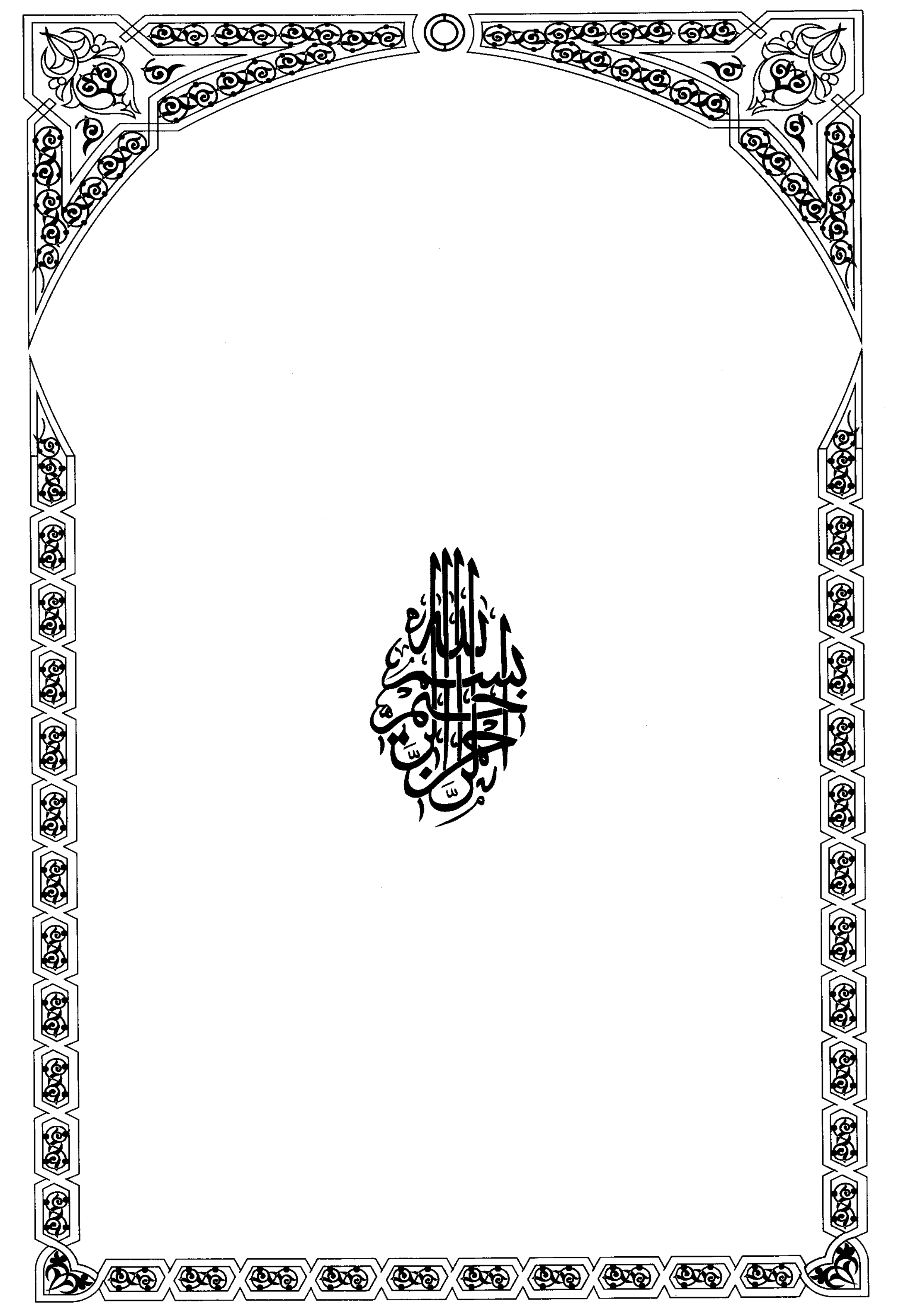
((وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به))

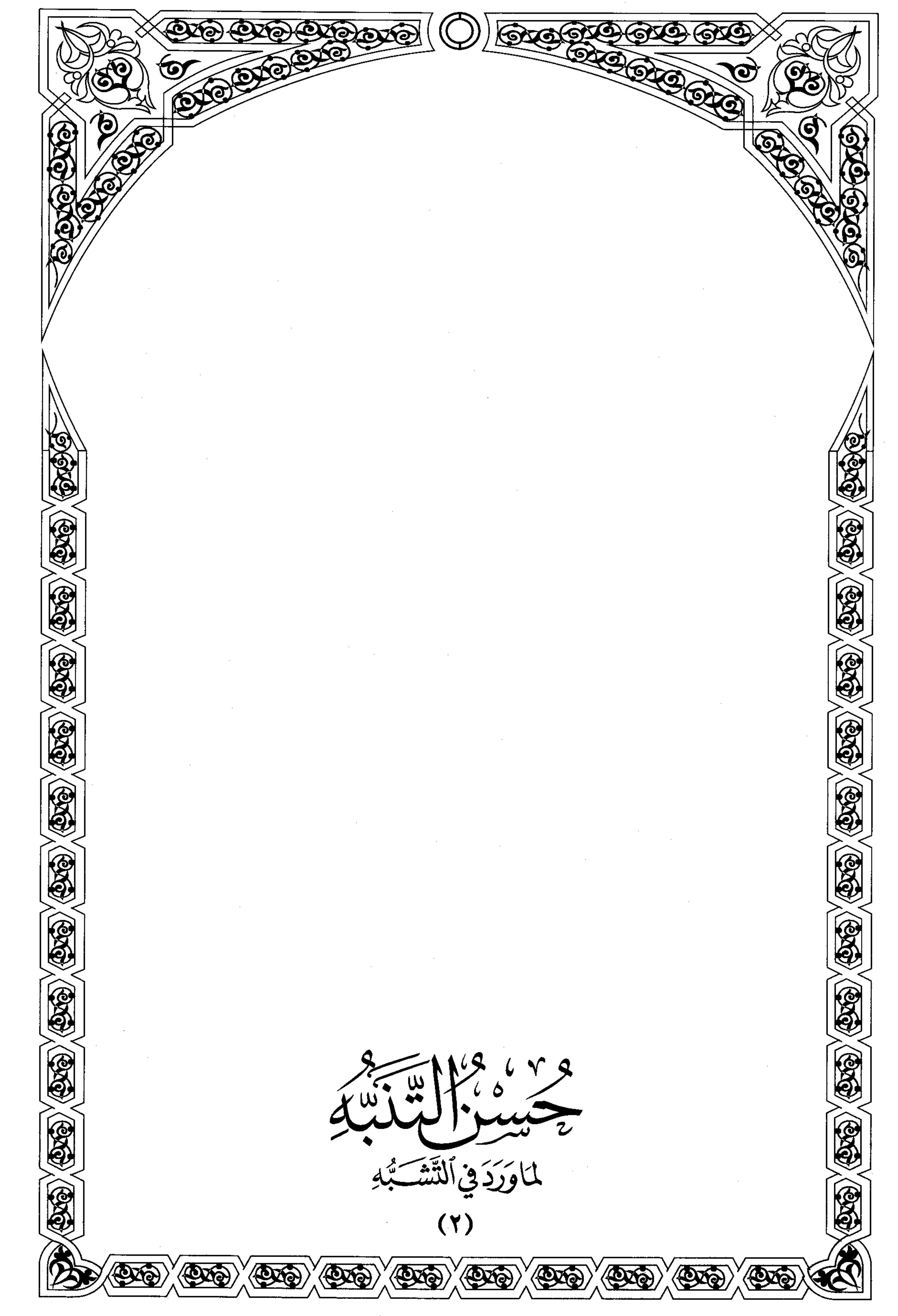
تأليف
العلامة نجم الدين الغزي
محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي
المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

المجلد الثاني

دار النوادر ®


بسم الله الرحمن الرحيم



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(٢)



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٧ - ٨٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ ISBN:

9789933418847

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسَة دَارِ النَّوَادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة ذ. م. م - الكُوَيْت

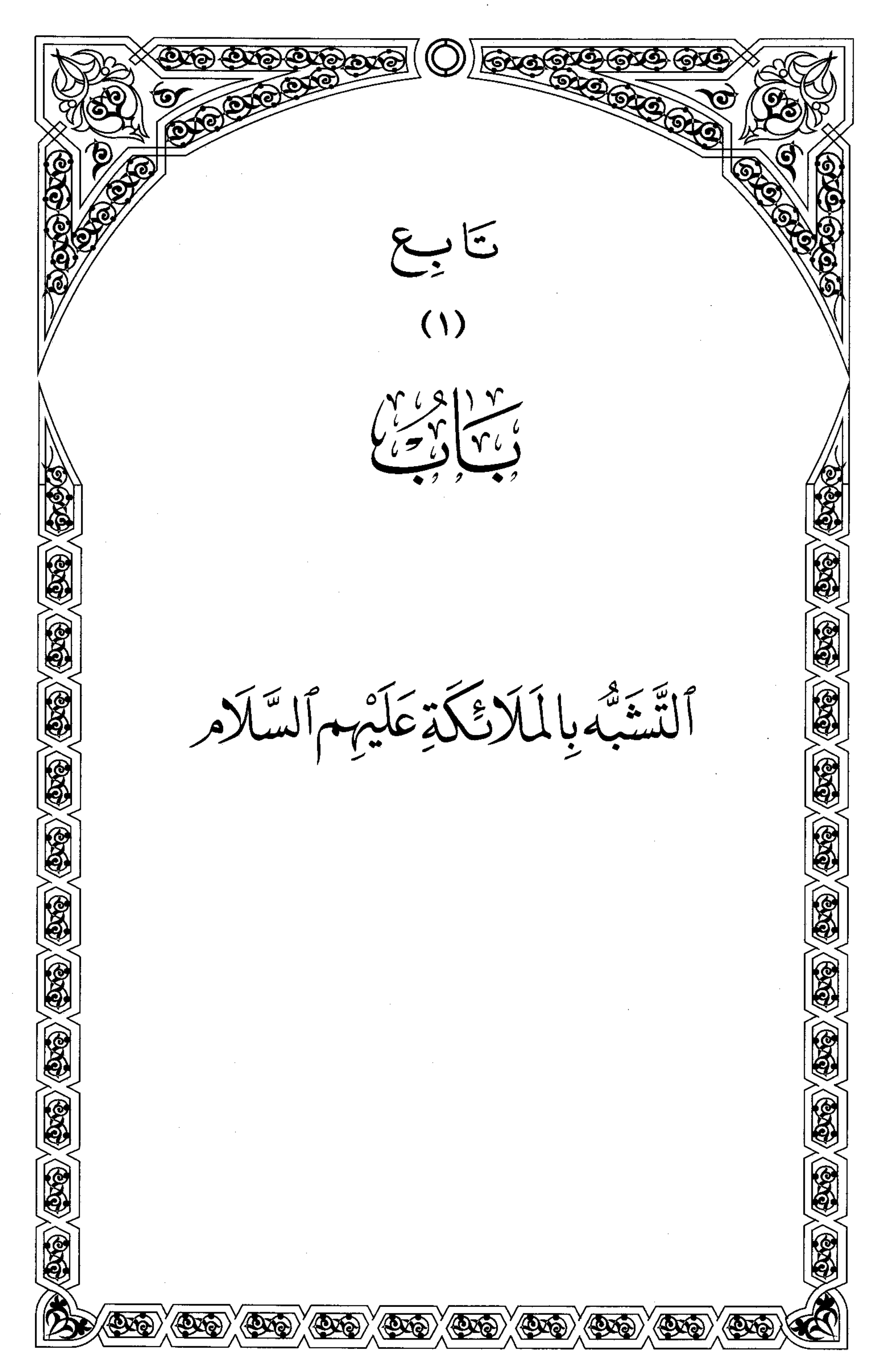
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي

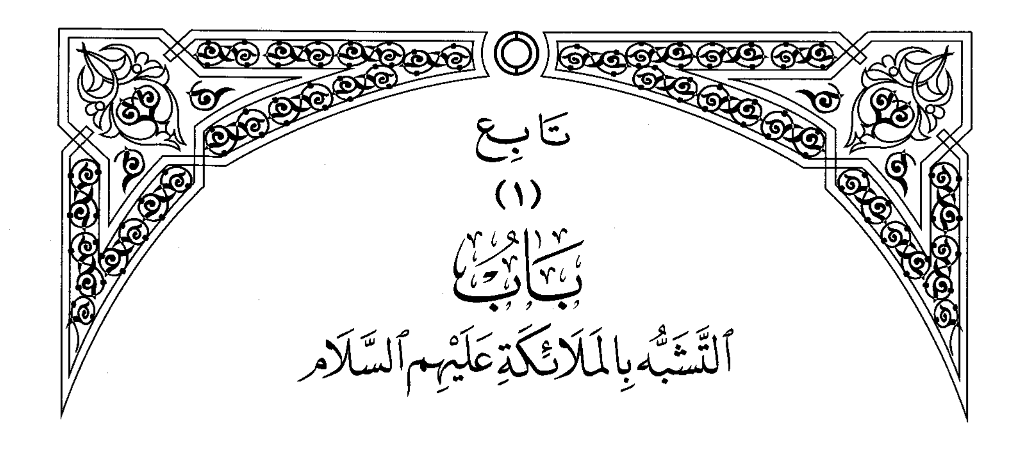


تابع

(١)

باب

التشبه بالملائكة عليهم السلام



ومن أخلاق الملائكة عليهم السلام:

١٤٠ ـ البكاء من خشية الله تعالى:

روى أبو الشيخ عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد قال: نظر الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام وهما يبكيان، فقال الله تعالى: «ما يبكيكما وقد علمتما أني لا أجور؟» فقالا: «يا رب! إنا لا نأمن مكرك»، قال: «هكذا فافعلا؛ فإنه لا يأمن مكري إلا كلُّ خاسر»(١).

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الرقة والبكاء» عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ مَلائِكَةً تُرْعَدُ فَرائِصُهُمْ مِنْ مَخافَتِهِ، ما مِنْهُمْ مَلَكٌ يَقْطُرُ دَمْعَةً مِنْ عَيْنِهِ إِلاَّ وَقَعَتْ مَلَكاً يُسَبِّحُ اللهَ، قال: وَلِلَّهِ ﷻ مَلائِكَةٌ سُجُوْدٌ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ لَمْ يَرْفَعُوْا رُؤُوْسَهُمْ، وَلا يَرْفَعُوْنَها إِلَىْ يَوْمِ الْقِيامَةِ، فَإِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ تَجَلَّىْ لَهُمُ اللهُ ﷻ فَنَظَرُوْا إِلَيْهِ تَبارَكَ

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨١٤).

وَتَعالَىْ فَقالُوْا: سُبْحانَكَ! ما عَبَدْناكَ كَما يَنْبَغِيْ لَكَ»[1].

وروى «فيه» عن زياد بن أبي حبيب قال: إن من حملة العرش من يسيل من عينيه أمثال الأنهار من البكاء، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك! ما نخشاك حق خشيتك، قال الله ﷻ: لكن الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك[2].

وروى «فيه» عن أبي عِمْرانَ الجَوني قال: بلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال لـه رسول الله ﷺ: «ما يُبْكِيْكَ؟» قال: «أو ما تبكي أنت يا محمد؟ ما جفت لي عين منذ خلق الله جهنم مخافة أغضبه فيلقيني فيها»[3].

وروى «فيه» عن يوسف بن يعقوب، ولقمان الحنفي قالا: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا عُرِجَ بِيْ وَكُنْتُ فِيْ السَّماءِ الرَّابِعَةِ سَمِعْتُ دَوِيَّاً، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيْلُ! ما هَذا الدَّوِيُّ الَّذِيْ أَسْمَعُ؟ قالَ: هَذا بُكاءُ الْكُرُوْبِيِّيْنَ عَلَى أَهْلِ الذُّنُوْبِ مِنْ أُمَّتِكَ»[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الرقة والبكـاء» (١٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٤).

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الرقة والبكاء» (٤١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٥٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النـار» (ص: ١٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٤١٣).

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما شَهِدَ الْمَلائِكَةُ مِنْ لَهْوِكُمْ إلاَّ الرِّهانَ وَالنِّضالَ»[1].

قال الأزهري، وغيره من أئمة اللغة:

النضال: يقال في المسابقة في الرمي بالسهام، ونحوها[2].

الرهان: في المسابقة على الخيل، ونحوها[3].

والسباق: يقال فيهما[4].

وإنما لم يشهدوا اللهو لأنه يلهي ويضحك، وحالهم الخوف والبكاء ـ كما علمت ـ؛ وإنما يشهدون السباق لأنه يعين على الجهاد، ولا يلزم من شهودهم إياه أن يلهوا ويضحكوا.

١٤١ ـ ومنها: الخضوع، والخشوع:

وهو في السمع والبصر كالخضوع في البدن، وأصلهما في القلب.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ بَلَغَ النبيَّ ﷺ ـ قال: «إذا قُضِيَ الأَمْرُ فِيْ السَّماءِ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها خُضْعاناً لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ»[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٧٤).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٩) (مادة: نضل).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ١٤٧) (مادة: رهن).

(٤) انظر: «تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (١/ ٢٢٥).

(٥) تقدم تخريجه.

والخضعان ـ بكسر الخاء المعجمة ـ: جمع خاضع.

وبضمها: المصدر.

وروى عبد بن حُميد عن مَيسرة قال: حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها[1].

قلت: فيه إشارة إلى أن الخوف على قدر القرب، فكلما كان العبد من الله أقرب كان منه أخوف، وقرب المقربين منه قرب المكانة والإكرام، لا قرب المكان؛ فَافْهَم.

١٤٢ ـ ومنها: التلطُّف بأهل الشَّام، وإرادة الخير لهم، ودفع السوء عنهم:

وهو معنى بسط أجنحة الملائكة عليها المشار إليه في حديث زيد ابن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: «طُوْبَىْ لِلشَّامِ؛ إِنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ باسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهِمْ». رواه الإمام أحمد، والترمذي وصححه هو، وابن حبان، والحاكم[2].

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٦) إلى عبد بن حميد.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٤)، والترمذي (٣٩٥٤) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٠٠).

١٤٣ ـ ومنها: حضور مجالس العلم:

وقد تقدم أن الملائكة يحفون بمجالس الذكر، ومجالس العلم أفضل مجالس الذكر، وتقدَّم أيضاً: أن الملائكة عليهم السَّلام «تضع أجنحتها لطالب العلم»[١]، وتوالي أهل العلم وتزورهم، وكل ذلك يدل على أنهم يحضرون مجالسهم.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن سيرين قال: دخلت فإذا حميد بن عبد الرحمن يذكر العلم، وإذا سعيد بن عبد الرحمن يقص في ناحية، فقلت: إلى أيهما أجلس؟ قال: فلم أقعد إلى واحد منهما، ووضعت رأسي إلى سارية فنمت، وأتاني آت في المنام، فقال لي: أَمْثَلْتَ بينهما؟ لئن شئت لأريتك مقعد جبريل عليه السلام من حميد بن عبد الرحمن؛ يعني: الحميدي[٢].

وقد قلت في فضل مجالس العلم، وحِلَقِهِ: [من الخفيف]

حِلَقُ الْعِلْمِ كَالرِّيَاضِ الْبَدِيْعَة
سَامِيَاتٌ عَلَى الرَّوابِي الرَّفِيْعَة
حَفَّ أَمْلاكُ رَبِّنَا بِحِماهَا
فَأَصاخَتْ إِلَى هُداها سَمِيْعة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ورواه الدارمي في «السنن» (٣٤١).

فَاحْتَــضِرْ فِـــيْ حَــضارِها إِنَّ عَبْــداً

يَجْتَبِــيْها لَفِـــي حُـــصُوْنٍ مَنِيْعَـــة

كَيْفَ لا وَهْـوَ فِـيْ حِمَـى الْمَـلأِ الأَعْـ

ـــلَىْ وَهُـــمْ خَيْـــرُ رِفْقَـــةٍ وَطَلِيْعَـــة

وَالَّـــذِيْ حــادَ عَـــنْ حِماهـــا وَوَلَّـــى

فَهْــــوَ وَاللهِ هَــــائِمٌ بِمَــــضِيْعة

خَــائِرٌ فــي مَهامِــهِ الْجَهْــلِ يَــسْعَى

كُلَّمــــا أَبْــصَر الـــسَّراب بِقِيْعـــة

فَـــإِذا جــاءَ لَـــمْ يَجِــدْهُ بِــشَيْءٍ

بَـــلَ مِـــنْ بَـــرْدِهِ الظَّمـــا بِنَقِيْعَـــة

فَــالْزَمِ الْعِلْــمَ تَــأْمَنِ التِّيْــهَ وَالْحِيْـــ

ـــرَةَ مَهْمَــا لَزِمْــتَ حُكْــمَ الــشَّرِيْعَة

وَتَقَـــرَّ الْعُيُـــوْنُ مِنْـــكَ وَتَـــأْمَنْ

وَصْـــمَةَ الْبُعْــدِ وَالْجَفَـــا وَالْقَطِيْعَـــة

رَبِّ زِدْنِـــي بِمَحْــضِ فَــضْلِكَ عِلْمــاً

أَتَّخِـــذْهُ إِلَـــىْ رِضــــاكَ ذَرِيْعَـــة

وَأَبِحْنِـــيْ فَـــرَاغَ قَلْبِـــي وَخَلِّـــصْـ

ـــهُ لِمَـــا تَرْتَــضِيْهِ مِنِّـــي جَمِيْعَـــه

١٤٤ ـ ومنها: ختم المجالس بالتسبيح والتحميد:

وقد يستدل على أن ذلك من فعل الملائكة عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ فإن القائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هم الملائكة، أو أهل الجنة، على قولين للمفسرين.

وروى البغوي في «تفسيره» عن علي رضي الله تعالى عنه: أنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[1].

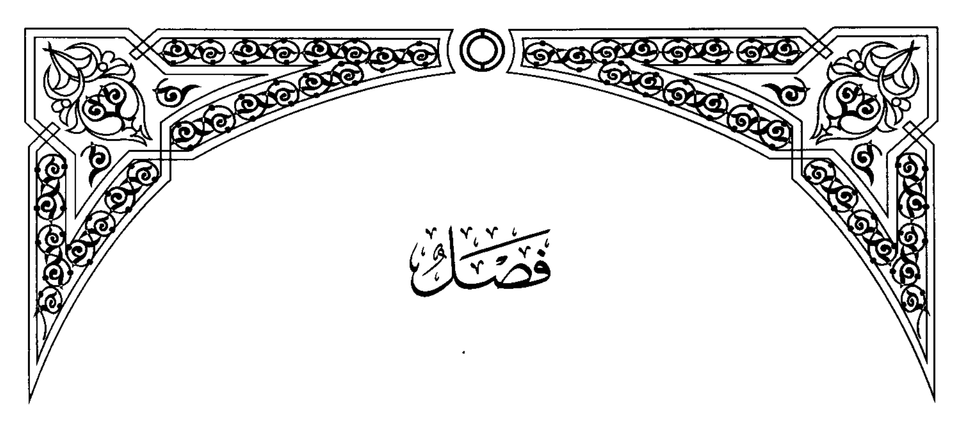
وروى ابن أبي حاتم عن الشَّعبي مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتالَ بِالْمِكْيالِ الأَوْفَىْ مِنَ الأَجْرِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَلْيَقُلْ فِيْ آخِرِ مَجْلِسِهِ حِيْنَ يُرِيْدُ أَنْ يَقُوْمَ: سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ، وَسَلامٌ عَلَىْ الْمُرْسَلِيْنَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِيْنَ»[2].

* * *

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٣٤).



فهذه جملة صالحة من أخلاق الملائكة عليهم السلام، وأعمالهم، وهي من أخلاق الأنبياء عليهم السلام أيضاً، فينبغي التشبه بهم فيها؛ فإن الطمع في أخلاقهم، واللحاق بهم من شأن العُبَّاد والصَّالحين، ولولا الطمع في الالتحاق بالملائكة عليهم السَّلام ما أكل آدم وحواء عليهما السَّلام من الشجرة، كما تقدم بيان ذلك أول الباب.

وقال القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠]: كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب، وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما ـ أيضاً ـ ما للملائكة من الكمالات الفطرية، والاستغناء عن الأطعمة والأشربة(١)، انتهى.

وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان قد يترقى في كمال الذات حتى يغلب عليه عالم الروح، ويلتحق بالملائكة.

قال الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السُّهْرَوردي رضي الله تعالى

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ١٢).

عنه في كتاب «آداب المريدين»: وأجمعوا أن العبد ينتقل في الأحوال حتَّى يصير إلى نعت الروحانيين، فتنطوي له الأرض، ويمشي على الماء، ويغيب عن الأبصار.

وقال جدي شيخ الإسلام الرضي الغزي في منظومته المسماة بـ: «الدرر اللوامع في الأصول»: [من الرجز]

وَالْعَبْدُ يَنْتَقِلُ[1] بِالإِحْسَانِ
إِلَىْ صِفَاتِ الْمَلَكِ الرُّوْحَانِي
تُطْوَىْ لَهُ مَسَافَةُ الْبَيْدَاءِ
وَيَعْتَلِيْ فِيْ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ

قلت: ومن الأدلة الواضحة على ذلك تلطف جثمانية النبي ﷺ حتى كان لا يرى له في الشمس ظل[2].

روى الحكيم الترمذي عن ذكوان: أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر[3].

وقال ابن سبع: من خصائصه ﷺ أن ظله كان لا يقع على الأرض، وأنه كان نوراً، وكان إذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل.

---

(١) كذا في «أ» و«ت».
(٢) ذكر ابن الجوزي في ذلك أثراً عن ابن عباس رضي الله عنهما في «الوفا بأحوال المصطفى» (ص: ٤١٢).
(٣) كذا عزاه السيوطي في «الخصائص الكبرى» (١/ ١١٦) إلى الحكيم الترمذي.

قال السيوطي ـ نقلاً عن بعضهم ـ: ويشهد له قوله ﷺ: «وَاجْعَلْنِيْ نُوْراً»[1][2].

قلت: الخصيصة به إنما هي عدم ظهور ظله في ضياء الشَّمس ونور القمر، وأما النورانية فقد تكون لغيره من الأنبياء والأولياء، ولقد قال الله تعالى حكاية عن صواحبات يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١].

روى الحاكم عن كعب الأحبار: أن يوسف عليه السلام كان إذا تبسَّم رأيت النور في ضواحكه[3].

وروى أبو الشيخ عن إسحاق بن عبدالله قال: كان يوسف عليه السلام إذا سار في أزقة مصر يُرَى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى تلألؤ الماء والشمس على الجدران[4].

وروى هو، وابن أبي حاتم، وآخرون عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كان وجه يوسف عليه السَّلام مثل البرق، وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به[5].

---

(١) رواه مسلم (٧٦٣).

(٢) انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ١١٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٢).

(٤) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٣٢) إلى أبي الشيخ.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٣٦)، والطبراني في «المعجم =

يعني: لشدة حيائه وكرمه.

ومن ثَمَّ قال النسوة فيه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

قال القاضي البيضاوي في هذه الآية: كأن الجمع بين الجمال الرائق، والكمال الفائق، والعصمة البالغة من خواص الملائكة[١]، انتهى.

قلت: وصدق القاضي رحمه الله تعالى؛ فلا يكون العبد ملحقاً بالجمال والحسن بالملائكة عليهم السَّلام إلا إذا كان معصوماً أو محفوظاً، والذي استقرأته في مدة عمري ـ ولا أعتقد إلا أنه سنة من سنن الله تعالى جارية ـ أنه ما من جمال حفظه صاحبه، وصانه بالتقوى إلا ازداد بهاؤه وضياؤه كلما طعن صاحبه في السن، وما من جمال عرضه صاحبه للتهم فامتهنه الفساق بأبصارهم[٢]، وانتهكه الشعراء بأشعارهم[٣] إلا عاد قبحاً وإجراماً في الْكِبَر.

وقد شاهدت جماعة من أولياء الله تعالى ـ في سن الشيخوخة؛ بحيث لو كان غيرهم لأدركه الهرم ـ يتلألأ في وجوههم أنوار التقوى

= الكبير» (٨٥٥٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٣٢) إلى أبي الشيخ.

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٨٦).

(٢) في «أ»: «بأبصارها».

(٣) في «أ»: «بأشعارها».

والصيانة، وكمال الخلقة والخليقة حتى لا تكاد الأبصار تروى من النظر إلى جمالهم؛ منهم شيخ الإسلام الوالد رضي الله تعالى عنه، ولم تر عيناي مثله جلالاً وجمالاً في عالم الحسن، ولعلي لا أنفرد بهذا الاعتقاد عن سائر من شاهد الشيخ رضي الله تعالى عنه، ولقد كان بالصفة التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتاهُ اللهُ وَجْهاً حَسَناً، وَاسْماً حَسَناً، وَجَعَلَهُ اللهُ فِيْ مَوْضِعٍ غَيْرِ شائِنٍ، فَهُوَ مِنْ صَفْوَةِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ».

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال الشاعر: [من الخفيف][(1)]

أَنْتَ شَرَطُ النَّبِيِّ إِذْ قالَ يَوْماً
اطْلُبُوْا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوْهِ

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن عون بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: من كان ذا صورة حسنة في موضع لا يشينه، ووسع عليه

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٤٣) وضعفه، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٠٦)، وذكره ابن القيم في «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» (ص: ٦٢) كمثال للأحاديث التي لا تشبه كلام الأنبياء، والتي تدل على وضعه، ثم قال: وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه، أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسهم، فكذب مختلق، وإفك مفترى.

رزقه، ثم تواضع لله، كان من خالصة الله ﷻ[1].

وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر العسقلاني في معناه: [من السريع]

مَنْ كانَ ذَا حُسْنٍ وَذا حَسَبٍ
زَاكٍ وَوُسِّعَ رِزْقُهُ وَغَدَا

مُتَوَاضِعاً لِلَّهِ فَهُوَ إِذَنْ
مِنْ خَالِصِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ غَدَا

وقلت في ذلك: [من البسيط]

مَنْ وَسَّعَ اللهُ فِيْ أَرْزاقِهِ وَلَهُ
فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِ شَيْنٍ صُوْرَةٌ حَسَنَة

وَقَدْ تَوَاضَعَ فَهْوَ مِنْ خُلاصَةِ خَلْـ
ـقِ اللهِ حَيْثُ تَرَاهُ جاءَ بِالْحَسَنَة

وقد صار في غاية القلة مَنِ اتصفَ بهذه الخلة، بل يكاد أن يكون معدوماً مَنْ كان بهذه الصفة موسوماً.

ومنذ زمان ومدد قال الحارث بن أسد ـ وقد روى عنه هذه المقالة

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٠)، وكذلك رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٦٤)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (ص: ١١٤).

جماعة؛ منهم القشيري في «الرسالة» ـ: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء[1].

ومن الأدلة على أن المرء قد يترقى في الصفاء والنورانية بالتقوى حتى يلتحق بالملائكة: ما رواه الترمذي، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِيْ طالِبٍ مَلَكاً يَطِيْرُ فِيْ الْجَنَّةِ بِجَناحَيْنِ»[3].

وروى الطبراني بسندين ـ أحدهما حسن ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِيْ طالِبٍ رضي الله عنه مَلَكاً يَطِيْرُ فِيْ الْجَنَّةِ ذَا جَناحَيْنِ، يَطِيْرُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ مَقْصُوْصَةً قَوادِمُهُ بِالدِّماءِ»[4].

---

(١) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٢٧٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١٢).

(٢) في «أ» و«ت»: «عن جابر»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٩٣٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن جعفر، وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره، وعبدالله بن جعفر هو والد علي ابن المديني، وفي الباب عن ابن عباس.
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٧٦): في إسناده ضعف، لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٦٦)، و(١٤٦٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٠٦): رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن.

وفي هذا الباب أحاديث أخر.

وما أخبر به ﷺ عن جعفر ـ وإن كان ذلك بعد موته، وهو رضي الله تعالى عنه في البرزخ ـ فإن حال العبد في البرزخ مرتبةٌ على حاله في الدُّنيا، وقد كان جعفر في حياته كأنه ملك كريم، ولذلك أَثَّرَتْ قراءته لسورة مريم بين يدي النجاشي في النجاشي، ومن عنده من الأساقفة والقسيسين حتى فاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق[1] ـ وإن كان القرآن في نفسه كافياً في تأثير القلوب التي سبقت لها السعادة ـ فإن صدق المؤدي وتقواه مما يزيد في تأثيرها، ورُبَّ قاسي قلب لا يتأثر من سماع القرآن عمره حتى إذا سمعه من صادق تقيٍّ دُكَّتْ جبالُ نفسه وهواه لما تجلى في قلبه من كلام مولاه، فلعل جعفراً رضي الله تعالى عنه كان يشاهده الصادقون كما شاهد النسوة يوسف عليه السَّلام؛ فإنَّ من كان في مثل هذه الحالة لا يخفى في الغالب عن بصائر الصَّادقين.

كما روى أبو نعيم في «الحلية» عن كثير بن الوليد قال: كنت إذا رأيت ابن شَوذب ذكرت الملائكة عليهم السلام[2].

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن الإمام أبي الفتح ناصر بن الحسين العمري قال: لم يكن في زمان أبي بكر القفال أفقه منه،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٨٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩/ ١٧٠).

ولا يكون بعده مثله، وكنا نقول: إنه ملك في صورة إنسان[1].

وفي قوله: ولا يكون بعده مثله، نظر.

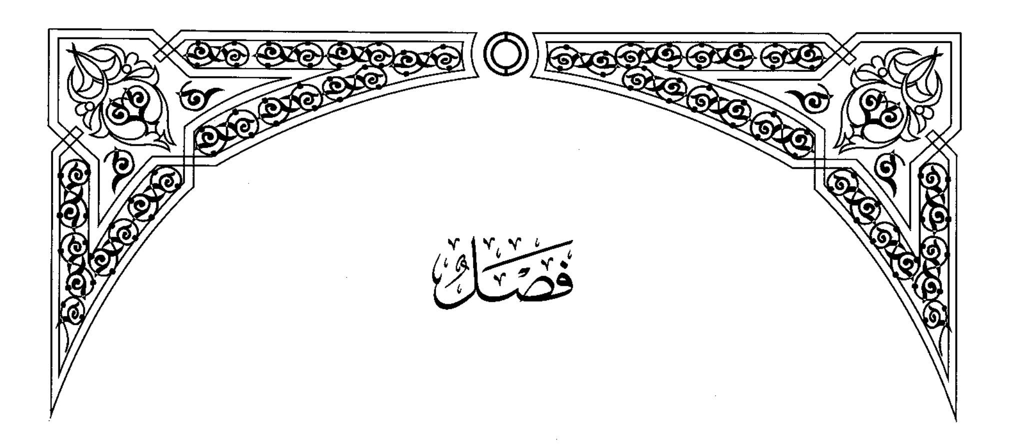
وقد يكون للمؤمن حالة يلتحق فيها بالملائكة عليهم السَّلام وإن لم يكن معصوماً ولا محفوظاً، وهي حالة الضعف والافتقار إلى الله تعالى من مرض أو فقر أو جوع أو غلبة عدو أو انقطاع بمضيعة؛ فإنه حينئذ يرق قلبه، ويقرب من ربه ما لا يتفق له في حال القوة والاستغناء باعتبار ما يتوكله العبد ـ وإن كان افتقاره لازماً باعتبار الحقيقة ـ ولذلك كانت دعوة المسافر والصائم والمريض والمضطر مستجابة كما نطق بذلك الأحاديث الشريفة.

وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذا دَخَلْتَ عَلَىْ مَرِيْضٍ فَمُرْهُ يَدْعُوْ لَكَ؛ فَإِنَّ دُعاءَهُ كَدُعاءِ الْمَلائِكَةِ»[2].

* * *

(١) ذكره ابن الصلاح في «طبقات الفقهاء الشافعية» (١/ ٤٩٩).

(٢) رواه ابن ماجه (١٤٤١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٠٨). قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٩١٥): منقطع، ولد ميمون بعد وفاة عمر بنحو ثمان عشرة سنة.



فصل

وحيث ثبت أن العبد يجوز أن يلتحق بالملائكة في كثير من صفاتهم لترَقِّيْهِ في الإيمان والإحسان، فلا بِدْعَ حينئذٍ أن يشاهد في هذه الحالة جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء عليهم السلام وقد نص على هذه المسألة حجة الإسلام في كتاب «الأربعين في أصول الدين»، فقال رضي الله تعالى عنه ـ بعد أن ذكر لباب الذكر، وهو أن يستمكن المذكور من القلب ويمحى الذكر ويخفى ـ؛ قال: وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر، ولا إلى القلب، بل يستغرق المذكور جملته، ومهما ظهر له في أثناء ذلك التفات إلى الذكر فذلك حجاب شاغل، قال: فهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء، وبسط رضي الله تعالى عنه في تقرير حال الفناء.

ثم قال: فإذا فهمت الفناء في المذكور، فاعلم أنه أول الطريق، وهو الذهاب إلى الله تعالى، وإنما الهدي بعدُ؛ أعني بالهدي: هدي الله، كما قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الصافات: ٩٩]؛ فأول الأمر ذهاب إلى الله تعالى، ثم ذهاب

في الله، وذلك هو الفناء والاستغراق به.

قال: لكن هذا الاستغراق أولاً يكون كبرق خاطف قلما يثبت ويدوم، فإذا دام ذلك وصارت عادة راسخة، وهيئة ثابتة يخرج به إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقي، وانطبع فيه نقش الملكوت، وتجلى له قدس اللاهوت.

قال: وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة، وأرواح الأنبياء، والأولياء في صورة جميلة تفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق، وذلك في البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، ويكافح بصرائح الحق في كل شيء[1]. انتهى.

قال شيخ الإسلام الجد في «ألفيته في التصوف» في معنى ذلك:

[من الرجز]

الـــذِّكْرُ أَنْ تَغِيْـــبَ فِـــيْ الْوُجُـــوْدِ
عَنْـــكَ وَتَنْـــدَرِجَ فِـــيْ الـــشُّهُوْدِ
فَـــلا تُحِـــسُّ بِجَمِيْـــعِ الْخَلْـــقِ
وَذَاكَ فِـــيْ التَّحْقِيْـــقِ حَـــقُّ الْحَـــقِّ
هَـــذَا هُـــدَى اللهِ إِلَيْـــهِ فَاهْتَـــدُوْا
وَلا تَـــضِلُّوْا عَـــنْ هُـــدَاهُ تُلْحِـــدُوْا

---

(١) انظر: «الأربعين في أصول الدين» للغزالي (ص: ٥٥ ـ ٥٧).

مَـنْ غـابَ فِـيْ ذِيْ الْحَـضْرَةِ الْمُبَارَكَـة
رَأَىْ بِهَـــا جَـــواهِرَ الْمَلائِكَـــة

مُـــــشاهِداً أَرْواحَ الانْبـــــياءِ
مُخالِطـــاً فِيْهـــا لِلاوْلِيَـــاءِ

وهذا لا شبهة فيه؛ أعني: مشاهدة بعض صلحاء البشر غير الأنبياء لبعض الملائكة كما شاهدت مريم عليها السلام منهم جبريل عليهم السلام وقد تمثل لها بشراً سوياً، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[مريم: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٤٢].

وقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة تشهد لجواز رؤية البشر للملائكة كما جازت رؤية الصحابة لجبريل في صورة دحية الكلبي[١] ـ وقد تقدم بعضها ـ، وأحاديث رؤيتهم الملائكة في غزاة بدر[٢]، وغيرها، وحديث عمر رضي الله تعالى عنه المتقدم في صدر الباب في مجيء جبريل عليه السَّلام إلى النبي ﷺ، وسؤاله إياه عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وقوله ﷺ: «هَذا جِبْرِيْلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»[٣].

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه المروي في «صحيح مسلم» عن رسول الله ﷺ: أَنَّ رَجُلاً زارَ أَخاهُ فِيْ قَرْيَةٍ فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَىْ مَدْرَجَتِهِ ـ أَيْ: طَرِيْقِهِ ـ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَىْ إِلَيْهِ قالَ: «أَيْنَ تُرِيْدُ؟» قالَ: «أُرِيْدُ أَخاً لِيْ فِيْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ»، قالَ: «هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟» قالَ: «لا، غَيْرَ أَنِّيْ أَحْبَبْتُهُ لِلَّهِ تَعالَىْ»، قالَ: «فَإِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَما أَحْبَبْتَهُ فِيْهِ»[1].

قال النووي رحمه الله تعالى في «شرح مسلم»: وفي هذا الحديث فضل المحبة في الله، وأنها سبب لحب الله تعالى العبدَ، وفيه فضيلة زيارة الصَّالحين، والأصحاب، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة[2]، انتهى.

وقد ذكرت لهذه المسألة أدلة أخر في كتاب «منبر التوحيد» الذي شرحت فيه «ألفية الجد» رحمه الله تعالى.

ثم إذا قلنا بجواز رؤية الملائكة لبعض البشر، فهل يتفق لهم رؤيتهم على أصل خلقتهم، أم متمثلين بصور تليق بحال الرائي؟

لا مانع من رؤية الملائكة على أصل خِلقتهم؛ لأن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام على أصل خلقته مرتين، وما جاز أن يكون

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٦/ ١٢٤).

معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي[1].

ومنع بعض العلماء من رؤية جبريل عليه السلام على أصل خلقته إلا للنبي ﷺ، وقال: إنها من خصائصه.

قلت: وقد يستأنس للأول بما رواه البيهقي، وغيره عن عمار رضي الله تعالى عنه: أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! أرني جبريل في صورته، قال: «اقْعُدْ»، فنزل جبريل عليه السلام على خشبة كانت في الكعبة، فقال النبي ﷺ: «ارْفَعْ طَرْفَكَ فَانْظُرْ»، فرفع رأسه، فرأى قدميه مثل الزمرُّد الأخضر[2].

---

(١) ذكر الشيخ محمد الأنصاري كلاماً مفيداً حول هذه القاعـدة التي أطلقها بعضهم فقال: قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في «الرسالة»: إن كثيراً من المقدورات نعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن تظهر كرامة لولي لضرورة أو شبه ضرورة، منها حصول الإنسان لا من أبوين، وقلب جمادٍ بهيمة، وأمثال هذا يكثر، قال التاج السبكي: وهذا حق يخصص قول غيره: ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لافارق بينهما إلا التحدي، وقد جرى عليه المصنف لكنه رأي مرجوح، فقد قال الزركشي: إنه مذهب ضعيف، والجمهور على خلافه، وقد أنكروه على القشيري حتى ولده أبو نصر في كتابه «المرشد» فقال: قال بعض الأئمة: ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي، كقلب العصى ثعباناً وإحياء الموتى. انظر: «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» لمحمد الأنصاري (ص: ١٥).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٨١) وقال: مرسل، ورواه أيضاً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٢).

ولكن الغالب أن تتمثل الملائكة للصالحين في صورة مأنوسة لهم للمجانسة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[الأنعام: ٩].

وقد تقدم حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم؛ يعني: في غزاة بدر[١].

* فائِدَةٌ:

روى الدينوري في «مجالسته»، والثعلبي في «تفسيره» عن محمد ابن جبير بن سليم، عن أبيه ﷺ قال: لم يسمع أحد بالوحي يلقى على رسول الله ﷺ إلا أبو بكر الصديق ﷺ، فإنه أتى النبي ﷺ فوجده يوحى إليه، فسمع: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[القصص: ٥٦][٢].

قلت: ولِبنتِ الصديق عائشة رضي الله عنها خصوصية قريبة من هذه الخصوصية التي لأبيها؛ فقد روى البخاري، والترمذي [عن عائشة]، والنسائي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا أُمَّ سَلَمَةَ! لا تُؤْذِيْنِيْ فِيْ عائِشَةَ؛ فَإِنَّهُ ـ وَاللهِ ـ ما نزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنا فِيْ لِحافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِها»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الثعلبي في «التفسير» (٧/ ٢٥٥).

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٤)، والترمذي (٣٨٧٩) عن عائشة، ورواه النسائي (٣٩٥٠) عن أم سلمة.

* **فائِدَةٌ أُخْرَىْ:**

ملازمة الطهارة، والذكر، والإنابة إلى الله تعالى توجب دوام صحبة الملائكة عليهم السلام ومحافظتهم على العبد، وطرد الشياطين عنه لما علمت من إحفاف الملائكة بالذاكرين، ولقوله ﷺ: «طَهِّرُوْا هَذِهِ الأَجْسادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيْتُ طاهِراً إِلاَّ باتَ مَعَهُ فِي شِعارِهِ مَلَكٌ لا يَتَقَلَّبُ ساعَةً مِنْ لَيْلٍ إِلاَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ باتَ طاهِراً». رواه الطبراني في «معجمه الأوسط» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[1].

وروى الحاكم، ومسلمٌ عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذا أَوَىْ الرَّجُلُ إِلَىْ فِراشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطانٌ فَيَقُوْلُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُوْلُ الشَّيْطانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ ثُمَّ نامَ باتَ الْمَلَكُ يَكْلَؤُهُ، وَإِذا اسْتَيْقَظَ قالَ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقالَ الشَّيْطانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ، فَإِنْ قالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ رَدَّ عَلَيَّ نَفْسِي، وَلَمْ يُمِتْها فِيْ مَنامِها، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر: ٤١] إِلَىْ آخِرِ الآيَةِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج: ٦٥]، فَإِنْ وَقَعَ عَنْ سَرِيْرِهِ، وَماتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٨٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣١): إسناد جيد.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٩١)، =

وروى الإمام أحمد ـ بسند رجاله رجال الصَّحيح ـ عن شَدَّاد بن أَوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ما مِنْ رَجُلٍ يَأْوِيْ إِلَىْ فِراشِهِ فَيَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ تَعالَىْ، إِلاَّ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيْهِ حَتَّىْ يَهُبَّ مَتَىْ هَبَّ[1]»[2].

وفي «الصحيح[3]» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فذكر الحديث وفيه قوله لأبي هريرة: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتَّى تصبح»، فقال النَّبيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوْبٌ، ذاكَ شَيْطانٌ»[4].

قوله: «حافظ»؛ أي: مَلَكٌ يحفظك.

وروى الطبراني بسند حسن، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى

= وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٣٣)، ولم أقف عليه في «صحيح مسلم» ولا من عزاه إليه، والله أعلم.

(١) في «أ» و«ت»: «يهب متى يهب»، والمثبت من «المسند» للإمام أحمد (٤/ ١٢٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٥)، ورواه كذلك الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٤٨).

(٣) في «أ» و«ت»: «وفي الصحيحين»، ولعل الصواب ما أثبت؛ وانظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٣/ ٢٥٨).

(٤) رواه البخاري (٤٧٢٣) معلقاً بصيغة الجزم.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ راكِبٍ يَخْلُوْ فِيْ مَسِيْرِهِ بِاللهِ وَذِكْرِهِ إِلاَّ رَدِفَهُ مَلَكٌ، وَلا يَخْلُوْ بِشِعْرٍ وَنَحْوِهِ إِلاَّ رَدِفَهُ شَيْطانٌ»[١].

*** مَسْأَلَةٌ:**

هل تجوز المعصية على الملائكة عليهم السَّلام أم لا؟

قال القرطبي: أما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة، وأن يوجد فيهم خلاف ما كلفوه، وأن تخلق فيهم الشَّهوات؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم.

قال: ووقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسَّمع، ولم يصح[٢]. انتهى.

ذكر هذا في تفسير سورة البقرة بعد أن قطع بضعف ما روي عن عليٍّ، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عبَّاس رضي الله عنهم: أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم ـ وذلك في زمن إدريس عليه السَّلام ـ عيرتهم الملائكة، فقال الله تعالى: «أما إنكم لو كنتم مكانهم وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم ـ يعني: الشهوة ـ لعملتم مثل أعمالهم»، فقالوا: «سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك»، قال: «فاختاروا ملكين من خياركم»، فاختاروا هاروت وماروت، فأنزلهما الله تعالى إلى الأرض، فركَّب فيهما الشهوة، فما مرَّ بهم شهر حتى فتنا بامرأة اسمها الزُّهرة اختصمت إليهما، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يدخلا في دينها، ويشربا الخمر، ويقتلا النفس التي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٥٢).

حـرم الله، فأجاباها، وشـربا الخمر، وقتـلا، وألمَّا بهـا، وسـألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السَّماء، فعلماها، فتكلمت به، فعرجت، فمسخت كوكباً[1].

وقال سالم بن عبدالله: فحدثني كعب الحبر أنهما لم يستكملا يومهما حتَّى عملا ما حرم الله عليهما[2].

وفي غير هذا الحديث: فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدُّنيا، فهما يعذبان ببابل في سِرب من الأرض[3].

وقيل: علقا مُنكَّسين، وليس بينهما وبين الماء إلا قدر شبر، وهما يلهثان من العطش.

وكان ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما فيما يرويه عطاء ـ إذا رأى الزهرة وسُهيلاً سبَّهما وشتَمَهما، ويقول: إن سهيلاً كان عشاراً باليمن،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٨٦) عن ابن عمر، والطبري في «التفسير» (١/ ٤٥٦) عن ابن عمر وابن عباس وعلي رضي الله عنهم.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٨) ـ بعد أن ذكر تلك الروايات في قصة الملكين ـ: وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار، كما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» وهذا أصح إسناداً وأثبت رجالاً.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٥٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٥٢).

وإن الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت[1].

قلت: نص شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر العسقلاني على ثبوت هذه القصة لأنها رويت من طرق متعددة مرفوعة إلى النبي ﷺ، وموقوفة على من تقدم ذكرهم من الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم[2].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٤) عن عمر، وروى قريباً منه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٠٣) عن ابن عمر، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٣٢): هذا الحديث لا يصح موقوفاً ولا مرفوعاً.

(٢) قال الحافظ ابن حجر ـ ما ملخصه ـ: طعن في هذه القصة من أصلها بعضُ أهل العلم ممن تقدم وكثير من المتأخرين، وليس العجب من المتكلم والفقيه، إنما العجب ممن ينتسب إلى الحديث كيف يطلق على خبر ورد بهذه الأسانيد القوية مع كثرة طرقها أو تباين أسانيدها أنه باطل أو نحو ذلك من العبارة، مع دعواهم تقوية أحاديث غريبة أو واردة من أوجه لكنها واهية واحتجاجهم بها والعمل بمقتضاها. . . وأما من أنكرها فجماعة منهم القاضي أبو بكر بن العربي في «أحكام القرآن»، وتلقاه عنه القرطبي المفسر، وأبو محمد بن حزم في «الملل والنحل»، وممن صرح بنفي ورود حديث مرفوع في هذه القصة القاضي عياض في «الشفا»، وليعتبر الناظر في كلام هؤلاء، والعجب ممن ينتمي منهم إلى الحديث، ويدعي التقدم في معرفة المنقول، ويسمى عند كثير من الناس بالحافظ، كيف يقدم على هذا النفي، ويجزم به مع وجوده في تصانيف من ذكرنا من الأئمة بالأسانيد القوية والطرق الكثيرة، والله المستعان. وأقول في طرق هذه القصة القوي والضعيف، ولا سبيل إلى رد الجميع، فإنه ينادى على من أطلقه بقلة الاطلاع والإقدام على رد ما لا يعلمه، لكن الأولى أن ينظر إلى ما اختلفت فيه بالزيادة والنقص، =

وممن خرجها الإمام أحمد، وابن حبان، والبيهقي، وغيرهم[1].

وقال شيخ الإسلام والدي في «تفسيره» بعد أن قطع بصحة ذلك، ونقله عن ابن حجر: [من الرجز]

وَصَحَّ تَعْذِيبُهُمَا بِبَابِلْ ... مُنَكَّسَانِ الآنَ بِالسَّلاسِلْ

وَهُوَ اخْتِيَارٌ لِعَذَابِ الدُّنْيَا ... عَلَىٰ الْعَذَابِ بِدِيَارِ الْبُقْيَا

وحيث صح أنهما يعذبان، فهو شاهد للحديث الشاهد بوقوع المعصية منهما، وهذه المعاصي التي صدرت منهما حكمها كبائر، بل من أكبر الكبائر، وإذا جاز وقوع الكبائر منهم، فوقوع[2] الصغائر من باب أولى[3].

= فيؤخذ بما اجتمعت عليه ويؤخذ من المختلف ما قوي ويطرح ما ضعف أو ما اضطرب، فإن الاضطراب إذا بعد به الجمع بين المختلف ولم يترجح شيء منه التحق بالضعيف المردود، والله المستعان. انظر: «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٢٣١ ـ ٢٤٠).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤) وقال: ورواه موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، عن كعب، فذكر بعض هذه القصة، وهذا أشبه.

(٢) في «أ»: «بوقوع».

(٣) لعل أحسن من تكلم عن هذه القصة ابن كثير في «التفسير» (١/ ١٤٢) حيث قال: وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها =

ولا يعارض هذا قوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]، وقوله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧]؛ فإنا نقول هذا باعتبار ما جُبِلت عليه الملائكة من الطَّاعة وعدم المعصية لخلولهم عن الشهوة، ثم دَرَجَ على هذا غالبُهم، كما جبلت بنو آدم على المعصية لتركيب الشهوة فيهم، وعليها درج غالبهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِيْ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِيْنَ التَّوَّابُوْنَ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم وصححاه، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1].

ثم كون الملائكة عليهم السلام مجبولين على الطاعة، وعدم المعصية لا يمنع وقوع المعصية منهم على وجه الندور والقلة، كما أن كون بني آدم مجبولين على الخطأ لا يمنع حصول العصمة لبعضهم كما هي للأنبياء عليهم السلام، وإنما جاز وقوع المعصية من الملائكة عليهم السلام لتظهر الحكمة الإلهية، والسطوة العظموتية، ويتمحض الكمال لله تعالى، ويبدو عذر بني آدم في عصيانهم من حيث تركيب

= حديث مرفوع صحيح، متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والترمذي (٢٤٩٩) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٧).

الشهوة فيهم، ويعلم فضلهم إذا عصوا وأطاعوا، بل لا مانع من حصول الزلة من خواص الملائكة، ولو أن تكون بخلاف الأولى؛ فإن ذلك زلة بالنسبة إلى مقامهم.

وقد صدر ذلك منهم حيث قال الله تعالى لهم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠]، فأدَّبهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]؛ أي: من أن خلق آدم وذريته ـ وإن كان منهم العاصي والمفسد ـ أليق بالحكمة لتظهر مظاهر الأسماء الإلهية كالحليم، والستار، والعَفُوِّ، والغفور، والرحيم، والحَكَم، والعدل، والمقسط، والمنتقم، والكبير، والعظيم، ونحوها إلى غير ذلك من الأسرار الإلهية المستودعة في خلق الإنسان الذي به، وفيه لتظهر هذه المظاهر الإلهية، ولذلك أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لأبي البشر بعد أن علمه ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: ٣١ ـ ٣٣]؛ أي: وأعلم ما كنتم تكتمون من أنكم معصومون، وكيف يخلق مع وجودنا في السماوات والأرض ونحن بهذه الصفة من يعصي الله، ويفسد، ويسفك الدماء، ففي ذلك تعريض بمعاتبتهم، كما قال شيخ الإسلام

والدي في «تفسيره»: [من الرجز]

مُعَرِّضاً فِيْ ذاكَ بِالْعِتابِ لَهُمْ عَلَىْ شَيْءٍ مِنَ الآدابِ
بِهِ أَخَلُّوا وَهْوَ أَنْ يَرْتَقِبُوا ظُهُوْرَ حِكْمَةٍ إِلَيْهِ تُنْسَبُ
فِي خَلْقِهِ وَأَنَّهُ حَكِيْمُ وَهْوَ بِكُلِّ خَلْقِهِ عَلِيْمُ

وما كان قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إلى آخره، اعتراضاً على الذات العليّة، ولا انحرافاً عن الاستحسان لأفعالها المرضية، ولكن كان على سبيل الاستفسار والاستخبار عن وجه الحكمة في خَلْقِ خَلْقٍ خطائين مع وجود خَلْقٍ معصومين، وكان اللائق بمقامهم ـ لأنهم مقربون ـ أن لا يستفسروا عن وجه الحكمة أيضاً، بل يصمتوا حتى يفيض الله تعالى عليهم من علم وجه الحكمة ما قسمه لهم؛ فإن هذا خلق الحكماء.

كما روى الحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن لقمان كان عند داود عليهما السَّلام وهو يسرد الدِّرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب، ويريد أن يسأله، ويمنعه حكمه أن يسأله، فلما فرغ منها عرضها على نفسه، فقال: نِعْمَ درع الحرب هذه، فقال لقمان: الصمت من الحكمة، وقليلٌ فاعله؛ كنت أردت أن أسألك، فسكت حتى لقنتني[1].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٢٦).

وقيل: إن لقمان كان يتردد سنة وهو يريد أن يعلم ذلك، ولم يسأل حتَّى قال داود ما قاله[١].

ولو وقع الاستفسار المذكور من غير الملائكة ممن هو دون مقامهم لم يكن محسوباً عليه بزلة؛ إذ لم يُعَدَّ ذلك زلة عليهم إلا من حيث إنهم عباد مكرمون، ولذلك أدبوا عليه، وعوتبوا، ولو وقعت من أحدهم زلة أعظم منها لزاد الله تعالى في عقوبته فوق ما يعاقب به من دونهم على تلك الزلة، ألا ترى إلى تعذيب الملكين ببابل هاروت وماروت إما بحبسهما في سِرب تحت الأرض، وإما بتعليقهما منكسين ليس بينهما وبين الماء إلا قريب من شبر وهما يلهثان عطشاً عذاباً دائماً إلى يوم القيامة؟! وكان يكفي في عقوبة غيرهما على الشرب والزنا مع عدم الإحصان الجلدُ وحدَه في الأول، ومع التغريب في الثاني، وعلى قتل النفس القتلُ، ولا شك أن التألم به ينقضي بسرعة، بخلاف هذا العذاب الشديد الدائم إلى يوم الوعيد، فدل ذلك على أن الذنب كلما كان صاحبه مقرباً عند الله تعالى كان عظيماً، وكان عقابه شديداً، ولذلك اشتدت عقوبة العلماء إذا لم يعملوا بعلمهم حتى قال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ لا يَعْلَمُ وَلَوْ شاءَ اللهُ لَعَلَّمَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَمُ وَلا يَعْمَلُ؛ سَبْعٌ مِنَ الْوَيْلِ». رواه سعيد بن منصور في «سننه» عن جَبَلَة بن سُحيم مرسلاً[٢].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١١٤).

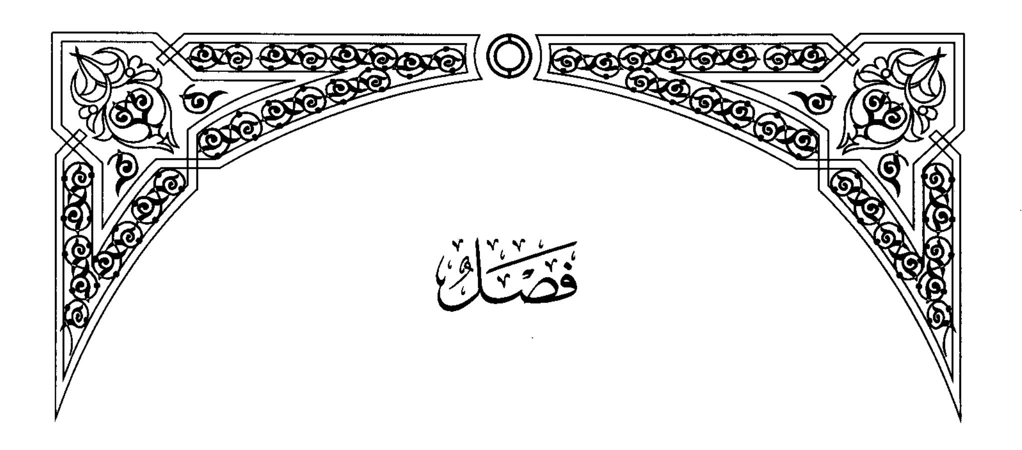
(٢) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٨) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١١) موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه.

وأنشدوا: [من الكامل]

لا يَحْقِـرِ الرَّجُـلُ الـشَّرِيْفُ جَرِيْـرةً
فِـيْ مِثْلِهـا كَـمْ لِلْحَقِيْـرِ مَعـاذِرُ
فَـصَغائِرُ الرَّجُـلِ الْكَبِـيْرِ كَبـائِرٌ
وَكَبـائِرُ الرَّجُـلِ الـصَّغِيْرِ صَـغائِرُ[1]

* * *

(١) ذكرها الألوسي في «روح المعاني» (٥/ ١٨) دون أن ينسبها لأحد.



فصل

روى أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ورقة ـ يعني: ابن نوفل رضي الله تعالى عنه ـ لما ذكرت له خديجة رضي الله تعالى عنها: أنه ﷺ ذكر لها جبريل عليه السَّلام: سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله بينه وبين رسله، اذهبي إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى، فإذا رآه فتحسري، فإن يكن من عند الله لا يراه، ففعلت، فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره، فرجعت، فأخبرت ورقة، فقال: إنه ليأتيه الناموس الأكبر[1].

الحديث فيه دليل على أن جبريل عليه السلام تغيب من خديجة حياءً، وصيانة لخديجة، وإجلالاً لها، وقد سبق أن من صفة الملائكة الحياء، حتى إنهم لا يحضرون العبد عند حاجته، وجِمَاعِهِ.

وليس فيه دليل على وجوب الغض على الملائكة؛ لأن الفتنة

(١) ورواه الآجري في «الشريعة» (٣/ ١٤٤١).

التي تخشى في النظر إلى الأجنبية مأمونة في الملائكة، ومن ثَمَّ حضرت رسل إبراهيم عليه السلام على سارة رضي الله عنها وخلا جبريل بمريم عليهما السَّلام حين تمثل لها بشراً سوياً وهي في عزلتها عن أهلها.

وقيل: كانت تغتسل في شرفتها فتمثل لها[1].

وليس لأحد من البشر أن يتشبه بالملائكة في مثل ذلك؛ لأن الفتنة في البشر غير مأمونة حتى قال يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾[يوسف: ٥٣].

قال ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل عليه السَّلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[مريم: ١٧]؛ يعني: معتدلاً شاباً أبيض الوجه، جَعْداً، قططاً حين اخضر شاربه، فلما نظرت إليه قائماً بين يديها: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾[مريم: ١٨]؛ يعني: إن كنت تخاف الله. رواه ابن عساكر، وغيره[2].

قال في «الكشاف»: وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه.

---

(١) ذكر هذا البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩١)، وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٢١٧).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٤٨).

قال: ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثله على تلك الصفة ابتلاءً لها، وسبراً لعفتها[1]، انتهى.

وقال القاضي: أتاها جبريل عليه السلام في صورة غلام[2] أمرد سويِّ الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها[3]. انتهى.

ويدل له ما رواه ابن عساكر عن ابن عبَّاس قال: فدنا جبريل، فنفخ في جيبها، فوصلت النفخة جوفها، فاحتملت كما تحمل النساء في الرحم والمشيمة، ووضعته كما تضع النساء[4].

وفيه دليل على أن عيسى عليه السلام مخلوق من نطفة أمه، وكان بدو جبريل لمريم ونفخه في جيبها بأمر الله تعالى لتظهر هذه الآية العظيمة، والحكمة البالغة، ويظهر أن مريم في أعلى طبقات العفة كما أمر الله تعالى رسل إبراهيم عليهم السلام أن يظهروا لقوم لوط في صور بشر مرد حسان ليكونوا شهداء عليهم بالعزم على الفاحشة، وكانوا أربعة على عدد الشهود الذين يثبت بهم الزنا واللواط.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٠).

(٢) في «تفسير البيضاوي»: «شاب».

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٤٩).

روى ابن أبي حاتم عن عثمان بن محصن في ضيف إبراهيم قال: كانوا أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ورفائيل[1].

وروى ابن أبي حاتم أيضاً، عن عبد الرحمن بن بشر الأنصاري رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ كانُوْا أَنْذَرُوْا قَوْمَ لُوْطٍ، فَجاءَتْهُمُ الْمَلائِكَةُ عَشِيَّةً، فَمَرُّوْا بِنادِيْهِمْ، فَقالَ قَوْمُ لُوْطٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لا تُنَفِّرُوْهُمْ ـ وَلَمْ يَرَوْا قَوْماً قَطُّ أَحْسَنَ مِنَ الْمَلائِكَةِ ـ فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَىْ لُوْطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ رَاوَدُوْهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّىْ عَرَضَ عَلَيْهِمْ بَناتِهِ، فَأَبَوْا، فَقالَتِ الْمَلائِكَةُ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾[هود: ٨١]، قالَ: رُسُلُ رَبِّيْ؟ قالُوْا: نَعَمْ، قالَ لُوْطٌ: فَالآنَ إِذَنْ»[2].

أي: فالآن لا أخاف عليكم من قومي؛ اطمأن عليهم حين علم أنهم ملائكة يمتنعون من قومه.

ولو أن بشراً لهم جمالهم وحسنهم لم يكن لهم أن يخالطوا قوم لوط وهم يعلمون أنهم كانوا يأخذون الغرباء قهراً، وينكحونهم جبراً ـ كما ذكر عنهم في الأثر ـ[3] بل ربما جرى من الملائكة ما لا يجوز لأحد من البشر أن يتشبه بهم فيه؛ لأنهم إنما فعلوا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٥٧).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٩).

ذلك بأمر من يملك البرية، وهم عباده، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

كما روي: أن ملكين التقيا في السماء ـ أحدهما صاعد، والآخر هابط ـ فقال: الهابط للصاعد: أين كنت؟ قال: في الأرض، قال: لماذا بعثت؟ قال: لأسوق حوتاً من قرار البحر إلى مدينة كذا ليأكله فلان الكافر، قال: وأنت أين تذهب؟ قال: بعثت لأهريق زيتاً اشتراه فلان العابد بدانق(١).

فلو أراد أحد من البشر أن يتشبه بهذين الملكين، لم يجز له؛ لأن فعلهما دائر في أفعال البشر بين إعانة لعاص، وإضرار ببارٍّ، وإنما أمر به الملكان إملاءً للأول، وابتلاءً للثاني.

ومن هذا الفن تعليم الملكين الناسَ السحرَ ببابل امتحاناً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٠٢].

وروى عبد بن حُميد عن أبي مِجْلَز في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[آل عمران: ٩٣]، قال: إن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وكان رجلاً بطيشاً، فلقي ملكاً، فعالجه، فصرعه الملك، ثم

---

(١) رواه بحشل في «تاريخ واسط» (ص: ٢٠٥) عن سفيان بن عيينة، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٤٨٥) عن يوسف بن أسباط.

ضرب فخذه، فلمَّا رأى يعقوب ما صنع بـه بطش بـه، فقال: ما أنا بتاركك حتى تسميَني اسماً، فسماه إسرائيل، فلم يزل يوجعه ذلك العِرْق حتى حَرَّمَهُ من كل دابة[1].

فانظر كيف بعث الله هذا الملك فصرع يعقوب حتى أوجعه عِرقُ النَّسَا، فحرم بسببه كل عرق، ثم كان في تحريمه ابتلاء لبني إسرائيل من بعده، ومثل ذلك لا يتأتى فيه التشبه بالملك.

وكذلك بعث الله الملكين في صورة الخصوم إلى داود عليه السلام لامتحانه.

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[ص: ٢١ ـ ٢٢] الآيـة.

روى ابن جـرير، عن ابن عبَّـاس: أن المـلك لمـا قـال لـداود: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[ص: ٢٣]، قال له داود: كنت أحوج إلى نعجتك منه، ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[ص: ٢٤] إلـى قـولـه: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص: ٢٤]، ونسي نفسه ﷺ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخـر، فرآه داود، فظن أنمـا فتن، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[ص: ٢٤] أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٦٤) إلى عبد بن حميد.

من دموع عينيه، ثم شد الله ملكه[1].

والخصمان اللذان تخاصما إلى داود في النعاج المكنَّى بها عن النساء كانا ملكين عند ابن عبَّاس وأكثر المفسرين، ولا نعاج ولا نساء، وإنما أمرا بفعل ذلك تمثيلاً لحال داود ليتيقظ ويتفطن، ولذلك لما فَطِن تاب واستغفر، وبكى على ذنبه أربعين يوماً.

وهذا من باب المعاريض، وليس بكذب، وإنما عَرَّضا به لأجل هذا الأمر العظيم، والمقصود المهم.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ ثَلاثَةَ نفَرٍ فِي بَنِيْ إِسْرائِيْلَ؛ أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىْ، بَدا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَىْ الأَبْرَصَ فَقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّيْ هَذا؛ قَدْ قَذِرَنِيْ النَّاسُ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً، وَجِلْداً حَسَناً، فَقالَ: أَيُّ الْمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ ناقَةً، عُشَراءَ، فَقالَ: يُبارَكُ لَكَ فِيْها.

وَأَتَىْ الأَقْرَعَ فَقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ هَذا عَنِّيْ؛ قَدْ قَذِرَنِيْ النَّاسُ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعْراً حَسَناً، قالَ: فَأَيُّ الْمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الْبَقَرُ، فَأَعْطاهُ بَقَرَةً حامِلاً، وَقالَ: يُبارَكُ لَكَ فِيْها.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٤٦).

وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فَقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِيْ، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قالَ: فَأَيُّ الْمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطاهُ شاةً وَالِداً.

فَأَنْتَجَ هَذانِ، وَوَلَّدَ هَذا، فَكانَ لِهَذا وادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذا وادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذا وادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِيْ صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ تَقَطَّعَتْ بِهِ الْحِبالُ فِيْ سَفَرِهِ، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ وَبِالَّذِيْ أَعْطاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيْراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِيْ سَفَرِيْ، فَقالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوْقَ كَثِيْرَةٌ، فَقالَ لَهُ: كَأَنِّيْ أَعْرِفُكَ؛ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيْراً فَأَعْطاكَ اللهُ؟ قالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكابِرٍ عَنْ كابِرٍ، قالَ: فَإِنْ كُنْتَ كاذِباً فَصَيَّرَكَ إِلَىٰ ما كُنْتَ.

وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِيْ صُوْرَتِهِ، فَقالَ لَهُ مِثْلَ ما قالَ لِهَذا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ ما رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقالَ: إِنْ كُنْتَ كاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ ما كُنْتَ.

وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِيْ صُوْرَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، وَابْنُ سَبِيْلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبالُ فِيْ سَفَرِيْ، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِيْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِها فِيْ سَفَرِيْ، فَقالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِيْ، وَفَقِيْراً [فقد أَغْنَانِي]، فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ[1] الْيَوْمَ لِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مالَكَ؛ فَإِنَّما ابْتُلِيْتُم، فَقَدْ رَضِيَ

---

(١) في «أ» و«ت»: «لأحمدن» بدل «لا أجهدك».

عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَىْ صاحِبَيْكَ»[1].

فقد علم بذلك أن أفعال الملائكة عليهم السَّلام على وفق ما يؤمرون به لا يمنعهم من فعل ما أمروا به منها حظ نفس، ولا طلب شهوة، ولا قسوة، ولا رحمة، اطلعوا على حكمته أم لم يطلعوا، وأنه لا يتهيأ للبشر التشبه بهم في كل ما يفعلونه لاتصافهم بالحظوظ، وابتلائهم بالشهوات، ولغير ذلك.

بل ثَمَّ أفعال يتأتى صدورها عن البشر على وفق الشرائع التي كلفوا بها، فيحسن التشبه بهم منهم فيها دون ما لا يتأتى منهم صدوره منها على وفق الشريعة؛ فافهم.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٢٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢٩٦٤).



فصل

اعلم أن لهذه الأمة المحمدية طاعات يباهي الله تعالى بهم الملائكة بسببها؛ إمَّا لأنها ليست من أعمال الملائكة، وإمَّا لأنها تؤدى في البشر أكمل مما تؤدى في الملائكة، وإمَّا لغير ذلك، فأردت أن أذكر هنا نبذة في خاتمه هذا الباب.

روى مسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن معاوية رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا، قال: «آللهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَلِكَ؟» قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «أَما إِنِّيْ لا أَسْتَحْلِفُكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتانِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَخْبَرَنِيْ أَنَّ اللهَ يُباهِيْ بِكُمُ الْمَلائِكَةَ»(١).

المباهاة: من البهاء، وهو الحسن والجمال؛ أي: يفاخر الملائكة بحالتكم البهية، ويقول لهم: انظروا إلى عبادي كيف حاشهم

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠١) واللفظ له، والترمذي (٣٣٧٩) وحسنه، والنسائي (٥٤٢٦) عن أبي سعيد، عن معاوية رضي الله عنهما.

ذكري، وجمع بينهم شكري.

وروى الإمام أحمد بسند حسن، عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمنْ بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أما ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ رَواحَةَ؛ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجالِسَ الَّتِيْ تَتَباهَىْ بِها الْمَلائِكَةُ»(١).

قلت: معنى تباهي الملائكة بمجالس الذكر: أن الملائكة الذين شهدوا مجلس الذكر يباهون الذين لم يشهدوها، أو يباهي أهل المجلس الذي أهله أقرب إلى الإخلاص والصدق أهل المجلس الذي لم يكن كذلك.

وليس معناه المباهاة في الهيئة والصفة الظاهرة، أو في الألحان، أو فيما يشتمل عليه المجلس من التغيير بالشعر ونحوه؛ فإن ذلك مذموم، وهو حال من ينسب الآن إلى الصوفية، ولم يشموا للطريق رائحة، ولا من وراءِ وراء.

وقد وردت المفاخرة بالذكر والذاكرين بين البقاع، وهي أبلغ منها بين الملائكة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٥). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٠).

روى أبو حفص بن شاهين في «التَّرغيب في الذكر» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ بُقْعَةٍ يُذْكَرُ اللهُ فِيْها إلاَّ اسْتَبْشَرَتْ بِذِكْرِ اللهِ إِلَىْ مُنْتَهاها مِنْ سَبْعِ أَرَضِيْنَ، وَفَخَرَتْ عَلَىْ ما حَوْلَها مِنَ الْبِقاعِ، وَما مَرَّ مُؤْمِنٌ بِقَوْمٍ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ إلاَّ تَزَخْرَفَتْ بِهِ الأَرْضُ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ بُقْعَةٍ يُذْكَرُ اللهُ فِيْها إلاَّ فَخَرَتْ عَلَىْ ما حَوْلَها مِنَ الْبِقاعِ، وَاسْتَبْشَرَتْ لِذِكْرِ اللهِ مُنْتَهاها إِلَىْ سَبْعِ أَرَضِيْنَ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنه قال: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان! هل مرَّ بك اليوم لله ذاكر؟ استبشاراً لذكر الله عز وجل[3].

وقال الشيخ محي الدين بن العربي في «الفتوحات» ـ بعد أن ذكر السياحة والسائحين ـ: وذلك أن العارفين بالله لما علموا أن الأرض تزهو، وتفخر بذكر الله عليها، وهم أهل إيثار، وسعي في حق الغير،

---

(١) ورواه أيضاً ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١١٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٩): رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٩): وفيه أحمد بن بكر البالسي وهو ضعيف جداً.

(٣) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٤٣).

رأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو من ذاكر لله تعالى من البشر، فلزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البَيداء، وسواحل البحار، وبطون الأودية، وقُلَلِ الجبال والشِّعاب التي لا يطرقها إلا أمثالهم[1]. انتهى.

ثم إن مباهاة الله تعالى ملائكته بالذاكرين تارة تكون بأنفسهم، وتارة بمجلسهم، وتارة بهما، وحديث معاوية يدل على المعاني الثلاثة، وحديث ابن رواحة يدل على المعنى الثاني فقط.

وروى ابن أبي شيبة، عن عبد الرَّحمن بن سابط قال: دفع رسول الله ﷺ إلى حلقة وهم يذكرون الله، فقال: «إِنَّ اللهَ لَيُبَاهِيْ بِمَجْلِسِكُمْ أَهْلَ السَّماءِ»[2].

ومجالس الذكر شاملة لمجالس العلم، بل هي أفضلها.

وقد روى الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» عن الوليد بن مسلم قال: شيَّعَنا الأوزاعيُّ رحمه الله تعالى وقتَ انصرافِنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ! يصعب عليك المشي على كبر السن، قال: امشوا واسكتوا، لو علمت أن لله تعالى طبقة أو قوماً يباهي الله بهم، أو أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس[3].

---

(١) انظر: «الفتوحات المكية» لابن العربي (٢/ ٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٠٦٩).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٨).

وروى ابن النجار في «تاريخه»، والديلمي في «مسند الفردوس» عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةُ أَصْواتٍ يُباهِيْ اللهُ بِهِنَّ الْمَلائِكَةَ: الأَذانُ، وَالتَّكْبِيْرُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ».

قلت: الثلاثة كلها من ذكر الله تعالى، ولكن كان لها خصوصية في المباهاة لم تكن لسائر الأذكار.

وروى الخطيب في «تالي التلخيص» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفاً فِيْ سَبِيْلِ اللهِ قَلَّدَهُ اللهُ وِشاحاً فِيْ الْجَنَّةِ لا تَقُوْمُ لَهُ الدُّنْيا مُنْذُ يَوْمِ خَلَقَها اللهُ إِلَىْ يَوْمِ يُفْنِيْها، وَإِنَّ اللهَ لَيُباهِيْ بِسَيْفِ الْغازِيْ، وَرُمْحِهِ، وَسِلاحِهِ، وَإِذا باهَىْ اللهُ بِعَبْدٍ لَمْ يُعَذِّبْهُ اللهُ»(1).

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: صلَّينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع من رجع، وعقب من عقب، فجاء رسول الله ﷺ مسرعاً قد حَفَزَه النَّفَسُ قد حَسَرَ عن ركبته، قال: «أَبْشِرُوْا؛ هَذا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ باباً مِنْ أَبْوابِ السَّماءِ يُباهِيْ بِكُمُ الْمَلائِكَةَ، يَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عِبادِيْ قَدْ قَضَوْا

---

(1) رواه الخطيب البغدادي في «تالي التلخيص» (1/ 266)، ورواه أيضاً أبو يعلى في «معجمه» (ص: 270)، ورواه ابن حبان في «المجروحين» (2/ 139) وقال: فيه عبد العزيز بن عبد الرحمن الجزري يأتي بالمقلوبات عن الثقات فيكثر، والملزقات بالأثبات فيفحش.

فَرِيْضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُوْنَ أُخْرَىْ»[1].

وروى البزار، والطبراني في «الكبير» عن معاوية رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلى ومعه جماعة من أصحابه الأولى، ثم جلسوا فخرج عليهم، فقال: «ما بَرَحْتُمْ بَعْدُ؟» قالوا: لا، قال: «لَوْ رَأَيْتُمْ رَبَّكُمْ فَتَحَ باباً فِيْ السَّماءِ، فَأَرَىْ مَجْلِسَكُمْ مَلائِكَتَهُ يُباهِيْ بِكُمْ وَأَنْتُمْ تَرْقُبُوْنَ الصَّلاةَ»[2].

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه في «جزء» جمع فيه كلام أستاذه أبي علي الدَّقَّاق رضي الله عنه: وسمعته يقول: الملائكة لهم عبادة، وليس لهم انتظار العبادة، الانتظار لنا، قال ﷺ: «الْمُنْتَظِرُ لِلصَّلاةِ فِيْ الصَّلاةِ»[3]، والانتظار من صفات المحبين، وأنشد: [من الطويل]

أُرَاعِــيْ نُجُــوْمَ اللَّيْــلِ حَتَّــىْ كَــأَنَّنِيْ
عَلَــىْ كُــلِّ نَجْــمٍ فِــيْ الــسَّمَاءِ رَقِيْــبُ[4]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٨)، وابن ماجه (٨٠١). وصحح العراقي إسناده في «طرح التثريب» (٢/ ٣٢٦).

(٢) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٨) إلى البزار، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٦).

(٣) رواه البخاري (١٧٤)، ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة، ولفظه عند البخاري: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة».

(٤) انظر: «ديوان المعاني» للعسكري (٢/ ١٩٣).

قلت: والظاهر أن انتظار الفرج كانتظار العبادة في تخصيصه بأخيار البشر؛ لأنه يحتاج إلى صبر، وهو خاص بهم، كما سيأتي.

وقد روى القضاعي عن ابن عمر، وابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهم: أن النبي ﷺ قال: «انْتِظارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبادَةٌ»(١).

وأخرجه ابن أبي الدنيا من رواية علي رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «انْتِظارُ الْفَرَجِ عِبادَةٌ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيْلِ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللهُ مِنْهُ بِالْقَلِيْلِ مِنَ الْعَمَلِ»(٢).

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَلُوْا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبادَةِ انْتِظارُ الْفَرَجِ»(٣).

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٦) عن ابن عمر، وعن ابن عباس (٤٧) (١/ ٦٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠١٥): رواه القضاعي في «مسند الشهاب» من حديث ابن عمر وابن عباس، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» من حديث علي، دون قوله «بالصبر»، وكذلك رواه أبو سعيد الماليني في «مسند الصوفية» من حديث ابن عمر، وكلها ضعيفة، وللترمذي من حديث ابن مسعود: «أفضل العبادة انتظار الفرج».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٢). وانظر قول العراقي في التعليق السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧١) وقال: هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث، وحماد ابن واقد ليس بالحافظ، وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل، عن حكيم ابن جبير، عن رجل، عن النبي ﷺ، وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح.

أي: أفضل العبادة للمكروب والمهموم انتظار الفرج، والكرب والهم لا يتحقق في حق الملائكة عليهم السلام؛ إذ لا شهـوة لهم يخشون فواتها؛ إذ عيشهم فيما هم فيه، فلا يبعد أن يكون انتظار الفرج مما يباهى به الملائكةُ ـ أيضاً ـ.

وروى ابن السني، والديلمي عن طلحة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُباهِيْ الْمَلائِكَةَ بِالشَّابِّ الْعابِدِ؛ يَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عَبْدِيْ تَرَكَ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِيْ».

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد بن معدان رحمه الله تعالى قال: إن الله تبارك وتعالى يفاخر ملائكته بعبديـه الشابين ـ يعني: الشاب، والشابة ـ يقول لملائكته: انظروا إلى عبـدَيَّ كيف يلتمسان مرضاتي؛ أي: بطاعتي، وعبادتي.

وروى ابن عدي في «الكامل» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُباهِيْ الْمَلائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ[1] فِيْ الدُّنْيا يَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عَبْدِيْ ابْتَلَيْتُهُ بِالطَّعامِ وَالشَّرابِ فِيْ الدُّنْيا، فَتَرَكَهُما، أُشْهِدُكُمْ يا مَلائِكَتِيْ: ما مِنْ أَكْلَةٍ يَدَعُها إِلاَّ أَبْدَلْتُهُ بِها دَرَجاتٍ فِيْ الْجَنَّةِ»[2].

وروى الطبراني بإسناد جيد، عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوماً ـ وحضر رمضان ـ: «أَتاكُمْ رَمَضانُ،

---

(١) في «أ»: «طعمه».

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (٢/ ٧٥٠).

شَهْرُ بَرَكَةٍ يَغْشاكُمُ اللهُ فِيْهِ، فَيُنَزِّلُ الرَّحْمَةَ، وَيَحُطُّ الْخَطايا، وَيَسْتَجِيْبُ فِيْهِ الدُّعاءَ، يَنْظُرُ اللهُ إِلَىْ تَنافُسِكُمْ فِيْهِ، وَيُباهِيْ بِكُمْ مَلائِكَتَهُ، فَأَرُوْا اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيْهِ رَحْمَةَ اللهِ عَجَلَّ»[1].

وإنما تقع المباهاة بالصائمين في رمضان من هذه الأمة؛ لأن الصوم ـ وإن كان من عبادات الملائكة كما تقدم ـ فإنه من بني آدم أتم؛ لأن ترك الطعام والشراب من الملائكة ليس فيه كبير أمر لأنهم لا يحتاجون إليه؛ إذ لا شهوة لهم، وسلطان الشهوة لا يقاومه الإنسان إلا بقوة زائدة، وصبر شديد، ولو ركبت تلك الشهوة في الملائكة لما أطاقوا مقاومتها كما علمت من قصة هاروت وماروت، فلذلك يباهي الله بالصَّائم.

ألا ترى أن الله تعالى يقول في مباهاة الملائكة: «انظروا إلى عبدي ترك شهوته من أجلي؟»[2].

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٤٢) إلى الطبراني في «المعجم الكبير»، وقال: وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه.
قال الإمام أحمد: محمد بن أبي قيس هو ابن سعيد وهو الذي أراه قال يكنيه بكر بن خنيس أبا عبد الرحمن الشامي. انظر: «سؤالات أبي داود للإمام أحمد» (ص: ١٩٣).
وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٦٩): محمد بن سعيد بن حسان المصلوب: وهو محمد بن أبي قيس، وهو محمد بن الطبري، وهو القرشي الأزدي، وهو الدمشقي، وهو ابن الطبري، وقد دلسوه ألواناً كثيرة لئلا يعرف لسقوطه.

(٢) تقدم تخريجه.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضاعَفُ؛ الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثالِها إِلَىْ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، قالَ اللهُ ﷻ: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِيْ، وَأَنا أَجْزِيْ بِهِ؛ يَدَعُ طَعامَهُ، وَشَرابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِيْ». رواه الأئمة مالك، وأحمد، والستة[١].

وأراد بقوله: «وشهوته»: النكاح؛ لأنه أشار إلى شهوة الطعام والشراب أولاً.

وإذا كانت المباهاة للملائكة تكون بترك الشهوة الحلال في الصوم، فكيف بترك الشهوة الحرام إذا أمكنت؟ ومن ثَمَّ كان من دعته امرأة ذات حسن فقال: «إني أخاف الله»[٢] من السبعة المظللين يوم القيامة في ظل العرش، كما سيأتي.

بل الصبر عن كل معصية تدعو إليها الشهوة؛ كشرب الخمر، وطلب الدنيا بالطرق المحرمة، ينبغي أن يكون مخصوصاً ببني آدم؛ فإن الصبر كما قال حجة الإسلام: عبارة عن ثبات باعث الدين في مصادمة باعث الهوى[٣]، والملائكة خالون عن الشهوة والهوى، فلا يتحقق معنى الصبر فيهم.

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣١٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٤)، والبخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١)، وأبو داود (٢٣٦٣)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٢٢١٥)، وابن ماجه (١٦٨٣).

(٢) رواه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٦٥).

وفي الحديث تسمية رمضان «شهر الصبر»[1].

وفيه: «الصوم نصف الصبر»[2]، أي[3]: الصوم المخصوص ببني آدم، أو بالثقلين نصف الصبر.

فأمَّا الصوم من الملائكة فليس من الصبر في شيء؛ إذ لا شهوة لهم، فالمباهاة بالصائمين إنما هي بصبرهم في صومهم عن الشهوات التي لا يتأتى نظيره من الملائكة عليهم السلام، وقد وقعت الإشارة إلى هذا في حديث ابن مسعود السابق بقول الله تعالى: «انظروا إلى عبدي! ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا، فتركهما»[4].

وروى أبو نعيم عن كعب قال: إني لأجد نعت قوم تكون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية، قلوبهم على نور، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة، تعجب الملائكة من اجتهادهم واتصالهم بمحبة الله، قيل: يا أبا إسحاق! من هم؟ قال: قوم جوَّعوا أنفسهم له، وظمؤوها، ينادي يوم القيامة: ألا ليقم أهل الجوع والظمأ، فيلقطون من بين الصفوف، فيؤتى بهم إلى مائدة منصوبة لم تر العيون ولم تسمع

---

(١) في حديث رواه «النسائي» (٢٤٠٨) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر». ووردت هذه التسمية أيضاً في أحاديث أخرى.

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٩) وحسنه، عن جرير النهدي، عن رجل من بني سليم.

(٣) في «أ»: «أو».

(٤) تقدم تخريجه.

الآذان بمثلها، يحبسون عليها والناس في الحساب[1].

وروى الحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نزل جبريل عليه السلام فقال له النبي ﷺ: «كَيْفَ رَأَيْتَ عِيْدَنا؟» فقال: «لقد تباهى به أهل السماء»[2]، الحديث؛ يعني: عيد الأضحى، والتباهي بما فيه من نحر الأضاحي، كما يدل عليه آخر الحديث.

وأخرجه البزار، ولفظه: جاء جبريل عليه السَّلام إلى النَّبيِّ ﷺ يوم الأضحى، فقال: «كَيْفَ رَأَيْتَ نُسُكَنا هَذَا؟» قال: «تباهى به أهل السَّماء»[3].

ويحتمل أن تكون المباهاة بالاجتماع يوم العيد على الذِّكر والصَّلاة، فيكون المباهاة بعيد الفطر ـ أيضاً ـ.

وروى الإمام أحمد، والطَّبرانيُّ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُباهِيْ مَلائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ؛

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٥٢٦). قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢/ ٣٠): هذا الحديث عندهم ليس بالقوي والحنيني عنده مناكير.

(٣) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩) إلى البزار، وقال: وفيه إسحاق الحنيني وهو ضعيف. ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٧١) وضعفه.

يَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عِبادِيْ! أَتَوْنِيْ شُعْثاً غُبْراً»[1].

ورواه ابن حبان، والحاكم وصححاه، والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ: «إِنَّ اللهَ يُباهِيْ بِأَهْلِ عَرَفاتٍ أَهْلَ السَّماءِ، فَيَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عِبادِيْ هَؤُلاءِ! جاؤُوْنِيْ شُعْثاً غُبْراً»[2].

وروى مسلم، والنسائي، وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيْهِ عَبِيْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُوْ فَيَتَجَلَّىْ، ثُمَّ يُباهِيْ بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُوْلُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ»[3].

وروى أبو يعلى، والطبراني وسنده جيد، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُباهِيْ بِالطَّائِفِيْنَ»[4].

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (2/ 224)، والطبراني في «المعجم الصغير» (575). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (2/ 131): وإسناد أحمد لا بأس به.

(2) رواه ابن حبان في «صحيحه» (3852)، والحاكم في «المستدرك» (1708)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (5/ 58)، وصحح النووي إسناد البيهقي في «المجموع» (7/ 322).

(3) رواه مسلم (1348)، والنسائي (3003)، وابن ماجه (3014).

(4) رواه أبو يعلى في «المسند» (4609)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (8/ 216)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (4097). قال الهيثمي في =

وروى الطبراني في «الكبير»، والبزار ـ واللفظ له ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما عليه، ثم قالا: يا رسول الله! جئنا نسألك، فقال: «إِنْ شِئْتُما أَخْبَرْتُكُما عَمَّا جِئْتُما تَسْأَلانِيْ عَنْهُ فَعَلْتُ، وَإِنْ شِئْتُما أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلانِيْ فَعَلْتُ»، فقالا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفي للأنصاري: سَلْ، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال: «جِئْتَنِيْ تَسْأَلُنِيْ عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرامَ، وَما لَكَ فِيْهِ؟ وَعَنْ رَكْعَتَيْكِ بَعْدَ الطَّوافِ، وَما لَكَ فِيْهِما؟ وَعَنْ طَوافِكَ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ، وَما لَكَ فِيْهِ؟ وَعَنْ وُقُوْفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَما لَكَ فِيْهِ؟ وَعَنْ رَمْيِكَ الْجِمارَ، وَما لَكَ فِيْهِ؟ وَعَنْ نَحْرِكَ، وَما لَكَ فِيْهِ مَعَ الإِفاضَةِ؟».

فقال: والذي بعثك بالحق لَعَنْ هذا جئت أسألك.

قال: «فَإِنَّكَ إِذا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرامَ لا تَضَعُ ناقَتُكَ خُفَّاً، وَلا تَرْفَعُهُ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَكَ بِهِ حَسَنَةً، وَمَحا عَنْكَ خَطِيْئَةً.

وَأَمَّا رَكْعَتاكَ بَعْدَ الطَّوافِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِيْ إِسْماعِيْلَ.

وَأَمَّا طَوافُكَ بِالصَّفا وَالْمَرْوَةِ كَعِتْقِ سَبْعِيْنَ رَقَبَةً.

= «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٨): رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، وفي إسناد الطبراني محمد بن صالح العدوي، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وإسناد أبي يعلى فيه عائذ بن بشير، وهو ضعيف.

وَأَمَّا وُقُوْفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَإِنَّ اللهَ يَهْبِطُ إِلَىٰ سَماءِ الدُّنْيا فَيُباهِيْ بِكُمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُوْلُ: عِبادِيْ جاؤُوْنِيْ شُعْثاً مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ يَرْجُوْنَ جَنَّتِيْ، فَلَوْ كانَتْ ذُنُوْبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ، وَكَقَطْرِ الْمَطَرِ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرْتُها، أَفِيْضُوْا عِبادِيْ مَغْفُوْراً لَكُمْ، وَمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ.

وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمارَ، فَلَكَ بِكُلِّ حَصاةٍ رَمَيْتَها تَكْفِيْرُ كَبِيْرَةٍ.

وَأَمَّا نَحْرُكَ، فَمَذْخُوْرٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ.

وَأَمَّا طَوافُكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ تَطُوْفُ وَلا ذَنْبَ لَكَ، يَأْتِيْ مَلَكٌ فَيَضَعُ يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَيَقُوْلُ: اعْمَلْ فِيْمَا يُسْتَقْبَلُ، فَقَدْ غُفِرَ لَكَ ما مَضَىٰ»[1].

وقال الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي في «الحقائق»: لما دخلت على الشيخ الحصري ـ قدس الله روحه ـ ببغداد قال لي: أحاجٌّ أنت؟ قلت: أنا مع القوم، قال لي: أليس فرائض الحج أربعة: الإحرام، والدخول فيه بلفظ التلبية؟ قلت: نعم، قال: والتلبية إجابة؟ قلت: نعم، قال: والإجابة من غير دعوة سوء أدب؟ قلت: نعم، قال: فتحققت الدعوة حتى تجيب؟

ثم الوقوف؟ قلت: نعم، قال: فاجتهد فيه؛ فإنه محل المباهاة، انظر كيف يكون ثَمَّ.

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧٤) إلى الطبراني في «الكبير» والبزار، وقال: ورجال البزار موثقون، وقال البزار: قد روي هذا الحديث من وجوه، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق.

والطواف، وهو محل القربة من الحق، فيكون قربك منه بحسن الأدب.

ثم السعي، وهو محل الفرار إليه بالتبري مما سواه، فإياك أن تتعلق بعد سعيك بعلاقة من الدارين وما فيهما[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الإخلاص» عن كعب قال: رجال يباهي الله بهم ملائكته: الغازي في سبيل الله، ومقدمة القوم إذا حملوا، وحاميتهم إذا هزموا، والذي يخفي صلاته، والذي يخفي صدقته، والذي يخفي كل عمل صالح مما ينبغي أن يخفى[2].

وروى أبو نعيم من طريق الإمام أحمد في «الزهد» عن عقبة بن عبد الغافر قال: دعوة في السر أفضل من سبعين علانية، وإذا عمل العبد في العلانية عملاً حسناً، وعمل في السر مثله، قال الله تعالى لملائكته: هذا عبدي حقاً[3].

وروى أبو نعيم عن كعب قال: من سره أن يصحبه كتائب من الملائكة يستغفرون له، ويحفظونه، ويكفى ما أهمه، فلْيُخْفِ[4] في بيته من صلاته ما شاء[5].

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (١/ ١١٢).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٤٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣١١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٦١).

(٤) في «أ»: «فليخلف».

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٤).

وقال كعب: طوبى للذين يجعلون بيوتهم قبلة؛ يعني: مسجداً.

قال: والمساجد بيوت المتقين في الأرض، ويباهي الله ملائكته بالمخفي صلاته، وصيامه، وصدقته[1].

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء» عن عطية بن عبد الغفار قال: إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته، باهى الله به الملائكة، فيقول: هذا عبدي حقاً[2].

وذكر «فيه» أيضاً: أنه يقال: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: قل لبني إسرائيل: إني لا أنظر إلى صلاتكم، ولكن أنظر فيمن شك في شيء فتركه لأجل ذلك الذي أريده بنظري، وأباهي به ملائكتي[3].

وروى أبو الحسن بن جَهْضَم في «بهجة الأسرار» عن أبي بكر المروزي، عن رجل من طرسوس قال: فكرت ليلة في أحمد بن حنبل، وصبره على ضرب السياط، وكيف قوي على ذلك مع ضعف بدنه، قال: فبكيت، فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي: فكيف لو رأيت الملائكة في السماوات وهو يضرب وهي تتباهى به؟ قال: قلت: وعلمت الملائكة بضرب أحمد؟ فقال: ما بقي في السماوات

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٩١).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١١٨)، وكذلك ذكره المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٧٩) عن وهب اليماني مما نقل من الزبور.

ملك إلا وأشرف عليه وهو يضرب.

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن حبيش بن مبشرة قال: رأيت يحيى بن معين في المنام فقلت: ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني عليه، وزوجني ثلاث مئة امرأة، وجعل يباهي بي، ومهد لي بين الياسمين ـ وبيده شبه الورق ـ فقلت: يا أبا زكريا! ما هذا؟ قال: بهذا، وأومأ بيده التي فيها الورق؛ يعني: كتابة الحديث[1].

أخبرنا شيخ الإسلام الوالد ﷺ إجازةً، قال: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا، أنا العزُّ بن الفرات، عن أبي حفص المراغي، أنا الفخر بن البخاري، عن أبي المكارم أحمد بن محمد اللَّبَّان، وأبي الحسن مسعود ابن محمد بن أبي المنصور الكمال، قالا: أنا أبو علي الحسين بن أحمد الحداد، أنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، ثنا أبو عمرو عثمان ابن محمد العثماني، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثني أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي قال: نور المعرفة في القلب، وإشراقه في عيني الفؤاد في الصدر، فبذكر الله يرطب القلب ويلين، وبذكر الشهوات واللذات يقسو القلب وييبس، فإذا شغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات كان بمنزلة شجرة؛ إنما رطوبتها ولينها من الماء، فإذا منعت الماء يبست عروقها، وذبلت أغصانها، فإذا منعت السقي، وأصابها حر القَيظ يبست الأغصان، فإذا مددت غصناً منها انكسر، فلا تصلح إلا للقطع، فتصير

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ١٢٦)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ١١٠).

وقوداً للنار، وكذلك القلب إذا يبس وخلا من ذكر الله تعالى فأصابته حرارة النفس، ونار الشهوة، امتنعت الأركان من الطاعـة، فإذا مددتها انكسرت، فلا تصلح إلا حطباً للنـار، وإنما يرطب القلب بالرحمة، وما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك.

فهذا هو أصل، والعبـد مادام في الذكر، فالرحمـة دائمـة عليه كالمطر، فإذا قحط فالصدر في ذلك الوقت كالسَّنَة الجرداء اليابسة، وحريق الشهوات فيها كالعمائم[1]، والأركان معطلة عن أعمال البر.

فدعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، وهيأ لهم فيها ألوان العبادة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه، والأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة، وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتَّى لا يبقى عليهم دنَس ولا غبار؛ فإن الله تعالى اختار الموحدين ليباهي بهم يوم الجمع الأكبر في تلك العَرَصَة الملائكة؛ لأن آدم وولده ظهر خلقهم من يده بالمحبة[2]، والملائكة ظهر خلقهم من القدرة لقوله: كن فكان، فمن محبته للآدميين يفرح بتوبتهم، خلقهم والشهوات والشياطين في دار الابتلاء، فيباهي بهم في ذلك الجمع، ويقول: يا معشر ملائكتي! إن محاسنكم خرجـت منكم، ومن النـور خلقتكم، وأنتم في أعالي المملكة تعـاينون بها عظمتي وحجتي وسـلطاني، وقـد عريتـم من الشَّـهوات

---

(١) في «حلية الأولياء»: «كالسمائم».

(٢) في «أ»: «عن يـد من المحبة».

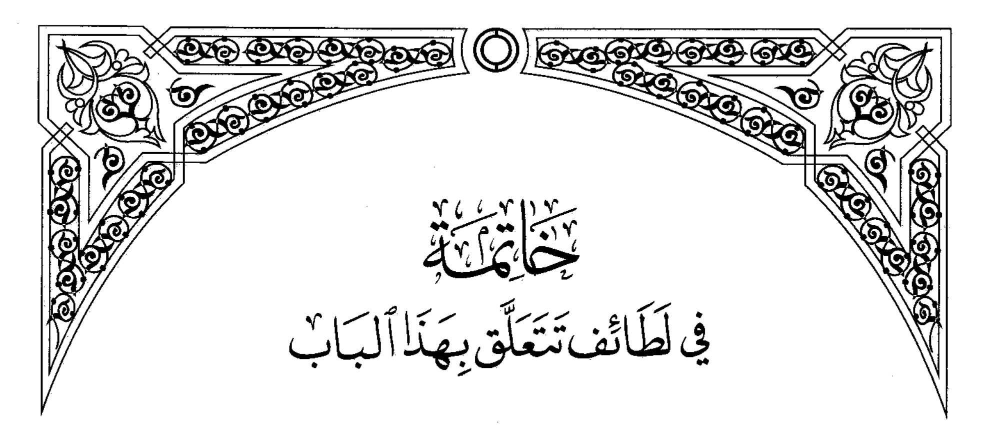
والشَّياطين، والآدميون خرجت منهم هذه المحاسن من نفوسهم الشَّهوانية، والشَّياطين قد أحاطت بهم في أداني المملكة، ومن التراب خلقتهم، فلذلك استوجبوا مني داري وجواري[1]. انتهى.

ولا يخفى ما فيه من بيان وجه المباهاة للملائكة عليهم السَّلام.

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٤).



خاتمة
في لطائف تتعلق بهذا الباب

روى الشَّيخ الزَّاهد الفقيه سيِّدي نصر المقدسي رضي الله تعالى عنه في كتاب «الحجة» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى: أنه قال: الملائكة حراس السَّماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض[1].

قلت: الملائكة عليهم السلام يحرسون السماء من الشياطين كما قال الله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

وأصحاب الحديث، ومن كان على قدمهم من العلماء، يحرسون القلوب في الأرض أن تضلها الشياطين من الجن والإنس عن عقائد السنة.

ويحوز أن يكون حراستهم الأرض: أن الله تعالى يمنع العذاب بهم عن أهل الأرض، ويدفع بهم البلايا عنهم.

وروى الخَلاَّل قال: أخبرني أحمد بن الحسين بن حسان قال:

---

(١) انظر: «مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي» (١٠٩). ورواه أيضاً الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤٤).

سمعت رجلاً من خراسان يقول: عندنا بخراسان يرون أن أحمد بن حنبل لا يشبه البشر، يظنون أنه من الملائكة[1].

قلت: وفي أمثال الناس إذا أرادوا أن يثنوا على الرجل بحسن الأخلاق، ونفع الناس، وكف الأذى قالوا: فلان كأنه ملك، أو: فلان من الملائكة.

وفي أمثالهم: لا تقاس الملائكة بالحدادين[2]، وهذا المثل أورده حجة الإسلام في «الإحياء» متمثلاً به[3].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «امْشُوْا أَمامِيَ، خَلُّوْا ظَهْرِيَ لِلْمَلائِكَةِ»[4].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن نَوف البَكَالي قال: انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السَّمك، فجعل الكافر يلقي شبكته، ويذكر آلهته، فتجيء بدفق، ويلقى الرجل، ويذكر الله ﷻ، فلا تجيء بشيء، قال: فتعاهد ذلك إلى مغيب الشمس، ثم إن المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده، فاضطربت، فوقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه

---

(١) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١١)، ثم قال: هذا غلو لا ينبغي، لكن الباعث له حب ولي الله في الله.

(٢) أورده العسكري في «جمهرة الأمثال» (ص: ٦٧) وقال: الحدادون: السجانون، وكل مانع عند العرب حداد.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٤)، وغيرها من المواضع.

(٤) ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٨) من حديث جابر الطويل.

شيء، ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته، فأسف مَلَك المؤمن، فقال: أي رب! عبدك هذا المؤمن الذي يدعوك رجع ليس معه شيء، وعدوك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته؟ فقال الله ﷻ لملك المؤمن: تعال، فأراه مسكن المؤمن في الجنة، فقال: ما يضر عبدي المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا، وأراه مسكن الكافر في النار، فقال: هل يغني عنه من شيء أصاب في الدنيا؟ قال: لا والله يا رب[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «المرض والكفارات» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مَرِضَ مُسْلِمٌ إلاَّ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ مِنْ مَلائِكَتِهِ لا يُفارِقانِـهِ حَتَّىْ يَقْضِـيَ اللهُ فِيْ أَمْرِهِ بِإِحْدَىْ الْحُسْنَيَيْنِ؛ إمَّا بِمَوْتٍ، وَإِمَّا بِحَياةٍ، فَإِذا قالَ لَهُ الْعُوَّادُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقالَ: أَحْمَدُ اللهَ، أَجِدُنِيْ ـ وَاللهُ مَحْمَوْدٌ ـ بِخَيْرٍ، قالَ لَهُ الْمَلكانِ: أَبْشِرْ بِدَمٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ دَمِكَ، وَصِحَّةٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ صِحَّتِكَ، فَإِنْ قالَ: أَجِدُنِيْ فِيْ بَلاءٍ وَشِدَّةٍ، قالَ لَهُ الْمَلَكانِ مُجِيْبِيْنَ لَهُ: أَبْشِرْ بِدَمٍ هُوَ شَرٌّ مِنْ دَمِكَ، وَبِبلاءٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ بَلائِكَ»[2].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ رَجُلاً قَتَلَ تِسْعَةً وَتسعِيْنَ نَفْساً، ثُمَّ

---

(١) رواه الإمام أحمد «الزهد» (ص: ٢١٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (ص: ٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٤٠).

عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىْ راهِبٍ، فَأَتاهُ، فقالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقالَ: لا، فَقَتَلَهُ وَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىْ رَجُلٍ عالِمٍ، فَقالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىْ أَرْضِ كَذَا وَكَذا؛ فَإِنَّ بِها ناساً يَعْبُدُوْنَ اللهَ تَعَالَىْ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَىْ أَرْضِكَ؛ فَإِنَّها أَرْضُ سُوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىْ إِذا نصَفَ[1] الطَّرِيْقُ أَتاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيْهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذابِ، فَقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَنا تائِباً مُقْبِلاً، وَقالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَأَتاهُمْ مَلَكٌ فِيْ صُوْرَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ، فَقالَ: قِيْسُوْا ما بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَىْ أَيَّتِهِما كانَ أَدْنَىْ فَهُوَ لَهُ، فَقاسُوْهُ فَوَجَدُوْهُ أَدْنَىْ إِلَىْ الأَرْضِ الَّتِيْ أَرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[2].

قلت: هذا الحديث موافق لقوله تعالى في الحديث القدسي: «إن رحمتي تَغلِبُ غضبي»[3].

ولا لوم على الملائكة في هذا الخصام؛ لأن كل طائفة منهم قائمة بأمر الله تعالى، ولو لم يختصموا لكانوا مقصِّرين فيما أُمروا به.

---

(١) في «أ»: «أنصف».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وفي هذا الحديث دليل على أن الملائكة عليهم السلام متعبَّدون بالاجتهاد.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَنْزِلُ عَلَىٰ قَوْمٍ فِيْهِمْ قاطِعُ رَحِمٍ»[1].

والمراد ملائكة الزيارة والإكرام، فأمَّا ملائكة الحفظ، فإنهم ملازمون العبد كما سبق، وهذا منهم من باب هجران أهل العصيان.

وروى الترمذي، وأبو نعيم، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا كَذَبَ الرَّجُلُ كَذْبَةً تباعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيْلاً مِنْ نَتَنِ ما جاءَ بِهِ»[2].

والمراد بهذا الملك الحافظ، وتباعدُه استقذارٌ لما أتى به صاحبه من الكذب.

واستقباح الكذب ونحوه من الأعمال السيئة، والأقوال الخبيثة، واستقذاره إنما يدرك بالسر، لا بالحواس الظاهرة، فهو أمر روحاني، والروح تدرك من نتن المعاني وقبحها ما يسهل عنده أقبح رائحة تدرك بحاسة الشم.

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥١) إلى الطبراني، وقال: فيه أبو أدام المحاربي وهو كذاب. ورواه أيضاً البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣).

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٢) وقال: حسن جيد غريب، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٧).

وروى الشـيخان، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعـالى عنها قالت: قال رسـول الله ﷺ: «يا عائِشَـةُ! هَذا جِبْـرِيـلُ يَقْـرأُ عَلَيْـكِ السَّلامَ»، قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى؛ تريـد رسول الله ﷺ[1].

وسبق أن السلام، والرد من أعمال الملائكة.

وفي هذا الحديث أنهم يرسلون السلام إلى أهل الخير، ويذكرون عند أهل الخير أهلهم بخير، وفي ذلك إدخال السرور عليهم.

وروى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَتانِيْ جبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقالَ: يا رَسُوْلَ اللهِ! هَذِهِ خَدِيْجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَها إِناءٌ فِيْهِ إِدامٌ، أَوْ طَعامٌ، أَوْ شَرابٌ، فَإِذا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْها السَّلامَ مِنْ رَبِّها، وَبَشِّرْها بِبَيْتٍ فِيْ الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيْـهِ وَلا نَصَبَ»[2].

وروى الحكيم الترمذي في «نـوادر الأصـول»، والطبـراني في «الكبير»، والحافظ ضياء الدين المقدسـي في «الأحـاديث المختـارة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [قال رسول الله ﷺ]: «أَتانِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقالَ: أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ رِضاهُ حُكْمٌ، وَإِنَّ غَضَبَهُ عِزٌّ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩٥)، ومسلم (٢٤٤٧).

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٢)، ورواه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٦٠٩).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٢٧)، والطبـراني في =

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ما نافَحَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ»(١).

وروى ابن أبي شيبة، عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «اهْجُ الْمُشْرِكِيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيْلَ مَعَكَ»(٢).

وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ عمر بحسان رضي الله تعالى عنهما وهو ينشد في المسجد، فنظر إليه، فقال: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، فسكت، ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله! هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَجِبْ عَنِّيَ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ؟»، قال: نعم(٣).

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن ابن بُريدة: أن جبريل عليه

= «المعجم الكبير» (١٢٤٧٢)، والمقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ١٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٩): وفيه خالد بن زيد العمري، وهو ضعيف.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧٢)، والترمذي (٢٨٤٦) وصححه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٢٢)، ورواه أيضاً البخاري (٣٨٩٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٢).

السلام أعان حسان بن ثابت على مدحة النبي ﷺ بسبعين بيتاً[1].

قلت: في هذه الأحاديث دليل على أن إنشاء الشعر في مدح الله ورسوله، وهجاء أعدائهم، ونحو ذلك مما يرضى به الملائكة، ويستمعون إليه، بل في حديث ابن بريدة أنه من فعل جبريل، وهو أفضل الملائكة عليهم السَّلام.

وروى الدينوري في «المجالسة»، وابن عساكر ـ بسند فيه متهم[2] ـ عن أنس ﷺ: أن الله تعالى لما حشر الخلائق إلى بابل هبطت ملائكة الخير والشر، وملائكة الحياء والإيمان، وملائكة الصحة والشفاء، وملائكة الغنى، وملائكة الشرف، وملائكة المروءة، وملائكة الجفاء، وملائكة الجهل، وملائكة السيف، وملائكة البأس حتى انتهوا إلى العراق، فقال بعضهم لبعض: افترقوا، فقال ملك الإيمان: أنا أسكن المدينة ومكة، فقال ملك الحياء: أنا معك.

وقال ملك الشفاء: أنا أسكن البادية، فقال ملك الصحة: وأنا معك.

فقال ملك الجفاء: وأنا أسكن المغرب، فقال ملك الجهل: وأنا معك.

---

(١) ورواه أيضاً الفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٣٠٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٤٠٦).

(٢) هو يغنم بن سالم. قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٣١٥): أتى بعجائب، قال أبو حاتم: ضعيف، وقال ابن حبان: كان يضع على أنس بن مالك، وقال ابن يونس: حدث عن أنس فكذب، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.

فقال ملك السيف: أنا أسكن الشام، فقال ملك البأس: وأنا معك.

فقال ملك الغنى: أنا أقيم هاهنا، فقال ملك المروءة: وأنا معك.

فقال ملك الشرف: وأنا معكما، فاجتمع الغنى والمروءة والشرف بالعراق[1].

قلت: معنى إقامة الملائكة بهذه المعاني بالعراق: أن سلطان تلك المعاني بالعراق ـ وإن كانت موجودة بغيره ـ إلا أنها فيه أكثر منها في غيره.

وكذلك سكنى الإيمان والحياء بالحرمين، معناه أنهما فيهما أكثر منهما في غيرهما، وكذا الباقي.

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن سليم الخَوَّاص أنه قال: الناس ثلاثة أصناف: صنف شبه الملائكة، وصنف شبه البهائم، وصنف شبه الشياطين؛ فأمَّا الذين شبه الملائكة فالمؤمنون في ليلهم ونهارهم طائعين يحبون أهل الطاعة، وأما الذين شبه البهائم فالذين ليس لهم هَمٌّ إلا الأكل والشرب والنكاح والنوم، فهم كالبهائم، وأما الذين شبه الشياطين فالذين في معاصي الله صباحاً ومساءً[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٣٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٥٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٨).

وروى البزار، والحاكم، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ صَباحٍ إلاَّ وَمَلَكانِ يُنادِيانِ، يَقُوْلُ أَحَدُهُما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُوْلُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً، وَمَلَكانِ مُوَكَّلانِ بِالصُّوْرِ يَنْتَظِرانِ مَتَىْ يُؤْمَرانِ فَيَنْفُخانِ، وَمَلَكانِ يُنادِيانِ، يَقُوْلُ أَحَدُهُما: يا باغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَقُوْلُ الآخَرُ: يا باغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَمَلَكانِ يُنادِيانِ، يَقُوْلُ أَحَدُهُما: وَيْلٌ لِلرِّجالِ مِنَ النِّساءِ، وَيَقُوْلُ الآخَرُ: وَيْلٌ لِلنِّساءِ مِنَ الرِّجالِ»(١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن كعب قال: أجد في الكتاب: ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيدي ملك، فإن ارتفع وضعه الله تعالى، وإن تواضع رفعه الله ﷻ(٢).

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ آدَمِيٍّ إِلاَّ وَفِيْ رَأْسِهِ حِكْمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذا تَواضَعَ قِيْلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذا تَكَبَّرَ قِيْلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ»(٣).

---

(١) عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣١) إلى البزار، وقال: وفيه خارجة بن مصعب الخراساني، وهو ضعيف جداً، وقال يحيى بن يحيى: مستقيم الحديث، وبقية رجاله ثقات. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٩).

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٤٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩٣٩)، وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٢).

وأخرجه البزار بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بإسناد حسن[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الذكر» عن حَجَّاج بن فرافصة قال: إن لله خلقاً من الملائكة عليهم السلام نصفه ثلج ونصفه نار، يقول: يا مؤلفاً بين الثلج والنار! ألف بين قلوب العباد[2].

وروى أبو نعيم عن عبد الرَّحمن بن ميسرة الحَضْرمي قال: إن لله ملكاً اسمه روقيل، نصفه ثلج ونصفه نار، صلاته يقول: اللهم كما ألفت بين هذا النور وبين هذا الثلج، فلا الثلج يطفىء النور ولا النور يطفىء الثلج، فألف بين عبادك المؤمنين.

قال: وكان يقال: وكِّل بالصيام[3].

وروى أبو نعيم، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فِيْ السَّماءِ أَبْصَرُ بِعَمَلِ بَنِيْ آدَمَ مِنْ بَنِيْ آدَمَ، تَفْخَرُ بِهِمُ السَّماءُ، فَإِذا نَظَرُوْا إِلَىْ عَبْدٍ عَمِلَ بِطاعَةِ اللهِ ذَكَرُوْهُ بَيْنَهُمْ، فَقالُوْا: أَفْلَحَ اللَّيْلَةَ فُلانٌ، فازَ اللَّيْلَةَ فُلانٌ، وَإِذا رَأَوْا عَبْداً يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىْ قالُوْا:

---

(١) كذا عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٥٢) إلى البزار، وحسن إسناده.

(٢) ورواه مرفوعاً أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٩): عن معاذ بن جبل والعرباض بن سارية، وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٦٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١٠).

خَسِرَ اللَّيْلَةَ فُلانٌ، هَلَكَ اللَّيْلَةَ فُلانٌ»[1].

قلت: ومثل ذلك لا يكون غيبة؛ لأن الله تعالى أطلعهم على حقيقة الأمر، وأمرهم بذلك؛ فإنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

ويحتمل أن يكون قولهم: «خسر الليلة فلان، هلك الليلة فلان» من باب الرحمة والأسف عليه، لا من باب التفكُّه بذكره؛ فإن هذا من خلق بني آدم، لا من خلق الملائكة.

وروى حسين المروزي راوي كتاب «البر والصلة» لابن المبارك في «زوائده» عن مجاهد قال: إن الملائكة مع ابن آدم، فإذا ذكر أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: ابن آدم المستور عورته أَرْبَع على نفسك، واحمد الذي ستر عورتك[2].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن جُبير بن نُفير رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الصبح، فلما فرغ أقبل بوجهه على الناس رافعاً صوته حتى كان يسمع من الخدور، وهو يقول: «يا مَعْشَرَ الَّذِيْنَ أَسْلَمُوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيْمانُ فِيْ قُلُوْبِهِمْ! لا تُؤْذُوْا الْمُسْلِمِيْنَ، وَلا تُعَيِّرُوْهُمْ، وَلا تَتَّبِعُوْا عَثَراتِهِمْ؛ فَإِنَّ مَنْ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٢). وفيه سلام الطويل، وهو متروك الحديث، كما ذكر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٩٥٨).

(٢) وتقدم تخريجه عن أبي نعيم.

يَتَّبِعُ عَثْرَةَ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعُ اللهُ عَثْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَهُوَ فِيْ قَعْرِ بَيْتِهِ».

فقال قائل: يا رسول الله! وهل على من ستر؟

فقال رسول الله ﷺ: «سُتُوْرُ اللهِ عَلَىْ الْمُؤْمِنِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَعْمَلُ بِالذُّنُوْبِ فَيَهْتِكُ اللهُ عَنْهُ سُتُوْرَهُ سِتْراً سِتْراً، حَتَّىْ لا يَبْقَىْ عَلَيْهِ مِنْها شَيْءٌ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ لِلْمَلائِكَةِ: اسْتُرُوْا عَلَىْ عَبْدِيَ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلا يُغَيِّرُوْنَ، فَتَحُفُّ بِهِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها يَسْتُرُوْنَهُ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ تابَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ سُتُوْرَهُ، وَمَعَ كُلِّ سِتْرٍ تِسْعَةُ أَسْتارٍ، فَإِنْ تَتابَعَ فِيْ الذُّنُوْبِ قالَتِ الْمَلائِكَةُ: رَبَّنا! إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنا وَأَقْذَرَنا، فَيَقُوْلُ لِلْمَلائِكَةِ: اسْتُرُوْا عَبْدِيَ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلا يُغَيِّرُوْنَ، فَتَحُفُّ بِهِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها يَسْتُرُوْنَهُ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ تابَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ سُتُوْرَهُ، وَمَعَ كُلِّ سِتْرٍ تِسْعَةُ أَسْتارٍ، فَإِنْ تَتابَعَ فِيْ الذُّنُوْبِ قالَتِ الْمَلائِكَةُ: يا رَبَّنا! إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنا وَأَقْذَرَنا، فَيَقُوْلُ اللهُ: اسْتُرُوْا عَلَىْ عَبْدِيَ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلا يُغَيِّرُوْنَ، فَتَحُفُّ بِهِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا يَسْتُرُوْنَهُ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ تابَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ، وَإِنْ عادَ قالَتِ الْمَلائِكَةُ: رَبَّنا! إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنَا وَأَقْذَرَنا، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ لِلْمَلائِكَةِ: تَخَلَّوْا عَنْهُ، فَلَوْ عَمِلَ ذَنْباً فِيْ بَيْتٍ مُظْلِمٍ فِيْ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فِيْ جُحْرٍ أَبْدَىْ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ عَوْرَتِهِ»[1].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٠٧).

وروى ابن أبي شيبة عن خيثمة رحمه الله تعالى: أنه قال: تقول الملائكة: يا رب! عبدك المؤمن تَزوي عنه الدنيا، وتعرضه للبلاء؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه قالوا: يا رب! لا يضره ما أصابه من الدُّنيا.

ويقولون: عبدك الكافر تزوي عنه البلاء، وتبسط له الدنيا؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه، فإذا رأوا عقابه قالوا: يا رب! لا ينفعه ما أصابه من الدنيا(١).

وسبق في نحو ذلك عن نوف البكالي رحمه الله تعالى حكاية المؤمن والكافر في صيد السمك.

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن قال: لما خلق الله آدم عليه السلام وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، قال: إني جاعل موتاً، قال: إذاً لا يهنيهم عيش، قال: إني جاعل أملاً(٢).

وروى أبو نعيم عن عبد الأعلى التيمي رحمه الله تعالى قال: إذا جلس قوم فلم يذكروا الجنة والنار قال الملائكة: أغفلوا العظيمتين، ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «لا تَنْسَوُا الْعَظِيْمَتَيْنِ»، قلنا: وما العظيمتان

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٠٢٠)، وقد رواه مرفوعاً أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٢٣) عن عبدالله بن عمرو، وقال: وهو من مفاريد محمد بن عبيد الغزي، والمشهور ما رواه الناس عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة.

(٢) تقدم تخريجه.

يا رسول الله؟ قال: «الْجَنَّةُ وَالنَّارُ». رواه أبو يعلى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[1].

والمراد بذكر الجنة أن تطلب من الله، وذكر النار أن يستعاذ به منها.

أو ذكرهما وما فيهما مما ورد به الكتاب والسنة ترغيباً لنفس الذاكر، أو لغيره في الجنة، وترهيباً من النار.

وروى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال: ما من شجرة ـ صغيرة ولا كبيرة ـ، ولا مغرز إبرة ـ رطبة ولا يابسة ـ إلا ملك متوكل بها يأتي الله بعلمها كل يوم، ورطوبتها إذا رطبت، ويبوستها إذا يبست[2].

وروى أبو الشيخ في «العظمة» عن الحسن قال: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، وينزل مع المطر كذا، وكذا من الملائكة يكتبون حيث يقع فيه المطر، ومن يرزقه، وما يخرج منه مع كل قطرة[3].

وروى الحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل» عن سعيد بن هلال قال: سمعت أبا جعفر محمَّد بن علي رضي الله تعالى عنه وتلا:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٨) عن عبد الأعلى، وعزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٤٨) إلى أبي يعلى، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (ص: ١٥) عن ابن عمر.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس: ٢٥]، فقال: حدثني جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إِنِّيْ رَأَيْتُ فِيْ الْمَنامِ كَأَنَّ جِبْرِيْلَ عِنْدَ رَأْسِي، وَمِيْكائِيْلَ عِنْدَ رِجْلِيَ، يَقُوْلُ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً، فَقالَ: اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ: إِنَّما مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ داراً، ثُمَّ بَنَىْ فِيْها بِناءً، ثُمَّ جَعَلَ فِيْها مَأْدُبَةً، ثُمَّ بَعَثَ رَسُوْلاً يَدْعُوْ النَّاسَ إِلَىْ طَعامِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجابَ الرَّسُوْلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ، فَاللهُ هُوَ الْمَلِكُ، وَالدَّارُ الإِسْلامُ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ، وَأَنْتَ يا مُحَمَّدُ رَسُوْلٌ، فَمَنْ أَجابَكَ دَخَلَ الإِسْلامَ، وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِنْها»(١).

وروى أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: استقبلني النبي ﷺ، فانطلقنا حتى أتينا موضعاً لا ندري ما هو، فوضع رسول الله ﷺ رأسه في حجري، ثم إن ناساً أتوا، عليهم ثياب بيض طوال، وقد أغفى رسول الله ﷺ، قال عبدالله: فأرعبت منهم، فقالوا: لقد أعطي هذا العبد خيراً؛ إن عينه نائمة والقلب يقظان، ثم قال بعضهم لبعض: هلم فنضرب له مثلاً، قال بعضهم لبعض: اضربوا له ونتأول نحن، أو نضرب نحن وتتأولون أنتم، فقال بعضهم: مثله كمثل سيد اتخذ مأدُبة، ثم ابتنى بنياناً

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨١٨٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٧٠)، ورواه أيضاً بلفظ نحوه: البخاري (٦٨٥٢)، والترمذي (٢٨٦٠).

حصيناً، ثم أرسل إلى الناس، فمن لم يأت طعامه عذبه عذاباً شديداً، قال الآخرون: أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام، والطعام الجنة، وهذا الداعي؛ فمن اتبعه كان في الجنة، ومن لم يتبعه عذب عذاباً أليماً، ثم إن رسول الله ﷺ استيقظ فقال: «ما رَأَيْتَ يا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ؟» فقلت: رأيت كذا وكذا، قال: «أَفَخَفِيَ عَلَيَّ مِمَّا قالُوْا شَيْءٌ؟» وقال النبي ﷺ: «هُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»(١).

وروى أبو الشيخ عن عبيد بن أبي مرزوق قال: من قرأ عند نومه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤] بسط عليه ملك جناحه حتى يصبح، وعوفي من السرق(٢).

وروى الحاكم وصححه، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله؛ إن العبد إذا قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله» قبض عليهن ملك، فضمهنَّ تحت جناحه، ويصعد بهن لا يمرُّ بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحَيَّا بهن وجه

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٥) إلى ابن مردويه.

(٢) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٢) إلى أبي الشيخ.

الرحمن، ثم تلا عبدالله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠][١].

ورواه الطبراني فقال: «حتى يجيء بهن وجه الرحمن»[٢].

وروى الترمذي وحسنه، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «مَنِ ابْتَغَىْ الْقَضاءَ وَسَأَلَ عَلَيْهِ الشُّفَعاءَ وُكِلَ إِلَىْ نَفْسِهِ، وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللهُ تَعالَىْ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ»[٣].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر» عن أنس رضي الله عنه قال: قال أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: لأدخلن المسجد فلأصلين، ولأحمدن الله بمحامد لم يحمده بها أحد، فلما صلى وجلس ليحمد الله، ويثني عليه، فإذا هو بصوت عالٍ من خلفه يقول: «اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله ـ علانيته وسره ـ لك الحمد إنك على كل شيء قدير، اغفر لي ما مضى

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٩)، لكنه قال: «حتى يجيء بهن وجه الرحمن». كذا في المطبوع، لكن قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨١): كذا في نسختي «يحيًا» بالحاء المهملة وتشديد المثناة تحت. ورواه الطبراني فقال: «حتى يجيء» بالجيم، ولعله الصواب. ورواه أيضاً الطبري في «التفسير» (٢٢/ ١٢٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤).

(٣) رواه الترمذي (١٣٢٤) وحسنه، ورواه أيضاً أبو داود (٣٥٧٨) بلفظ قريب، وابن ماجه (٢٣٠٩).

من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني أعمالاً زاكية ترضى بها عني، وتب عليَّ»، فأتى رســول الله ﷺ فقص عليه، فقال: «ذَاكَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ»[1].

وهذا الحديث سبق ذكره مع نظائره.

وفي هذا الحديث دليل على أن جبريل عليه الصلاة والسلام قد يتصور لغير الأنبياء عليهم السلام ليعلمهم لا على سبيل الوحي.

وروى أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قالَ ـ يعني: إذا خرج من بيته ـ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىْ اللهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، يُقالُ لَهُ: كُفِيْتَ، وَوُقِيْتَ»، وَتَنَحَّىْ عَنْهُ الشَّيْطانُ[2].

وروى ابن السُّنِّي من حديث ميمونة رضي الله تعالى عنها: أنه إذا قال: «بسم الله» قال الملك: «هديت»، وإذا قال: «توكلت على الله» قال له الملك: «كفيت»، وإذا قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» قال له الملك: «وقيت»[3].

وهذا يدل أن المراد بالقائل في حديث أنس الملائكة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) وحسنه واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٩١٧).

(٣) ورواه ابن ماجه (٣٨٨٦) عن أبي هريرة.

وفي «الفردوس» من حديث أنس رضي الله تعالى عنه: وإذا قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» قالت الملائكة: «كفيت من كل بلاء»[١].

وروى البزار، والطبراني عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَيَّدَنِيْ بِأَرْبَعَةِ وُزَراءَ؛ اثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ السَّماءِ: جِبْرِيْلَ، وَمِيْكائِيْلَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَاثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ: أَبِيْ بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىْ عَنْهُما»[٢].

وأخرجه الحاكم وصححه، من حديث أبي سعيد بمعناه[٣].

وروى الطبراني بسند حسن، عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِيْ السَّماءِ مَلَكَيْنِ أَحَدُهُما يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِاللِّيْنِ، وَكُلٌّ مُصِيْبٌ: جِبْرِيْلَ وَمِيْكائِيْلَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَنَبِيَّيْنِ أَحَدُهُما يَأْمُرُ بِاللِّيْنِ، وَالآخَرَ يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيْبٌ، وَذَكَرَ نُوْحاً وَإِبْراهِيْمَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَلِيْ صاحِبانِ أَحَدُهُما يَأْمُرُ بِاللِّيْنِ، وَالآخَرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيْبٌ»؛ وذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٤١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥١): رواه الطبراني وفيه محمد بن محبب الثقفي، وهو كذاب، ورواه البزار بمعناه، وفيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول، وهو كذاب.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥١): رجاله ثقات.

وروى الجندي في «فضائل مكة» عن وُهَيب بن الورد قال: كنت أطوف أنا وسفيان بن سعيد الثوري ليلاً فانقلب سفيان، وبقيت في الطواف، فدخلت الحجر، فصليت تحت الميزاب، فبينا أنا ساجد إذ سمعت كلاماً بين أستار الكعبة والحجارة وهو يقول: يا جبريل! أشكو إلى الله، ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من تفكههم في الحديث، ولغطهم، وشؤمهم.

قال وهيب رحمه الله تعالى: فأولت أن البيت يشكو إلى جبريل عليه السلام[1].

وروى الحاكم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً مُوَكَّلاً بِمَنْ يَقُوْلُ: يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، فَمَنْ قالَها ثَلاثاً قالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ حاجَتَكَ»[2].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن قتادة رحمه الله تعالى قال: إذا راءى العبد يقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي يتهزأ بي[3].

وهذا وما سبق من مباهاة الملائكة ببعض أهل الطاعة في طرفي نقيض.

---

(١) وكذا رواه أبو بكر الآجري في «مسألة الطائفين» (ص: ٣٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٥) وقد تقدم نحوه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٦).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٧٩).

و«فيها» عن أحمد بن شعيب قال: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ»، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: لله لأقطرن غداً نعلي، فأطأ بها أجنحة الملائكة، قال: ففعل ومشى في النعلين، فجفت رجلاه جميعاً، ووقعت في رجليه جميعاً الأَكِلَة(١).

وقد سبق نظير هذا إلا أن الذي فعل ذلك كان ماجناً، وفي هذه أنه كان معتزلياً، والمعتزلة ينكرون الجن ومسيسهم كما سيأتي، ومنهم من ينكرون الملائكة.

وهذا كأنه كان ينكر وجود الملائكة، أو ينكر تواضعهم للعلماء، ووضعهم أجنحتهم لهم، أو فعل ذلك امتهاناً للملائكة، وامتهانهم ضلال، وعداوتهم كفر.

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٩٨].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا ماتَ الْمَيِّتُ تَقُوْلُ الْمَلائِكَةُ: ما قَدَّمَ؟ وَيَقُوْلُ النَّاسُ: ما خَلَّفَ؟»(٢).

وروى الدِّينوري في «المجالسة» عن الأصمعي قال: نزلنا في طريق

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

بين مكة والبصرة في بعض المناهل، فحضرت الجمعة، ولم يحضر الإمام، فقيل لأعرابي: يا أعرابي! قم فاخطب، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس! إنما الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم؛ فإن العبد إذا هلك قالت الملائكة: ما قدم؟ وقال بنو آدم: ما خلف؟ فقدموا لأنفسكم بعضاً تجدوه قريباً، ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم ثقيلاً، والمحمود الله، والمصلى عليه محمَّد ﷺ، والمدعوُّ[١] له الخليفة، والأمير جعفر، قوموا إلى صلاتكم[٢].

وإنما تسأل الملائكة عما قدم العبد لأنه هو الذي يبقى؛ فإن كان خيراً علموا أنه في الخير، وإن كان سوءاً علموا أنه في السوء الدائم.

والمسؤول من الملائكة مَلَكَا العبد، أو يسألهما بعض الملائكة، ثم يتحاكون عن عمله في السماء.

والناس يسألون عما خلف ـ أي: من الأموال والورثة ـ لأن المال مطرح نظر الأكثرين منهم، وإنما يسألون عن الورثة للغبطة والحسد، أو للتشفي، أو نحو ذلك مما الملائكة منزهون عنه.

فينبغي للعاقل من الناس أن يكون اعتباره إذا حضر الميت، أو

---

(١) في «أ»: «المدعي».

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٨١).

سمع بموته فيما قدم بين يديه، وما يقول وما يقال له، وما يجازى به، وليعلم أنه صائر إلى مثل ما صار إليه.

ولقد أحسن القائل: [من السريع]

يَـــا أَيُّهَـــا الْبَـــاكِيْ عَلَـــىْ غَيْـــرِهِ
ابْـــكِ عَلَـــىْ نَفْـــسِكَ لا تَبْكِـــهِ
إِنَّ الَّـــذِيْ تَبْكِـــيْ عَلَـــىْ فَقْـــدِهِ
يُوْشِـــكُ أَنْ تَـــسْلُكَ فِـــيْ سِـــلْكِهِ[1]

ونقل الدميري في «حياة الحيوان» عن الجاحظ: أن جُرْهُماً كان من نتاج الملائكة، وبنات آدم.

قال: وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء أهبط إلى الأرض في صورة رجل كما فعل بهاروت وماروت.

قال: فوقع بعض الملائكة على بعض بنات آدم، فولدت منه جُرهماً.

قال: ولذلك قال شاعرهم: [من الرجز]

لاهُـــمَّ إِنَّ جُرْهُمـــاً عِبادُكـــا
النَّـــاسُ طُـــرْفٌ وَهُـــمُ تِلادُكـــا[2]

---

(١) انظر: «الهواتف» لابن أبي الدنيا (ص: ٤١).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٥٧١).

قال: ومن هذا الضرب بلقيس ملكة سبأ.

قال: وكذلك ذو القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة.

قال: ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً ينادي رجلاً: يا ذا القرنين! قال: أَفَرَغْتُم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة؟[1] انتهى.

قلت: هذا من تخبيط الجاحظ، وقياساته الفاسدة، وتلاعبه في الكلام، وقد كان من المبتدعة، كما بَيَّنَ حاله ابن قتيبة، وغيره.

والملائكة معصومون من الزنا، مجردون عن الشهوة إلا ما كان من أمر هاروت وماروت على وجه الابتلاء، كما سبق، وما ذكره عن جرهم فإنه من خرافات الجاهلية، وما ذكره في ذي القرنين وبلقيس فإنه كذب لا أصل له أصلاً.

نعم، روى ابن جرير الطبري، وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَدُ أَبَوَيْ بَلْقِيْسَ كانَ جِنِّيًّا»[2].

---

(١) انظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ١٨٧)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٩) ثم نقد ذلك الدميري فقال: والحق في ذلك أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قاله القاضي عياض وغيره، وأما ما ذكروه من أن جرهماً كان من نتاج الملائكة وبنات آدم، وكذلك ذو القرنين وبلقيس فممنوع، واستدلالهم بقصة هاروت وماروت ليس بشيء، فإنها لم تثبت على الوجه الذي أوردوه.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٦٩)، والثعلبي في «التفسير» (٧/ ٢٠٢). =

وروى ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن مجاهد قال: صاحبة سبأ كانت أمها جنية[1].

وابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال: هي بلقيس بنت شراحيل ابن مالك بن الريان، وأمها[2] فارعة الجنية[3].

وأمَّا الأثر عن عمر رضي الله تعالى عنه فروى ابن أبي حاتم الرازي، وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رجلاً ينادي بمنى: يا ذا القرنين! فقال له عمر: ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء، فما بالكم وأسماء الملائكة؟[4]

وهذا الأثر لا يدل على أن ذا القرنين متولد بين الملك والإنس، بل يحتمل وجهين:

= وضعفه المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٢٤٥)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢١): وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٦٠)، ولفظه: «صاحبة سبأ كانت جنية شعراء»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٢) إلى ابن المنذر، ورواه أيضاً الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٦٩).

(٢) في «أ»: «واسمها».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٦٥).

(٤) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣) إلى ابن أبي حاتم، ورواه أيضاً الطبري في «التفسير» (١٦/ ١٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٨٠).

الأول: أن يكون ذو القرنين اسماً مشتركاً سمي به بعض الملوك، وبعض الملائكة كإسماعيل.

والثاني: أن يكون ذو القرنين من الملائكة لا متولداً منهم ومن البشر، وهو أحد الأقوال في ذي القرنين[1].

روى ابن أبي حاتم عن جُبير بن نُفير: أن ذا القرنين ملك من الملائكة أهبَطَه الله إلى الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً[2].

والصحيح: أنه كان من ملوك البشر من صلحائهم، واختلف في نبوته.

وقال ابن عباس: ذو القرنين: عبدالله بن الضحاك بن معد. رواه ابن مردويه[3].

وروى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن عروة بن الزبير: أنه سأل عمرو بن العاص: أي الخلق أعظم؟ قال: الملائكة[4].

وروى الطبراني في «الأوسط»، عن أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) انظر الأقوال في ذي القرنين في: «تفسير القرطبي» (١١/ ٤٦).

(٢) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣) إلى ابن أبي حاتم. ورواه أيضاً ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٣١).

(٣) وكذا عزاه الحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٣٨٤) إلى ابن مردويه وضعف إسناده، ورواه أيضاً الفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٣٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٣١).

(٤) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٨٥).

تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «فَصَعِدْتُ أَنا وَجبْرِيْلُ إِلَىْ السَّماءِ الدُّنْيا، فَإِذا بِالْمَلَكِ يُقالُ لَهُ: إِسْماعِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ صاحِبُ سَماءِ الدُّنْيا، وَبَيْنَ يَدَيْـهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ، مَعَ كُلِّ مَلَكٍ جُنْدُهُ مِئَةُ أَلْفٍ»، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر: ٣١](١).

وفي حديث الإسراء: «ثُمَّ عُرِجَ بِنا إِلَىْ السَّماءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيْلَ: مَنْ هَذا؟ قالَ جِبْرِيْلُ، قِيْلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيْلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا، فَإِذا أَنا بِإِبْراهِيْمَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَىْ الْبَيْتِ الْمَعْمُوْرِ، فَإِذا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُوْدُوْنَ إِلَيْهِ». رواه مسلم، وغيره من حديث أنس(٢).

وقد سبق أن كل واحد من بني آدم موكل به ملكان، بل ملائكة لحفظه، والحفظ عليه.

وفي حديث أخرجه ابن جرير، والبيهقي في «الدلائل»، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ رأى ليلة الإسراء على كل ورقة من أوراق سدرة المنتهى ملكاً(٣).

وهي شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٠٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٢) واللفظ له، ورواه أيضاً البخاري (٧٠٧٩).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ١٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٥) في حديث المعراج الطويل.

وتقدم في الحديث أن ما من موضع شبر، أو أربعة أصابع من السماء إلا وفيه ملك ساجد.

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وآخرون عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُوْرٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1].

وروى الطبراني بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام يناجيه إذ انشق أفق السماء، فأقبل جبريل يتضاءل، ويدخل بعضه في بعض، ويدنو من الأرض، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: «يا محمد! إن ربك يقرئك السلام، ويخيرك بين أن تكون ملكاً نبياً، وبين أن تكون نبياً عبداً»، قال رسول الله ﷺ: «فَأَشارَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ تَواضَعْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لِيْ ناصِحٌ، فَقُلْتُ: عَبْدٌ نَبِيٌّ، فَعَرَجَ ذَلِكَ الْمَلَكُ إِلَىْ السَّماءِ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيْلُ! قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا فَرَأَيْتُ مِنْ حالِكَ ما شَغَلَنِيْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَنْ هَذا يا جِبْرِيْلُ؟» قال: «هذا إسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه، لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نوراً، ما منها نور يدنو منه إلا احترق، بين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله في شيء في السماء، أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته، فينظر فيه، فإن كان من عملي أمرني، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به»،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٣)، ومسلم (٢٩٩٦).

قلت: «يا جِبْرِيْلُ! عَلَىْ أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟» قال: «على الرياح والجنود»، قلت: «عَلَىْ أَيِّ شَيْءٍ مِيْكائِيْلُ؟» قال: «على النبات والقطر»، قلت: «عَلَىْ أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟» قال: «على قبض الأنفس، وما ظننت أنه هبط إلا بقيام الساعة، وما ذاك الذي رأيتَ مني إلا خوفاً من قيام الساعة»[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض من في هذه الصحيفة؛ فإن العبد ليغرس الغراس، وينكح الأزواج، ويبني البنيان، وإن اسمه قد نسخ في الموتى.

وروى الدينوري في «المجالسة» عن راشد بن سعد مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «فِيْ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ يُوْحِيْ اللهُ إِلَىْ مَلَكِ الْمَوْتِ بِقَبْضِ كُلِّ نَفْسٍ يُرِيْدُ قَبْضَها فِيْ تِلْكَ السَّنَةِ»[2].

ولهذا شواهد من الحديث المرفوع.

وروى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان: ٤]؛ قال: في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة، ونسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج، فلا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٦١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩): وفيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٦٤).

يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد[1].

والأكثرون على أن المراد بالليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن، و﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤]: ليلة القدر من رمضان[2].

قال في «الكشاف»: وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة؛ يعني: ليلة النصف من شعبان، ويقع الفراغ في ليلة القدر.

قال: فيدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الحج إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت[3].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٨٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠١) إلى ابن المنذر.

(٢) قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١١٧): وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان، وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥] فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عبَّر عن زمانية الليل ها هنا بقوله ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[الدخان: ٣] فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوَّل عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها.

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٧٤).

وروى أبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما بَيْنَ مِنْكَبَيْ جِبْرِيْلَ مَسِيْرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عامٍ لِلطَّائِرِ السَّرِيْعِ الطَّيَرانِ»(١).

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ فِيْ الْجَنَّةِ لَنَهْراً ما يَدْخُلُهُ جِبْرِيْلُ مِنْ دَخْلَةٍ فَيَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ إِلاَّ خَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْهُ مَلَكاً»(٢).

وعن العلاء بن هارون قال: لجبريل في كل يوم اغتماسة في نهر الكوثر، ثم ينتفض، فكل قطرة يخلق منها ملك(٣).

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن ابن شهاب ـ وهو الزهري ـ مرسلاً: أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام أن يتراءا له في صورته، فقال جبريل: «إنك لن تطيق ذلك»، قال: «إِنِّيْ أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ»، فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق وجبريل مسنده، وواضع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما كُنْتُ أَرَىْ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْخَلْقِ هَكَذَا»، فقال جبريل: «فكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن له لاثني عشر جناحاً؛ منها جناح في

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٢٠٨).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٣٥). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٩٤١): رواه زياد بن المنذر وهو متروك الحديث.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٦).

المشرق وجناح في المغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله حتى يصير مثل الوصع حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته»[1].

الوصع ـ بفتح الواو والصاد المهملة[2]، وتسكن، وروي بالوجهين ـ هو الصعوة: طائر من صغار العصافير أحمر الرأس.

وقال ابن الأثير: أصغر من العصفور، وجمعه: وصعان[3].

وروى أبو الشيخ عن الليث، عن خالد بن سعيد قال: بلغني أن إسرافيل مؤذن أهل السماء، فيؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار، ولاثنتي عشرة ساعة من الليل، لكل ساعة تأذين، يسمع تأذينه من في السماوات السبع، ومن في الأرضين السبع إلا الجن والإنس، ثم يتقدمهم عظيم الملائكة فيصلي بهم[4].

قال: وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة في البيت المعمور[5].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٤). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٤٦): مرسل جيد.

(٢) في «أ» و«ت»: «المعجمة»، والصواب ما أثبت. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٨/ ٣٩٥).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٩٠).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٥٧).

(٥) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٥٧) لكنه قال: وبلغنا أن ميكائيل يوم القيامة في البيت المعمور. كذا في المطبوع، واللفظ الذي ساقه المؤلف ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٣٠) وعزاه إلى أبي الشيخ.

وعن عكرمة بن خالد: أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الخلق أكرم على الله ﷻ؟ قال: «لا أَدْرِيْ»، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «يا جِبْرِيْلُ! أَيُّ الْخَلْقِ أَكْرَمُ عَلَىْ اللهِ؟» قال: «لا أدري»، فعرج جبريل، ثم هبط، فقال: «أكرم الخلق على الله جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت؛ فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تنقط وكل ورقة تنبت[1] وكل ورقة تسقط، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض كل روح عبد في بر أو بحر، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم»[2].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ الْخَلْقِ جِبْرِيْلُ وَمِيْكائِيْلُ وَإِسْرافِيْلُ، وَهُمْ مِنْهُ مَسِيْرَةُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ، جِبْرِيْلُ عَنْ يَمِيْنِهِ، وَمِيْكائِيْلُ عَنْ يَسارِهِ، وَإِسْرافِيْلُ بَيْنَهُما»[3].

وعن خالد بن أبي عمران قال: جبريل أمين الله على رسله، وميكائيل يتلقى الكتب التي ترفع من أعمال الناس، وإسرافيل كمنزلة الحاجب[4].

وروى الإمام أحمد، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي

---

(١) في «أ»: «نبتت».

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨١١).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨١٢). قال الذهبي في «العلو» (ص: ٩٠): وإسناده لين، لأن الأحوص ليس بمعتمد.

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨١٠).

في «البعث»، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: إسرافيل صاحب الصور، وجبريل عن يمينه، وميكائيل[١] عن يساره[٢].

وروى أبو الشيخ عن وهب بن مُنبِّه قال: إن أدنى الملائكة من الله جبريل، ثم ميكائيل، فإذا ذكر عبداً بأحسن عمله قال: فلان ابن فلان عمل كذا وكذا من طاعتي، صلواتي عليه، ثم سأل ميكائيل جبريل عليهما السلام: ما أحدث ربنا؟ فيقول: فلان ابن فلان ذكر بأحسن عمله فصلى عليه، صلوات الله عليه، ثم سأل ميكائيل من يراه من أهل السماء، فيقول: ماذا أحدث ربنا؟ فيقول: ذكر فلان ابن فلان بأحسن عمله، فصلى عليه، صلوات الله عليه، فلا تزال تقع من سماء إلى سماء حتى تقع على الأرض.

فإذا ذكر عبد بأسوأ عمله قال: عبدي فلان ابن فلان عمل كذا وكذا من معصيتي، فلعنتي عليه، ثم سأل ميكائيل جبريل عليهما السلام: ماذا أحدث ربنا؟ فيقول: ذكر فلان ابن فلان بأسوء عمله، فعليه لعنة الله، فلا تزال تقع من سماء إلى سماء حتى تقع إلى الأرض[٣].

---

(١) في «أ» و«ت»: «وإسرافيل»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٩)، وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٣٠) إلى البيهقي في «البعث والنشور»، ورواه أيضاً أبو داود (٣٩٩٩).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠٣).

قلت: وفي معناه حديث أبي هريرة المتقدم.

ويدخل هذا الأثر في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[الأحزاب: ٤٣]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦].

وروى الحكيم الترمذي، عن زيد بن رُفَيع رضي الله تعالى عنه قال: دخل على رسول الله ﷺ جبريل وميكائيل عليهما السلام وهو يستاك، فناول رسول الله ﷺ جبريل السواك، فقال جبريل: «كَبِّرْ».

قال الترمذي: أي: ناول ميكائيل؛ فإنه أكبر(١).

قلت: لعل معناه: أَقْدَم؛ ففيه إشارة إلى أن خلق ميكائيل قبل خلق جبريل، وليس معناه أنه أفضل وأكرم لما سبق أن جبريل أكرم الملائكة، وأقربهم إلى الله.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ أغمي عليه ورأسه في حجرها، فجعلت تمسح وجهه، وتدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال: «لا، بَلْ أَسْأَلُ اللهَ الرَّفِيْقَ الأَعْلَىْ مَعَ جِبْرِيْلَ وَمِيْكائِيْلَ وَإِسْرافِيْلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»(٢).

وروى الحاكم وصححه، عن أبي المَلِيح، عن أبيه ـ وهو أسامة

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٧١)، وقد تقدم.

(٢) ورواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٩١). **قلت**: وأصل الحديث في البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (٢١٩١).

ابن عمير الهذلي رضي الله عنه ـ: أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر، فصلى قريباً منه، فصلى النبي ﷺ ركعتين خفيفتين، قال: فسمعته يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيْلَ، وَمِيْكَائِيْلَ، وَإِسْرافِيْلَ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ! أَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، ثلاث مرات»[1].

وأخرجه ابن السُّنِّي، ولفظه: «ثم سمعته يقول وهو جالس..»[2].

وفي إضافة الرب عز وجل إلى هؤلاء ـ وإن كان رب كل شيء ـ إشارة إلى تعظيم شأنهم.

قال بعض العارفين: ولهذا الذكر خصوصية في هذا الوقت في حياة القلوب؛ فإن جبريل صاحب الوحي، وبه حياة الطائعين، وميكائيل صاحب المطر والنبات، وبهما حياة الأرض ومن فيها، وإسرافيل صاحب اللوح المحفوظ والنفخ في الصور، وبه حياة الخلق، ومحمد ﷺ أفضل من أحيا الله به القلوب والإسلام، وإذا حيي قلب عبد فقد نجا من النار.

وروى ابن عساكر عن معاوية بن قُرَّة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما أَحْسَنَ ما أَثْنَى عَلَيْكَ رَبُّكَ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٦١٠)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢١٩): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عباد بن سعيد، قال الذهبي: عباد بن سعيد عن مبشر لا شيء، قلت: قد زكاه ابن حبان في «الثقات».

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٩٤).

﴿ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ٢٠ ـ ٢١]! فَما كانَتْ قُوَّتُكَ؟ وَما كانَتْ أَمانَتُكَ؟» قال: «أما قوتي فإني بعثت إلى مدائن لوط، وهي أربع مدائن، وفي كل مدينة أربع مئة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثم هويت بهم، فقلبتهن، وأما أمانتي فلم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره»[1].

وروى عَبد بن حُميد عن أبي مِجْلَز في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[آل عمران: ٩٣]؛ قال: إن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وكان رجلاً بطيشاً، فلقي ملكاً فعالجه فصرعه الملك، ثم ضرب فخذه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به، فقال: ما أنا بتاركك حتى تسميَني اسماً، فسماه إسرائيل، فلم يزل يوجعه ذلك العرق حتى حرمه من كل دابة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[فاطر: ١]: قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[3].

وقال ابن جريح: للملائكة الأجنحة من اثنين إلى اثني عشر.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٣٢٥).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٥٣) إلى عبد بن حميد.

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٧٠).

قال: وأصحاب الموازين أجنحتهم عشرة عشرة.

قال: وأجنحة الملائكة زغبة.

ولجبريل عليه السلام ستة أجنحة؛ جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وجناحان على عينه، وجناحان منهم من يقول: على ظهره، ومنهم من يقول: متسرول بهما. رواه ابن المنذر(١).

وقوله: «زغبة»: جمع أزغب، والزغب ـ بالفتح ـ: صغار الشعر والريش، ولينه. قاله في «القاموس»(٢).

وروى الطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله؛ إن العبد المسلم إذا قال: «سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله» قبض عليهن ملك، فضمهن تحت جناحه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠](٣).

وروى الخطيب البغدادي في «المتفق والمفترق» عن وهب بن مُنَبِّه

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤) إلى ابن المنذر.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢١) (مادة: زغب).

(٣) تقدم تخريجه عن الطبراني والحاكم، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢١١).

قال: الروح ملك من الملائكة له عشرة آلاف جناح، ما بين كل جناحين منها ما بين المشرق والمغرب، له ألف وجه لكل وجه ألف لسان، وشفتان وعينان يسبحون الله تعالى[1].

وروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[الإسراء: ٨٥]؛ قال: هو ملك واحد له عشرة آلاف جناح؛ جناحان منها ما بين المشرق والمغرب، له ألف وجه؛ لكل وجه لسان وعينان وشفتان يسبحان الله إلى يوم القيامة[2].

وروى هؤلاء، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، ولكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة، يسبح الله بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة[3].

وروى ابن الأنباري في كتاب «الأضداد» عن مجاهد قال: الروح

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٠) إلى الخطيب البغدادي في «المتفق والمفترق». ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٦٦).

(٢) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٢) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٦٩).

(٣) تقدم تخريجه. قال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٦٢): وهذا أثر غريب عجيب.

خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة كما لا ترون أنتم الملائكة، والروح خلق يستأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحد من خلقه، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء: ٨٥].

وروى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[الإسراء: ٨٥]؛ قال: الروح ملك[1].

وروى هو، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عنه قال: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً[2].

وروى ابن المنذر، وأبو الشيخ عن مقاتل بن حيان قال: الروح أشرف الملائكة، وأقربهم من الرب، وهو صاحب الوحي[3].

وروى عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾[النبأ: ٣٨]؛ قال: جبريل عليه السلام[4].

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١٩).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١٨) بلفظ آخر، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٧١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٠) إلى ابن المنذر.

(٣) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٠) إلى ابن المنذر، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٧٥).

(٤) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٠) إلى عبد بن حميد، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٧٣).

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن جبريل يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار ترعد فَرائصُه فرقاً من عذاب الله، يقول: «سبحانك لا إله إلا أنت، ما عبدناك حق عبادتك»؛ إن ما بين منكبه كما بين المشرق والمغرب، أما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[النبأ: ٣٨]»[1].

ومما يرجح أن الروح جبريل قولُه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٣]؛ فإنه جبريل باتفاق المفسرين.

بل روى أبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في الآية قال: «الرُّوْحُ الأَمِيْنُ جِبْرِيْلُ، رَأَيْتُ لَهُ سِتَّ مِئَةِ جَناحٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ قَدْ نَشَرَها مِثْلَ رِيْشِ الطَّواوِيْسِ»[2].

وفي «كتاب الترمذي» وحسنه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام مرتين؛ مرة عند سِدرة المنتهى، ومرة عند جياد؛ له ست مئة جناح قد سدَّ الأفق[3].

بل في «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩] قال: رأى النبي ﷺ

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٩٠).
(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٨٠١).
(٣) رواه الترمذي (٣٢٧٨).

جبريل له ست مئة جناح(١).

وروى الإمام أحمد، والطبراني، وآخرون عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ست مئة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(٢).

وما سبق عن ابن جريج: أن لجبريل ستة أجنحة، لعله أراد أصول أجنحته، أو عبر عن كل مئة جناح منها بجناح.

وروى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا كانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيْ كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ كُلِّ عَبْدٍ قائِمٍ»(٣)، الحديث.

وهو يصلح لتفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٠)، ومسلم (١٧٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٤) إلى الطبراني، وحسن ابن كثير إسناد الإمام أحمد في «التفسير» (٤/ ٢٥٢).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧١٧) وقال: قال أحمد: تفرد به محمد بن عبد العزيز هذا، عن أصرم بن حوشب قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣٧) في ترجمة أصرم بن حوشب: قال يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث.

﴿رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٤] قال الحسن في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾[القدر: ٥]: إذا كان ليلة القدر لم تزل الملائكة تخفق بأجنحتها بالسلام من الله تعالى والرحمة من لدن صلاة المغرب إلى طلوع الفجر. رواه ابن المنذر(١).

وذهب جماعة إلى أن الروح غير الملائكة.

وقال عكرمة في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[النبأ: ٣٨]؛ قال: الروح أعظم خلقاً من الملائكة، ولا ينزل ملك إلا ومعه روح. رواه عبد بن حُميد، وابن المنذر(٢).

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه: «سُبُّوْحٌ قُدُّوْسٌ، رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوْحِ»(٣).

وروى أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن البراء بن عازب ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثِرْ مِنْ أَنْ تَقُوْلَ: سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوْسِ، رَبِّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوْحِ»(٤).

❑ ❑ ❑

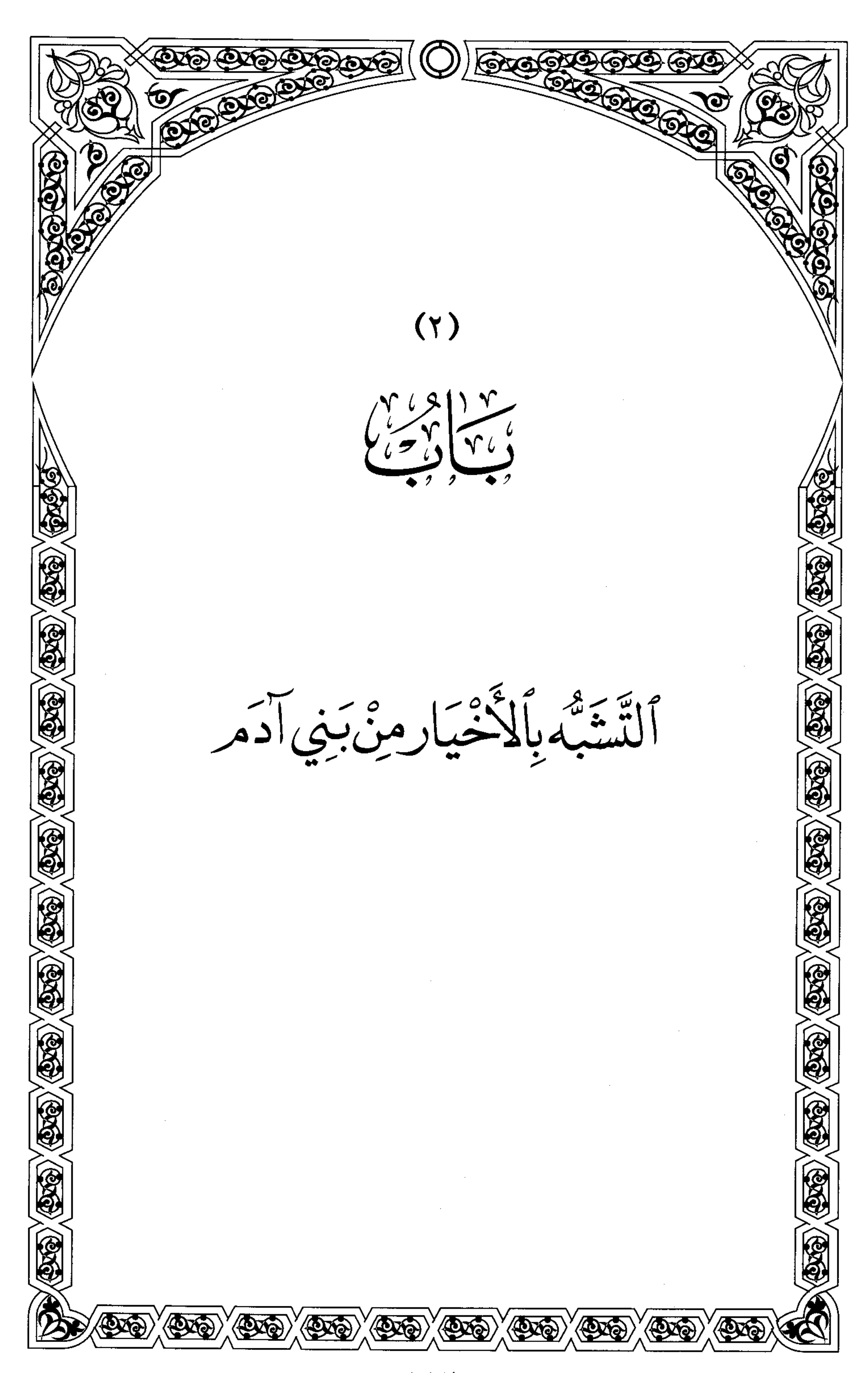
---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧٠) إلى ابن المنذر.

(٢) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٠) إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) رواه مسلم (٤٨٧)، وأبو داود (٨٧٢)، والنسائي (١٠٤٨).

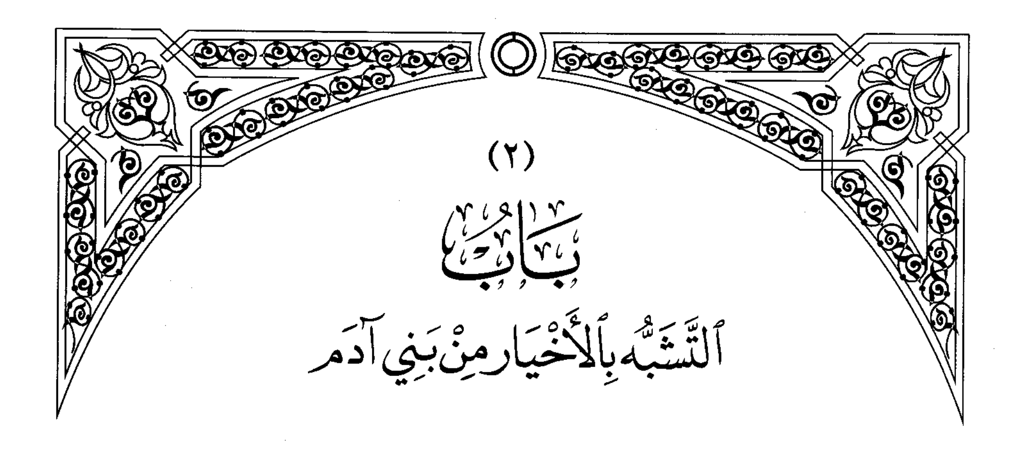
(٤) كذا عزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣١٢) إلى أبي الشيخ في «الثواب»، ورواه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٩٥).



(٢)

بَابُ

ٱلتَّشَبُّه بِٱلأَخْيَار مِنْ بَنِي آدَم



(٢)
بَابُ
ٱلتَّشَبُّهِ بِٱلْأَخْيَارِ مِنْ بَنِي آدَمَ

اعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أننا قدَّمنا أن الذين يحسنُ التشبه بهم من بني آدم هم الأخيار من الطوائف الأربعة المذكورين في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩].

وإنما يكون العبد مع هؤلاء إذا تشبه بهم في أصل الطاعة لقوله تعالى في الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[النساء: ٦٩]، وقد بينا ذلك فيما سبق أيضاً.

ثم لا يكون مجرد التشبه بهم ملحقاً له بهم، وهو منحرف عن طريقتهم باقترافه المعاصي، أو بمخالفة ظاهره لباطنه، بل لا بد أن يشبه باطنُه بواطنَهم، كما يشبه ظاهرُه ظواهرَهم.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشبه القلوبُ القلوبَ. رواه ابن أبي شيبة، وغيره[١].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٤٨).

وروى العُقيلي، والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ الْعِبادِ إِلَىْ اللهِ تَعَالَىْ مَنْ كانَ ثَوْباهُ خَيْراً مِنْ عَمَلِهِ؛ أَنْ تَكُوْنَ ثِيابُهُ ثِيابَ الأَنْبِياءِ، وَعَمَلُهُ عَمَلَ الْجَبَّارِيْنَ»[1].

وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَهُوَ لا يَطْلُبُها، لُعِنَ فِيْ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححاه، والبيهقي عن أُبَيِّ بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالتَّيْسِيْرِ، وَالسَّناءِ، وَالدِّيْنِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالتَّمْكِيْنِ؛ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيْ الآخِرَةِ نَصِيْبٌ»[3].

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» عن الجارود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ طُمِسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٦٣) وقال: سليم بن عيسى مجهول في النقل، حديثه منكر غير محفوظ، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٨١). وحكم عليه السيوطي بالوضع في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٢/ ٢٢٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٧٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠): وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو كذاب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣٥).

ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِيْ النَّارِ»[1].

وقوله: «طُمِسَ وَجْهُهُ»؛ أي: وَجْهُ قَلْبِهِ؛ بمعنى: عَمِيَت بصيرتُه.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ فِيْ آخِرِ الزَّمانِ رِجالٌ يَخْتِلُوْنَ[2] الدُّنْيا بِالدِّيْنِ، يَلْبَسُوْنَ لِلنَّاسِ جُلُوْدَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّيْنِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىْ مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوْبُهُمْ قُلُوْبُ الذِّئابِ، فَيَقُوْلُ اللهُ ﷻ: أَبِيْ يَغْتَرُّوْنَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِؤُوْنَ؟ فَبِيْ حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَىْ أُوْلَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيْمَ مِنْهُمْ حَيْرَاناً»[3].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن ابن أبي مُلَكية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذهب الناس، وبقي النَّسْنَاس، قيل: ما النسناس؟ قال: الذين يتشبهون بالناس وليسوا بناس[4].

وروى الدِّينوري في «المجالسة» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: ذهب الناس وبقي النسناس، ولو تكاشفتم ما تدافنتم[5].

وذكره الهروي في «الغريب»، والزمخشري في «الفائق»، وابن الأثير

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٢٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠): فيه من لم أعرفهم.

(2) الختل: الخداع.

(3) رواه الترمذي (٢٤٠٤) وقال: وفي الباب عن ابن عمر، وذكر حديث ابن عمر وحسنه.

(4) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٨).

(5) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٠٦).

في «النهاية» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وقد قلت في ذلك: [من الكامل]

لا تَظْهَــرَنَّ بِــزِيٍّ أَهْــلِ الْعِلْــمِ أَوْ
أَهْــلِ التُّقَــىْ وَالــدِّيْنِ أَوْ أَهْــلِ الْكَــرَمْ
حَتَّــىْ تَكُــوْنَ الــنَّفْسُ مِنْــكَ شَــرِيْفَةً
وَعَــنِ الــسَّفَاسِفِ فِــيْ نِهَايَــاتِ الــشَّمَمْ
فَــإِذَا اتَّــسَمْتَ بِوَسْــمِ قَــوْمٍ فَــامْتَطِ
بِلَحَــاقِهِمْ دُهْــمَ الْعَــزَائِمِ وَالْهِمَــمْ
لا تَــأْتِيَنَّ بِخَــصْلَةٍ لا تُرْتَــضَىْ
مِمَّــنْ بِأَوْصَــافِ الأَمَاجِــدِ يَتَّــسِمْ
لا تَــدْخُلَنَّ مَوَالِجــاً رُوَّادُهَــا
بَــيْنَ الأَنَــامِ بِقُــبْحِ فِعْــلٍ تُــتَّهَمْ
لا يَتَّقِــيْ مِــنْ قُرْبِهَــا وَنُزُوْلِهَــا
إِلاَّ كِــرَامٌ فِــيْ الْخَلائِــقِ وَالــشِّيَمْ

---

(١) كذا عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٥٦) إلى الهروي في «الغريب». وذكره الزمخشري في «الفائق» (٣/ ٤٢٧)، وابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٤٩)، وكذا رواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١/ ٣٢٤).

مَهْمَـــا أَتَيْـــتَ بِمَـــا يُخَـــالِفُ سَـــمْتَهُمْ
أَثَّمْـتَ فِـيْهِمْ مَـنْ يَـرَاكَ مِـنَ الأُمَـمْ
وَتَرَكْـتَ مَــنْ قَـدْ كَـانَ يَهْـوَىْ قُـرْبَهُمْ
يَبْغِـيْ الْهِدَايَـةَ فِـيْ التَّحَيُّـرِ وَالْـوَهَمْ
وَحَرَمْتَــهُ مِــنْ نَفْعِهِــمْ وَتَرَكْــتَ مَــنْ
حَقَّـــتْ رِعَايَـــةُ حَقِّـــهِ لا يُحْتَـــرَمُ
يَـــا عَابِثــاً مَـــا أَنْـــتَ إِلاَّ عَابِـــثٌ
فِيْ الأَرْضِ لَمْ تَـرْعَ الـذِّمَامَ وَلا الـذِّمَمْ
آلَيْـــتَ بِـــاللهِ الْعَظِـــيْمِ وَلا أَرَىْ
بِـسِوَىْ اسْـمِهِ عَقْـدُ الأَلِيَّـةِ وَالْقَـسَمْ
مَـــا أَنْـــتَ إِلاَّ فِـــيْ غُـــرُوْرٍ فَـــاتَّعِظْ
أَرَضِـــيْتَ مِــنْ إِسْـمِ التَّزَهُّـدِ بِـالْعَلَمْ
وَمِـــنَ الْفُتُـــوَّةِ بِـــالْكَلامِ وَبِـــالْمُنَىْ
وَمِـنَ الْمَعَـالِمِ بِالْمَرَاسِـمِ وَالـرُّقَمْ
مَـا نِلْـتَ مَجْـداً يـا فَتَـىْ إِنْ لَـمْ يَكُـنْ
لَكَ فِيْ خِـلالِ الـصِّدْقِ رَاسِـخَةُ الْقَـدَمُ
أَوْ لا فَمَـا لَـكَ يَـوْمَ كَـشْفِ الـسِّرِّ فِـيْ
يَـــوْمٍ بِـــهِ حُـــشِرَ الْـــوَرَىْ إِلاَّ النَّـــدَمْ

ومن لطـائف أهـل الإشـارة: ما روي عن أبي عبدالله السِّجْزي رضي الله تعالى عنه: أن قائلاً قال له: لِمَ لا تلبس المرقعة؟ فقال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان، ولا تدخل في حمل أثقال الفتوة[1].

وحكي: أن جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بِشْر بن الحارث الحافي فقال: يا قوم! اتقوا الله فلا تظهروا هذا الزي؛ فإنكم تعرفون به، وتكرمون له، فسكتوا كلهم، فقام شاب من بينهم فقال: الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به، ويكرم له، والله لنظهرن هذا الزي حتى يكون الزي كله لله، فقال له بشر: أحسنت يا غلام؛ مثلك من يلبس المرقعة.

وقال أبو سعيد الحسن بن علي الواعظ في كتاب «الحدائق لأهل الحقائق»: يقال: إن أربعة من الكبائر: لبس الصوف لطلب الدنيا، وادعاء فضل الصالحين وترك فعلهم، وذم الأغنياء والأخذ منهم، وادعاء بغض الفاسقين والعمل بمثل أعمالهم.

وأنشدوا: [من الوافر]

لَبِسْتَ الصُّوْفَ مَرْقُوْعاً وَقُلْتَا
أَنَا الصُّوْفِيُّ لَسْتَ كَمَا زَعَمْتَا

فَمَا الصُّوْفِيُّ إِلاَّ مَنْ تَصَافا
مِنَ الأَكْدَارِ وَيْحَكَ لَوْ عَقَلْتَا

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥١).

وهذا الباب متسع جداً، وقد عرجت على طرف منه صالح في كتاب «منبر التوحيد».

وفي «الحلية» عن ابن شَوذَب قال: سمعت فَرْقداً ـ يعني: السَّبخي رحمه الله تعالى ـ يقول: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نفيسين؟ وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل[1].

الإشارة في كلامه أن زي الصلاح ينبغي أن لا يظهر على أهله إلا بعد حصوله، فأما لبسه قبل الحصول فإنه خلاف الحكمة.

وقد ضرب الإمام أبو حامد في «الإحياء» للمتصوفة الذين تزيوا بظاهر زي الصوفية ومراسمهم، ولم يتبعوا نفوسهم في المجاهدة، والرياضة، ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية مثالاً عجيباً ينطبق عليهم، وعلى كل من تشبه بقوم كرام من العلماء، والفقهاء، والوُعَّاظ، والمدرسين، والمتعبدين في ظاهر الزي مع خلوه من مكارم أخلاقهم، ومحاسن خصالهم.

وذلك أنه مثَّلهم بامرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين تثبت أساميهم، ويقطع كل واحد منهم قطراً من أقطار المملكة، فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة، فلبست درعاً، ووضعت على رأسها مغفراً، وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً، وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها، وتعلمت

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٧).

كيف هيئة تبخترهم في الميدان، وكيف تحريكهم الأيدي، وتلقفت جميع شمائلهم في الزِّي والمنطق، والحركات والسَّكَنات، ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشُّجعان، فلما وصلت إلى المعسكر أُنْفِذت إلى ديوان العرض، وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع، وينظر ما تحته، وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عَنائها في الشَّجاعة، فلمَّا جردت إذا هي عجوز ضعيفة زَمِنَة لا تطيق حمل الدِّرع والمغفر، فقيل لها: أجئت للاستهزاء بالملك؟ ولاستحماق أهل حضرته، والتلبيس عليه؟ خذوها فألقوها إلى الفيل، فألقيت إليه.

قال حجة الإسلام: وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيمة إذا كشف عنهم الغطاء، وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع، بل إلى سر القلب[1]، انتهى.

ومن لطائف ما يلحق بهذا الباب قول سالم بن وابصة بن قيس الأسدي ـ وكان من الطَّبقة الأولى من التابعين الأنجاب ـ: [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيْ غَيْرَ شِيْمَتِهِ
وَمَنْ خَلِيْقَتُهُ الإِفْرَاطُ وَالْمَلَقُ
عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيْمَا أَنْتَ قائِلُهُ
إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِيْ دُوْنَهُ الْخُلُقُ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٤٠٤).

وَلا يُؤَاتِيْـكَ فِيْمَـا نَـالَ مِـنْ حَـدَثٍ
إِلاَّ أَخُـوْ ثِقَـةٍ فَـانْظُرْ بِمَـنْ تَثِـقُ

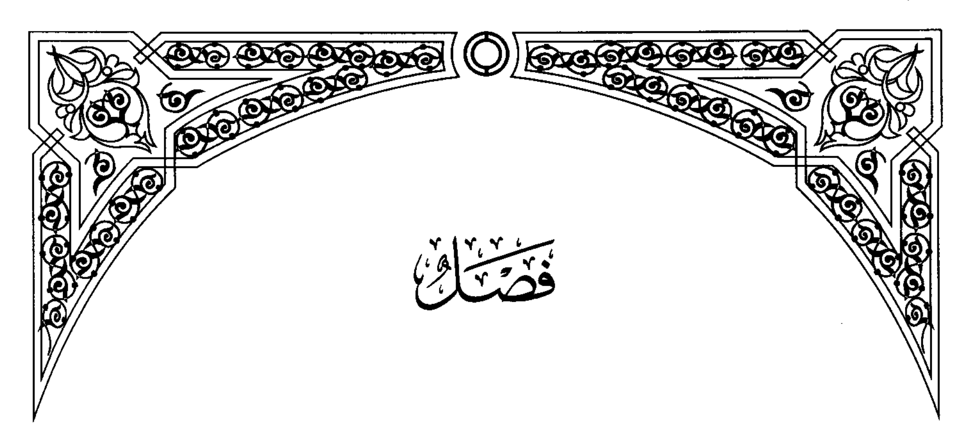
لا تُنْكِـرِ الْحَـقَّ مَظْلُوْمـاً وَلا وَكِـلاً
فِـيْ النَّائِبَـاتِ وَلا هَيَّابَـةٌ فَـرِقُ

يَـا صَاحِ إِنْ تُبْـلِ سِـرْبَالَ الـشَّبَابِ فَـلا
يَبْقَـىْ جَدِيْـدٌ عَلَـىْ الـدُّنْيَا وَلا خَلِـقُ

وَإِنَّمَـا النَّـاسُ وَالـدُّنْيَا عَلَـىْ سَـفَرٍ
فَنَـاظِرٌ أَجَـلاً مِـنْهُمْ وَمُنْطَلِـقُ(١)

* * *

(١) ذكر الأبيات الجاحظ في «البيان والتبيين» (ص: ١٣٠)، وثعلب في «مجالسه» (ص: ٥٣).



فصل

واعلم أن أخلاق الأصناف الأربعة المشار إليهم في الآية المتقدمة كلها مجتمعة في النَّبيِّ ﷺ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الكتاب، وكان ينبغي الاكتفاء بالتشبه به عن التشبه بمن سواه، ولكن تعلق بذلك حِكَم إلهية من أجلها شرع التشبه بمن سواه من أخيار بني آدم، وقد تقدمت الإشارة إليها أيضاً.

وأزيدك هنا أن الله تعالى إنَّما ذكر هؤلاء الأصناف في هذه الآية؛ أعني: قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[النساء: ٦٩] الآية؛ إشارة إلى أن من تقدم عصر رسول الله ﷺ من النبيين، والصِّديقين، والشُّهداء، والصَّالحين لو أدركوا زمانه ما وسعهم إلا طاعته واتباعه، فمن أطاع الله ورسوله فهو معهم لأنه متشبه بهم في ذلك وإن لم يتفق ذلك منهم بالفعل؛ إذ لم يمنعهم من ذلك إلا تأخر عصره ﷺ عن أعصارهم، وإلا فقد أعطوا عهودهم ومواثيقهم بذلك؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ

﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١].

وروى ابن أبي حاتم، عن السُّدِّي في الآية قال: لم يبعث نبي قط من لدن نوح عليه السلام إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ﷺ، ولينصرنه إن خرج وهو حي، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء(١).

وأيضاً في ذكر الله تعالى النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الآية تشويق، وتحريك لقلوب الطائعين إلى طلب مقاماتهم، ورجاء اللحاق بدرجاتهم، وإشارة للطائع إلى أنه مهما أطاع كان هؤلاء رفقته في طريقه إلى الله تعالى وعند الله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩]، ولا شك أن اختيار الرفيق مما نَدَب اللهُ إليه عبادَه.

وروى الخطيب البغدادي عن علي رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الْجارُ قَبْلَ الدَّارِ، وَالرَّفِيْقُ قَبْلَ الطَّرِيْقِ، وَالزَّادُ قَبْلَ الرَّحِيْلِ»(٢).

قلت: وقد وقعت الإشارة إلى هذه الثلاثة؛ أعني: الجار، والرفيق، والزاد في الآية المشار إليها؛ فالزاد هو طاعة الله تعالى

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٩٤)، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٣٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٦٢٤).

وطاعة رسوله، وهما عين التقوى التي قال تعالى فيها: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧]، والرفقة هم الأنبياء ومن بعدهم، والجار هو الله تعالى.

وتقدير الآية: فأولئك عند الله مع الذين أنعم الله عليهم؛ لأن ذلك مقام هؤلاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ﴾[القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[ص: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

وروى الإمام عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن قدامة ابن أَيُّوب العَتَكي ـ وكان من أصحاب عتبة الغلام ـ قال: رأيت عتبة في المنام فقلت: يا أبا عبدالله! ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة! دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك، قال: فلما أصبحت أتيت فإذا خط عتبة في الحائط مكتوب: يا هادي المضلين، وراحم المذنبين، ومُقيل عثرات العاثرين! ارحم عبدك ذا الخطأ العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين، مع الَّذين أنعمت عليهم من النَّبيين والصَّديقين والشهداء، والصالحين، آمين رب العالمين[1].

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣٨).

ومما سمعناه من لفظ شيخ الإسلام الوالد، وحضرنا وهو ينشد لنفسه رضي الله عنه في سنة أربع وثمانين وتسع مئة، وهي السنة التي مات في سادس عشر من شوالها: [من مجزوء الكامل المرفل]

إِنْ كُنْــتَ تَعْلَــمُ أَنَّ مَــا قَــدْ قَــدَّرَ الــرَّحْمَنُ كَــائِنْ
فَــاطْرَحْ هُمُوْمَــكَ وَاسْــتَرِحْ وَاخْــلِ الْفُــؤَادَ مِــنَ الْغَبَــائِنْ
وَاصْبِــرْ عَلَــىْ ضَــرِّ الْــبَلا فَالــصَّبْرُ لِلْخَيْــراتِ ضـَـامِنْ
وَاحْــذَرْ تَكُــنْ مُتَعَرِّضــاً فِــيْ ظَــاهِرٍ يَوْمــاً وبَــاطِنْ
فَــاللهُ جَــلَّ لِلُطْفِــهِ فِيْمَــا يُقَــدِّرُهُ مُعَــاوِنْ
كَــمْ مِحْنَــةٍ هِــيَ مِنْحَــةٌ فِــيْ طَيِّهَــا التَّــدْبِيْرُ كَــامِنْ
وَإِذَا ارْتَقَيْــتَ إِلَــىْ الرِّضَــا بِــاللهِ فُــزْتَ بِمَــا تُعَــايِنْ
وَسَــلِمْتَ مِــنْ كَيْــدِ الْمُعَــا نِــدِ ذِيْ الْمَكَائِــدِ وَالــضَّغَائِنْ
وَظَفِــرْتَ بِالنَّــصْرِ الْعَزِيْـــ ـــزِ عَلَــىْ الْمُعَــادِيْ وَالْمُبَــايِنْ
وَخَلَــصْتَ مِــنْ أُسْــدِ الــرَّدَىْ ذاتِ الأَظَــافِرِ وَالْبَــرَاثِنْ
وَنَعِمْــتَ فِــيْ نِعَــمٍ لَهَــا فَــيْضٌ يُمَــدُّ مِــنَ الْخَــزائِنْ
وَبَقِيْــتَ فِــيْ الــدُّنْيا وَفِــيْ الْــ أُخْــرَىْ مِــنَ الأَسْــواءِ آمِــنْ
وَنَجَــوْتَ مِــنْ ضِــيْقِ اللُّحُــوْ دِ وَمِــنْ أَذَىْ أَفْتَــانِ فَــاتِنْ
وَسَــكَنْتَ فِــيْ جَنَّــاتِ عَــدْ نٍ بِالرِّضَــا أَعْــلا الْمَــسَاكِنْ
جَنَّــاتِ رِضْــوانٍ بِهَــا رِضْــوَانُ بَــوَّابٌ وَخَــازِنْ

مِـــنْ تَحْتِهَـــا الأَنْهَـــارُ تَجْـــ ... ـــرِيْ فِيْ الظَّـوَاهِرِ وَالْبَـوَاطِنْ
مِـــنْ خَمْـــرٍ اوْ لَـــبَنٍ وَمِـــنْ ... عَـــسَلٍ وَمَـــاءٍ غَيْـــرِ آسِـــنْ
وَوَرَاءَ طَـــوْرِ الْعَقْـــلِ فِيْــــ ... ـــهَا مـا يُعَـدُّ مِـنَ الْمَحَاسِـنْ
وَصَـــحِبْتَ كُـــلَّ الأَنْبِـــيَا ... وَالرُّسْلِ فِـيْ تِلْـكَ الأَمَـاكِنْ
وَكَفَـــاكَ فَخْـــراً أَنْ تُـــرَا ... فِقَهُـــمْ بِهـــا أَوْ أَنْ تُـــسَاكِنْ
فِـــيْ ظِـــلِّ عَـــرْشِ اللهِ ثـــا ... وِ مَعْهُـــمُ دَوْمـــاً وَقَـــاطِنْ
وَبِحَـــسْبِكَ الرِّضْـــوَانُ مِنْــــ ... ـــهُ لِلرِّضَـــا عَنْـــهُ مُقَـــارِنْ

* * *



واعلم أن العبد الطائع مهما أطاع الله تعالى ورسوله في أصل الإيمان، وتأدية الفرائض مع ملاحظة القلب بالإخلاص والصدق والتنزه عن المعاصي، فإنه يكون مع هؤلاء المنعم عليهم، وهذا منطوق الآية.

ويؤيده ما رواه الإمام أحمد، والبزار، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحهما»، والبيهقي عن عمرو بن مُرَّة الجُهَني رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل من قُضَاعـة إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وقمته، وآتيت الزكاة، فممن أنا؟ فقال له النبي ﷺ: «مَنْ ماتَ عَلَىٰ هَذا كانَ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَداءِ يَوْمَ الْقِيامَةِ هَكَذا ـ ونصب أصبعيه ـ ما لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»[1].

ثم إن العبد كلما كان لله تعالى أطوع كان إلى هؤلاء الطوائف أقرب، وفيهم أدخل، كما قال ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦١٧).

مِنِّيْ مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيامَةِ؟» قالوا: نعم، قال: «أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقاً». رواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما[1].

وإنما كان كذلك؛ لأن حسن الخلق يجمع الطَّاعات، ولأنه وصف النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

فلا يكون من اقتصر على تأدية الفرائض في القرب من هؤلاء المنعم عليهم كمن زاد على ذلك جملة من الطاعات ومحاسن الخصال، وكلما أكثر من النوافل وحسن الخلق، كلَّما توغل في أوصافهم ودخل في جملتهم، وبقدر انتظامه في سلكهم وسلوكه في طريقهم، يكون قربه من مولاه تعالى، كما في الحديث الصحيح: أن الله تعالى يقول: «وَما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلا يَزالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّىْ أُحِبَّهُ»[2].

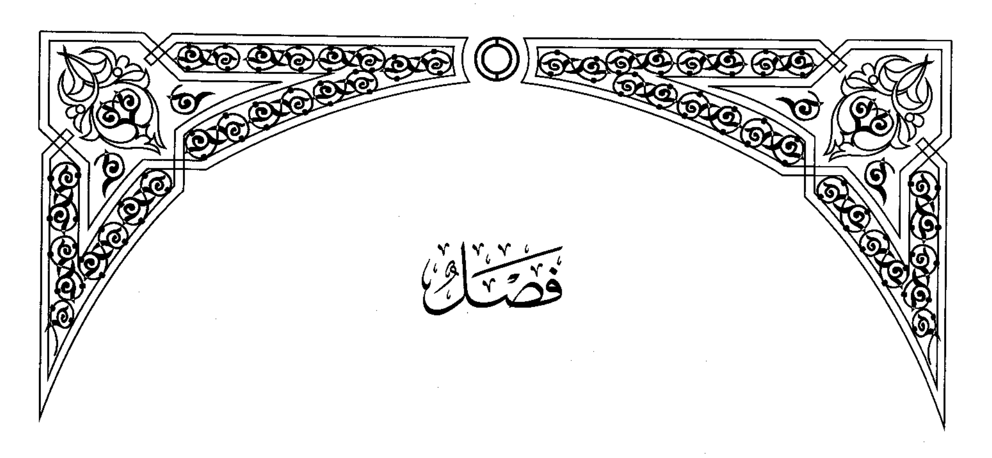
وقد قلت: [من الرجز]

اقْرُبْ إِلَىْ اللهِ بِقَدْرِ طاقَتِكْ فَقُرْبُهُ مِنْكَ بِقَدْرِ طاعَتِكْ
بِقُرْبِهِ تَصْحَبُ أَنْبِيَاءَهُ وَالصَّالِحِيْنَ لِقِيَامِ ساعَتِكْ

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٥)، وأصل الحديث عند البخاري (٣٣٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦١٣٧).



فَصْلٌ

واعلم أن العبد المطيع يوم القيامة إما أن يرافق الصَّالحين الذين ليسوا بأنبياء، ولا صديقين، ولا شهداء، وإما أن يرافق الشُّهداء، وإما أن يرافق الصِّديقين، وإما أن يرافق الأنبياء عليهم السَّلام، وذلك على حسب همته ولهفته في طاعة الله تعالى.

وقد يكون العبد مرافقاً لكل هذه الطوائف لتخلقه بأخلاق كل طائفة منهم، وتشبهه بكل فريق منهم، كما قال رسول الله ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوْقُ الأَمِيْنُ مَعَ النَّبِـيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَداءِ».

رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله تعالى عنه[1].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «التَّاجِرُ الصَّدُوْقُ لا يُحْجَبُ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ»[2].

---

(١) رواه الترمذي (١٢٠٩) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٢١٤٣).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٤٤).

والمعنى أنه يدخل من أي الأبواب شاء، فلا يحجب من باب أصلاً، لكونه من أهل ذلك الباب؛ لتخلقه بأخلاقهم.

وروى الإمام أحمد، والبخاري، وغيرها عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، نُوْدِيَ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ: يا عَبْدَاللهِ! هَذا خَيْرٌ، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجهاد دُعِيَ مِنْ بابِ الجهاد، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدَقَةِ»، فقال أبو بكر: بأبي وأنت وأمي يا رسول الله! ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعَمْ، وَأَرْجُوْ أَنْ تَكُوْنَ مِنْهُمْ»(١).

وروى الطَّبرانيُّ في «الكبير» بسند حسن، عن جرير رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، وَلَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرامٍ، دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوابِ الْجَنَّةِ شاءَ»(٢).

وروى الشيخان عن عبادة بن الصَّامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَأَنَّ عِيْسَىْ عَبْدُاللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَىْ مَرْيَمَ، وَرُوْحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٨)، والبخاري (١٧٩٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩): رجاله موثقون.

أَبْوابِ الْجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ شاءَ»[1].

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ الْوُضُوْءَ، أَوْ يُسْبِغُ الْوُضُوْءَ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الْجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ»[2].

وهو عند الإمام أحمد من حديث أنس، وابن أبي شيبة بلفظ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوْءَ، ثُمَّ قالَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ... إلى آخره، فُتِحَ لَهُ ثَمانِيَةُ أَبْوابِ الْجَنَّةِ مِنْ أَيِّها شاءَ يَدْخُلُ»[3].

وزاد الترمذي في حديث عمر: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِيْ مِنَ التَّوَّابِيْنَ، وَاجْعَلْنِيْ مِنَ الْمُتَطَهِّرِيْنَ»[4].

وزاد أحمد، وأبو داود فيه: «ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَىْ السَّماءِ فَقالَ...»[5].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٠١٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٩٥)، ورواه ابن ماجه (٤٦٩).

(٤) رواه الترمذي (٥٥) وقال: وهذا حديث في إسناده اضطراب، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب كبير شيء، قال محمد: وأبو إدريس لم يسمع من عمر شيئاً.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩)، وأبو داود (١٧٠). لكن عند الإمام أحمد: «ثم رفع نظره» وعند أبي داود: «ثم رفع بصره».

وروى أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ جاءَ بِهِنَّ مَعَ الإيْمانِ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوابِ الْجَنَّةِ شاءَ، وَزُوِّجَ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ حَيْثُ شاءَ: مَنْ عَفا عَنْ قاتِلِهِ، وَأَدَّىْ دَيْناً خَفِيّاً، وَقَرَأَ فِيْ دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرَ مَرّاتٍ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أَوْ إِحْداهُنَّ»[١].

وروى الإمام أحمد، والطبراني بإسناد حسن، عن عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَها، وَصامَتْ شَهْرَها، وَحَصَّنَتْ فَرْجَها، وَأَطاعَتْ زَوْجَها قِيْلَ لَها: ادْخُلِيْ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[٢].

وروى الطَّبرانيُّ في «الأوسط» بإسناد حسن، عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَيُّما امْرَأَةٍ اتَّقَتْ رَبَّها، وَحَفِظَتْ فَرْجَها، وَأَطاعَتْ

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٧٩٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٦١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٠٢) و(٦/ ٣٠٢): وفيه عمر بن نبهان وهو متروك.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٠٥) عن عبد الرحمن بن عوف، وقال: تفرد به ابن لهيعة.
ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣) عن أبي هريرة.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٦): رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وسعيد بن عفير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

زَوْجَها فُتِحَ لَهَا أَبْوابُ الْجَنَّةِ، فَقِيْلَ لَها: ادْخُلِيْ مِنْ حَيْثُ شِئْتِ»[1].

وروى النسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّيْ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ، وَيَصُوْمُ رَمَضانَ، وَيُخْرِجُ الزَّكاةَ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبائِرَ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الْجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2].

ولا شك أن دعاء العبد من كل باب من أبواب الجنة، وإباحته إياها كلها، دليل أنه من أهل عمل ذلك الباب، وهم لا يَعْدُوْنَ الطوائف الأربعة: الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وفي «مسند الإمام أحمد»، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه ﷺ قال: «لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ»[3].

وفي «مسند البزار» بسند حسن، عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ دُعِيَ الإِنْسانُ بِأَكْثَرِ عَمَلِهِ؛ فَإِنْ كانَتِ الصَّلاةُ أَفْضَلَ دُعِيَ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٦): وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وسعيد بن عفير لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٨): ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عمرو بن علقمة، وقد وثقه جماعة.

بِها، وَإِنْ كانَ الصِّيامُ أَفْضَلَ دُعِيَ بِهِ»، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أثَمَّ أحد يدعى بعملين؟ قال: «نَعَمْ؛ أَنْتَ»[1].

وروى الإمام أحمد، وابن السُّنِّي، والطبراني في «الكبير»، والحاكم، والبيهقي في «سننه» عن معاذ بن أنس ﷺ: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، كُتِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِيْنَ، وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيْقاً»[2].

وروى ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعانَ مُسْلِماً بِكَلِمَةٍ، أَوْ مَشَىْ لَهُ خُطْوَةً، حَشَرَهُ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَ الأَنْبِياءِ وَالرُّسُلِ آمِناً، وَأَعْطاهُ عَلَىْ ذَلِكَ أَجْرَ سَبْعِيْنَ شَهِيْداً قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[3].

وما ذكر في هذه الأحاديث، وأمثالهم من إلحاق من يستقل عمله بالطوائف المشار إليهم، أو من يدعى من كل باب من أبواب الجنة، قد يكون لانطوائه على ما للجميع من الأخلاق والأعمال، وقد يكون محمولاً على ما لو بقي على عمله حتَّى يموت عليه قبل أن يحدث،

(1) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 398): رواه البزار. وحسن الهيثمي إسناده.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (3/ 437)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: 643)، والطبراني في «المعجم الكبير» (20/ 184)، والحاكم في «المستدرك» (2443)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (9/ 172).

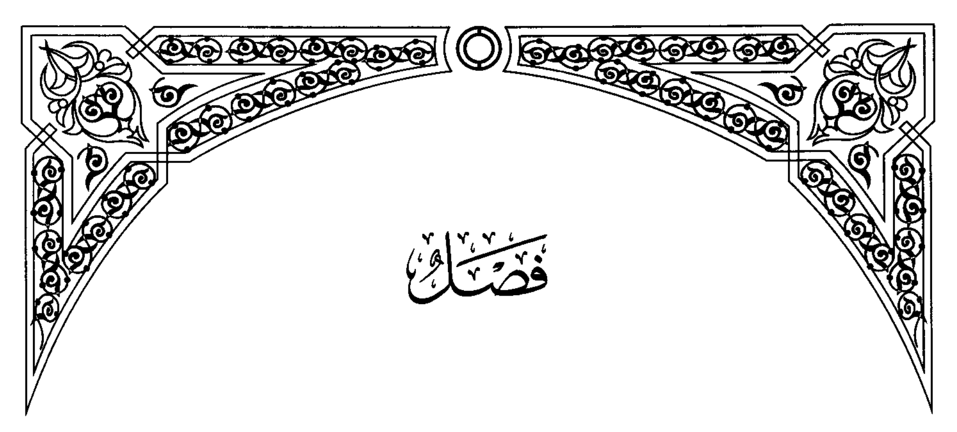
(3) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (59/ 295).

وقد يكون لخصوصية لم نَطَّلِع نحن عليها، وإنما كان عمله المرغب فيه علامة على تلك الخصوصية.

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الرقة والبكاء»، وفي كتاب «الخوف»، وأبو نعيم في «الحلية» عن بكر بن مصاد قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من النيران؟ ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها، يا إخوتاه! ألا تبكون من شدة العطش يوم القيامة؟ يا إخوتاه! ألا تبكون؟ ألا فابكوا على الماء البارد في أيام الدنيا، لعله أن يسقيكموه في حظائر القدس مع خير النُّدماء والأصحاب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[1].

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٦١).



فصل

واعلم أن من تشبه بقوم فإنه تارة يكون منهم حقيقة كمن تشبه بالصالحين في أعمال الصلاح الآتية؛ فإنه يكون منهم حقيقة، وإن تأخر عنهم زماناً.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٤ ـ ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فجمع بين المهاجرين والأنصار وبين تابعيهم بإحسان فيما وعدهم به من الرضوان والخلود في الجنان وإن تفاوتت مراتبهم باعتبار زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والترقي في مدارج الرضا عن الله تعالى.

وهذا لا ينافي ما نطق به الكتاب والسنة من تقديم الصحابة على من

بعدهم؛ أي: من حيث عموم الطبقة، لا من حيث خصوص الأشخاص كما اختاره ابن عبد البر من أنه لا مانع من أنه يكون في التابعين والمتأخرين من هو أفضل من بعض الصحابة الذين هم ليسوا من أفاضلهم[1].

ونقل القرطبي في «تفسيره»: أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ: «وَالأَنْصَارُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ»، برفع (الأنصار)، وإسقاط الواو من (الذين) على أنه نعت للأنصار، فراجعه زيد بن ثابت ﷺ، فسأل عمر أُبَيَّ بن كعب رضي الله تعالى عنه فصدَّق زيداً، فرجع إليه عمر، وقال: لقد كنا نرى أنا رفعنا رفعة لا ينالها معنا أحد، وفي رواية: كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا ينالها معنا أحد، فقال أُبي رضي الله تعالى عنه: إني أجد مصداق ذلك في كتاب الله تعالى في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[الجمعة: ٣]، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحشر: ١٠]، وفي سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾[الأنفال: ٧٥][2].

نعم، للصحابة رضي الله تعالى عنهم فضل اللُّقِيِّ والاجتماع بالنبي ﷺ، فمن تشبه بهم من بعدهم فإنما يكون منهم من حيث إنهم

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ٢٥١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٣٨)، وقد روى الطبري نحوه في «التفسير» (٨/ ٢٣٨).

صالحون وشهداء وصدِّيقون، لا من حيث إنهم صحابة؛ لأنه لم يتشبه بهم في نفس الصُّحبة، وبذلك يتضح لك أن من تشبه بقوم في خصلة من خصالهم دون خصلة: أنه لا يكون منهم من كل وجه، وإنما يكون منهم من حيث الخصلة التي شاركهم فيها.

وتارة لا يكون المتشبه بقوم منهم حقيقة، وإنما يكون منهم بمعنى معهم، أو من أوليائهم، كما في الحديث: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِيْ فَلَيْسَ مِنِّيْ»[1]؛ أي: من أوليائي.

وفي الحديث أيضاً: «سَلْمانُ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ»[2]؛ أي: من أوليائنا.

وكذلك قول طالوت: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[البقرة: ٢٤٩]

فالمتشبه بالأنبياء منهم بمعنى أنه يحشر معهم، أو يكون من أوليائهم، لا على معنى أنه منهم حقيقة فيكون نبياً؛ فإن النبوة موهبة لا تدخل تحت الاختيار، ولأنها الآن خُتمت بالنبي ﷺ.

أو نقول[3]: المتشبه بالأنبياء عليهم السلام إنما يتشبه بهم في الأعمال والأخلاق، فهو منهم من حيث إنهم صالحون وصديقون ومتقون ومحسنون إلى نحو ذلك، لا من حيث إنهم أنبياء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٤١).

(٣) في «أ»: «يقول».

وكذلك المتشـبه بالملائكة عليهـم السـلام فهو منهم؛ أي: في منزلتهم، أو من أوليائهم؛ لأن الملائكة يتولَّون أمر المؤمنين المستقيمين في الدنيا والآخرة بنص القرآن، والمتشبه بالملائكة ملحق بهم في التجرُّد عن الشهوة، أو في الأمن من غوائلها، أو في القربة من الله تعالى، أو نحو ذلك.

فلما كانت النبوة والصحبة والملكية مما لا يمكن الإنسان التوصل إليه مطلقاً في الملكية، وفي هذه الأزمنة في النبوة، والصحبة بالنبي ﷺ انقطعت بانتقاله إلى الدار الآخرة، لم يحرم الله الإنسان من الحشر مع هؤلاء، واللحاق بهم، فجعل التشبه بهم طريقاً لإلحاقهم بهم، وحشرهم معهم: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[البقرة: ٢٦٥].

وروى أبو الحسن علي بن عبدالله بن الحسن بن جهضم الهمداني في «بهجة الأسرار» عن محمد بن حسان قال: شهدت فُضيل بن عِياض رحمه الله تعالى وجلس إليه سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى فتكلم الفضيل بكلام، وقال فيما تكلم: كنتم معشرَ العلماء سُرُجَ البلاد يُستضاء بكم، فصرتم ظلمة، وكنتم نجوماً يهتدى بكم، فصرتم حيرة، ثم لا يستحيي أحدكم يأخذ من مال هؤلاء، وقد علم من أين هو حتى يسند ظهره ويقول: حدثني فلان عن فلان، وحدثنا فلان عن فلان، فرفع سفيان رأسه ـ وكان مطأطئاً ـ فقال: هاه هاه! والله لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحب الصالحين، قال: وسكت الفضيل، فطلب إليه سفيان، فحدثنا بثلاثين حديثاً.

فتأمل! فإن الفضيل لم ينكر على ابن عيينة تعلقه بمحبة الصالحين على فرض أنه لم يكن منهم، ولقد قيل: [من الوافر]

أُحِبُّ الصَّالِحِيْنَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلِّيْ أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةْ
وَأَكْرَهُ مَنْ بِضَاعَتُهُ الْمَعَاصِيْ
وَإِنْ يَكُ لِيْ شَرِيْكاً فِيْ الْبِضَاعَةْ

وحدثني شيخنا الإمام العلامة محب الدين الحنفي ـ فسح الله في مدته ـ: أن شيخه العلامة العارف بالله سيدي أبا الوفاء ابن الشيخ العارف بالله سيدي علوان الحموي رضي الله تعالى عنهما كان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت: [من الكامل]

إِنْ لَمْ تَكُوْنُوْا مِثْلَهُمْ فَتَشَبَّهُوْا
إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَامِ فَلاحُ

وهذا البيت من قصيدة مشهورة للسُّهروردي المقتول بحلب المعروف بالشاب الظريف، وهي: [من الكامل]

أَبَداً تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الأَرْوَاحُ
وَوِصَالُكُمْ رَيْحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوْبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ
وَإِلَىْ لَذِيْذِ لِقَاكُمُ تَرْتَاحُ

وَارَحْمَتَا لِلْعَاشِقِيْنَ تَكَلَّفُوْا
سُنَنَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَىْ فَضَّاحُ
بِالسِّرِّ إِنْ بَاحُوْا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ
وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِحِيْنَ تُبَاحُ
فَإِذَا هُمُ كَتَمُوْا تَحَدَّثَ عَنْهُمُ
عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَدْمَعُ السَّحَّاحُ
وَكَذَا شَوَاهِدُ لِلسِّقَامِ عَلَيْهِمُ
فِيْهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيْضَاحُ
خُفِضَ الْجَنَاحُ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمُ
لِلصَّبِّ فِيْ خَفْضِ الْجَنَاحِ جُنَاحُ
فَإِلَىْ لِقَاكُمْ نَفْسُهُ مُرْتَاحَةٌ
وَإِلَىْ رِضَاكُمْ طَرْفُهُ طَمَّاحُ
عُوْدُوْا بِنُوْرِ الْوَصْلِ مِنْ غَسَقِ الْجَفَا
فَالْهَجْرُ لَيْلٌ وَالْوِصَالُ صَبَاحُ
صَافاهُمُ فَصَفَوْا لَهُ فَقُلُوْبُهُمْ
فِيْ نُوْرِهَا الْمِشْكَاةُ وَالْمِصْبَاحُ
وَتَمَتَّعُوْا فَالْوَقْتُ طَابَ بِقُرْبِكُمْ
رَاقَ الشَّرَابُ وَرَاقَتِ الأَقْدَاحُ

يـا صـاحِ لَـيْسَ عَلـى الْمُحِـبِّ مَلامَـةٌ

إِنْ لاحَ فِـــيْ أُفْـــقِ الْوِصـــالِ صَـــبَاحُ

لا ذَنْـــبَ لِلْعُـــشَّاقِ إِنْ غَلَـــبَ الْهَـــوَىْ

كِتْمَـــانَهُمْ فَنَمَـــى الْغَـــرَامُ وَبـــاحُوا

سَـــمَحُوْا بِأَنْفُـــسِهِمْ وَمـــا بَخِلُـــوا بِهـــا

لَمَّـــــا دَرَوْا أَنَّ الـــــسَّمَاحَ رَبـــــاحُ

وَدَعـــاهُمُ داعِـــيْ الْحَقـــائِقِ دَعْـــوَةً

فَغَـــدَوْا بِهـــا مُسْتَأْنِـــسِيْنَ وَراحُـــوا

رَكِبُـوا عَلـى سُـفُنِ الـدُّجَى فَـدُمُوْعُهُمْ

بَحْـــرٌ وَشِـــدَّةُ شَـــوْقِهِمْ مَـــلاَّحُ

وَاللهِ مـــا طَلَبُـــوا الْوُقُـــوْفَ بِبابِـــهِ

حَتَّـــى دُعُـــوْا وَأَتَـــاهُمُ الْمِفْتَـــاحُ

لا يَطْرَبُـــوْنَ لِغَيْـــرِ ذِكْـــرِ حَبِيْبِـــهِمْ

أَبَـــداً فَكُـــلُّ زَمَـــانِهِمْ أَفْـــراحُ

حَـضَرُوا وَقَـدْ غابَـتْ شَـواهِدُ ذَاتِهِـمْ

فَتَهَتَّكُـــوْا لَمَّـــا رَأَوْهُ وَصـــاحُوْا

فَتَـــشَبَّهُوْا إِنْ لَـــمْ تَكُوْنُـــوا مِـــثْلَهُمْ

إِنَّ التَّـــشَبُّهَ بِـــالْكِرامِ فَـــلاحُ

قُــمْ يـــا نَــدِيْمُ إِلَــى الْمُــدامِ فَهاتِهـــا
فِـــيْ كَأْسِـــها قَـــدْ دارَتِ الأَقْـــداحُ
مِـــنْ كَـــرْمِ إِكْـــرامِ بِـــدَنٍّ دِيانَـــةٍ
لا خَمْـــرَةٍ قَـــدْ داسَـــها الْفَـــلاَّحُ[1]

* * *

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥/ ٦١٤)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٧١).



قسم الله تعالى المُنْعَم عليهم المذكورين في الآيـة المتقدمة أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحثَّ كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم، ولا يقصروا عن اللحاق بهم، وهم:

١ ـ الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل، المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل بالفهم وبالوحي.

٢ ـ والصدِّيقون الذين صعدت نفوسهم إلى أَوج المعرفة؛ إما بطريق النظر في الآيات، أو بطريق التصفية والرياضات، وقد يتجاوزون درجـة الكمـال إلـى درجـة التكميل أيضاً، لكن لا بطريـق الوحـي، بل بطريق الفهم من نصوص الشرائع، والتلقي عن سائر الأنبياء بطريق الإرث.

٣ ـ والشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة، والجد في إظهار الحق إلى أن بذلوا مُهَجَهُمْ في إعلاء كلمة الله تعالى.

وقيل: الصدِّيقون هم العارفون بالله، وهم خواص العلماء.

والشهداء هم العلماء؛ لأنهم شهداء الله في الأرض.

٤ ـ والصالحون هم الذين صرفوا أعمارهم في طاعة الله تعالى،

وأموالهم في مرضاته[1].

فالصالحون هم المطيعون، أعم من أن يكونوا أنبياء أو صديقين أو شهداء، فمنهم الأبرار والمتقون والمحسنون والمخلصون، إلى غير ذلك من الأنواع.

والأنبياء خواص هؤلاء كلهم.

والصِّديقون خواصهم بعد الأنبياء.

والشُّهداء خواصهم بعد الصِّديقين.

فأوصاف الصَّالحين، وأخلاقهم تنطوي في أخلاق الشُّهداء وأوصافهم.

وأخلاق الشُّهداء وأوصافهم تنطوي في أخلاق الصِّديقين وأوصافهم.

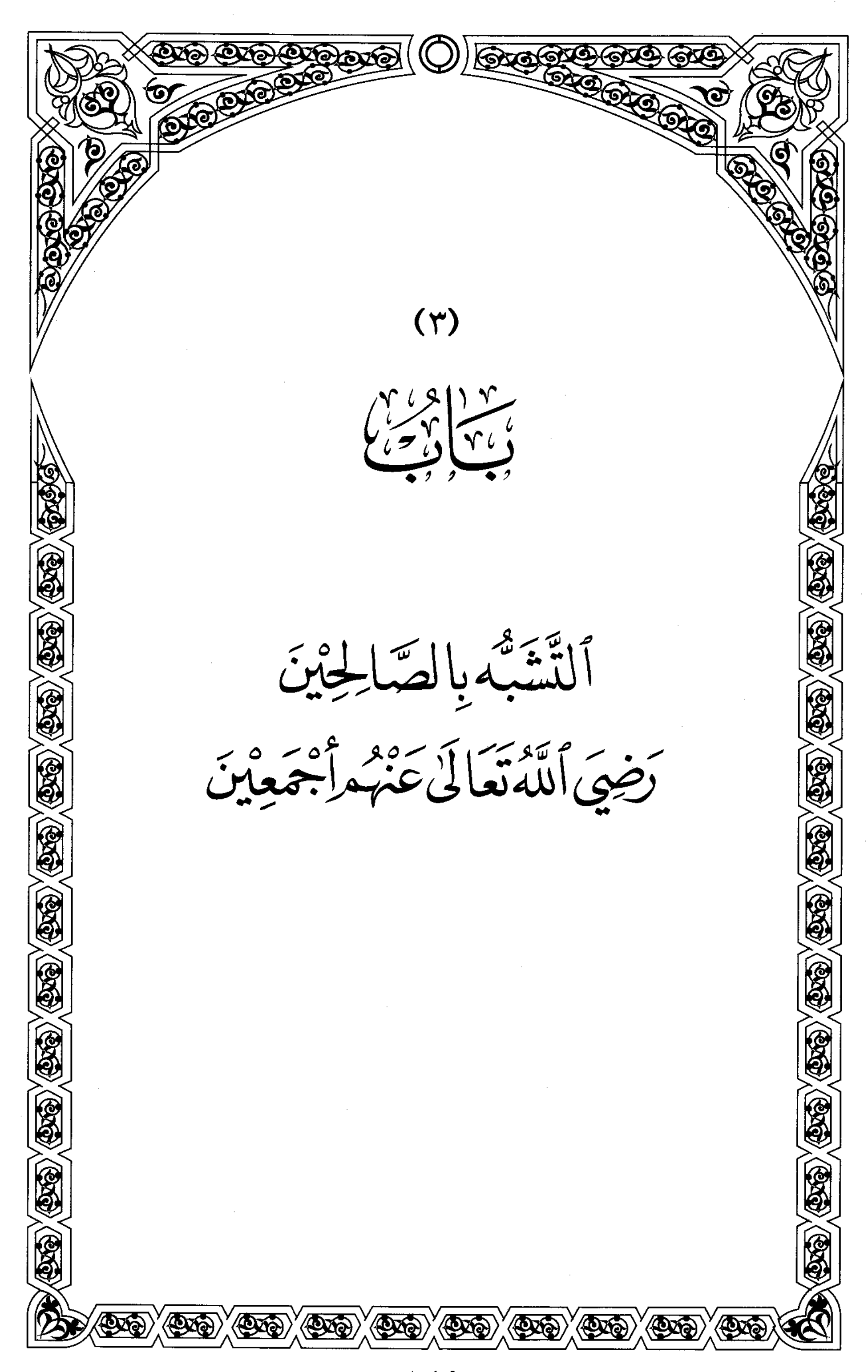
وأخلاق الصِّديقين وأوصافهم تنطوي في أخلاق النبيين وأوصافهم.

وينبغي أن نشير على سبيل التدريج والترقية، إلى جملة من أخلاق الصَّالحين وأعمالهم، ثم الشهداء، ثم الصِّديقين، ثم الأنبياء عليهم السَّلام.

ثم نختم الكلام بجملة لطيفة من مجامع أخلاق رسول الله ﷺ؛ لأن أخلاق هؤلاء كلهم وأوصافهم منطوية في أخلاقه وأوصافه كما علمت؛ فهو الإنسان الكامل ﷺ في البُكر والأصائل، ثم نتمم الخاتمة بفصل في التخلق بأخلاق الله تعالى، وبذلك يتم القسم الأول، والله الموفق لكل خير.

❐❐❐

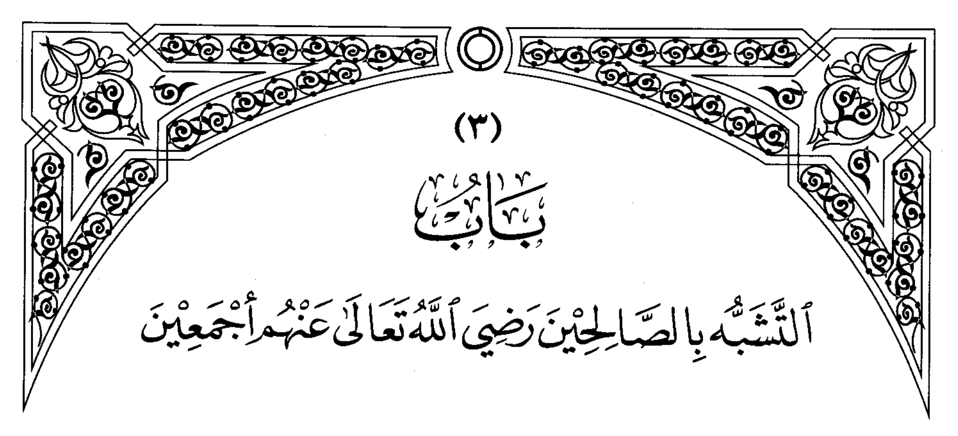
(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٢١٤).



(٣)

بَابُ

ٱلتَّشَبُّه بِالصَّالِحِيْنَ
رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ



(٣)
بَابُ
ٱلتَّشَبُّه بِالصَّالِحِيْنَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ

اعلم أن التَّشبه بالصَّالحين، والدخول في عدادهم، مندوب إليه، محثوث عليه؛ لأنه يورث تولي الله لعبده، وهو مطلوب الأنبياء عليهم السَّلام، ومن أوصافهم التي يحمدون بها وعليها.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٥ـ ١٩٦].

ولو لم يكن في التشبه بالصالحين إلا تولي الله تعالى العبدَ المتشبِّه بهم لكفى.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[العنكبوت: ٢٧].

وإنما خص كونه من الصَّالحين بالآخرة إشارة إلى أن العبرة بصلاح الآخرة، أو أن الصلاح المعتد به ما كان نافعاً في الآخرة وهو الخالص،

فلا اعتبار لصورة الصَّلاح في الدُّنيا، والمتصف بها في الآخرة من الصَّالحين.

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الصافات: ٩٩ ـ ١٠٠]؛ أي: ولداً صالحاً.

وقال تعالى بعد ذكر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٧٢].

وقال تعالى بعد ذكر هؤلاء ونوح، وداود، وسليمان، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٨٦].

وقال تعالى في حق لوط عليه السلام: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٧٥].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السَّلام في طلب اللحاق بالصالحين: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الشعراء: ٨٣].

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السَّلام: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

وقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السَّلام: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

قال العلماء: إنما أثنى الله تعالى على هؤلاء الأنبياء بالصلاح - وإن كان الصَّلاح من لازم نبوتهم - لينبه سبحانه على فضل الصلاح، وأنه مجمع القُرب، سواء وصل صاحبه إلى مقام النبوة والصِّديقية ونحوهما، أم لا.

وكذلك في طلب يوسف وسليمان عليهما السلام من الله تعالى أن يلحقهما بالصالحين، تنويه بمقدار الصلاح، وتنبيه على شرفه.

وقال الله تعالى حكاية عن النجاشي، وأصحابه في معرض الثناء عليهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المائدة: ٨٣ - ٨٤].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن هارون بن عنيزة قال: سمعت الحسن رحمه الله تعالى يقول: اللهم اغفر لنا ذنوبنا، ووسع لنا في ذاتنا، واجعلنا من صالح من بقي، وألحقنا بصالح من مضى.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]؛ قال: حريص على إيمانكم وصلاحكم[1].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٢).

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن سفيان الثوري رحمه الله قال: قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: أبقاك الله، قال: قد فُرِغ من هذا، فادع الله لي بالصلاح[1].

وفي كلام عمر بن عبد العزيز هذا، إشارة إلى أن الدعاء بالبقاء أو بطول العمر، كالضرب في حديد بارد؛ لأن هذا مما فُرِغ منه.

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن النسائي»، وغيرهما عن ابن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبة رضي الله تعالى عنها: اللهم أمتعني بزوجي النبي ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: «إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لآجالٍ مَضْرُوْبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُوْدَةٍ، وَأَرْزاقٍ مَقْسُوْمَةٍ، وَلَنْ يُعَجِّلَ شَيْئاً قَبْلَ أَجَلِهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئاً عَنْ أَجَلِهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ ﷻ أَنْ يُعِيْذَكِ مِنْ عَذابٍ فِيْ النَّارِ، أَوْ عَذابٍ فِيْ الْقَبْرِ، كانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ»[2].

فإن كان المدعو له فاسقاً أو ظالماً، فلا يفيد الدعاء شيئاً، إلا أنه أفصح أن الداعي أراد بقاء الفاسق أو الظالم، والفسق والمعصية، وهذا ليس من شأن الصالحين، بل الطالحين.

ومن ثَمَّ قال سفيان الثوري، كما رواه أبو نعيم: من دعا لظالم بطول البقاء، فقد أحب أن يعصى الله[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٩٢)، وكذا رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٣٨٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٩٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤٦).

وذكره بعضهم حديثاً[1].

ورواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي من كلام الحسن رحمه الله تعالى[2].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِراشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِراشَهُ بِداخِلِ إِزارِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِيْ ما خَلَّفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: بِاسْمِكَ رَبِّيْ وَضَعْتُ جَنْبِيَ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِيَ فَارْحَمْها، وَإِنْ أَرْسَلْتَها فَاحْفَظْها بِما تَحْفَظُ بِهِ عِبادَكَ الصَّالِحِيْنَ»[3].

وحفظُه سبحانه لعباده الصالحين إنما هو بتوفيقه لهم، وإرشاده إياهم، وكَلأَته[4] لهم، ودفع الآفات عنهم بسبب أعمالهم الصالحة، كما قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ»[5]، وفي رواية: «أَمامَكَ»[6].

---

(١) منهم الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٣٢): لم أجده، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» من قول الحسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٣٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٤).

(٤) الكلاءة: الحفظ والحراسة.

(٥) رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٧).

فلا يحفظ الله العبد بما حفظ الله عباده الصالحين إلا بأن يوفقه لما وفقهم إليه، حتى يثبتوا في دار ولايته، محفوفين بعين عنايته.

وروى ابن الجوزي في «صفوته» عن محمد بن يزيد بن خُنيس قال: قال وُهَيب بن الورد رحمه الله تعالى: لو أن علماءنا ـ عفا الله عنا وعنهم ـ نصحوا الله في عباده، فقالوا: يا عباد الله! اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ، وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا، فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفَسْلَةِ، كانوا نصحوا الله في عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم، وما هم فيه[1].

ففي هذا القول من وهيب رضي الله تعالى عنه إشارة إلى أن الإرشاد إلى التخلق بأخلاق الصالحين، والاقتداء بهديهم من جملة وظائف العلماء، وأن ذلك منهم لو اتفق عين النصيحة لله، والشفقة على عباده.

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء» عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: محدثان أحدثا في الإسلام: رجل ذو رأي سوء يزعم أن الجنة لمن يرى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا، لها يغضب، ولها يرضى، وإياها يطلب، فارفضوهما إلى النار؛ إن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه ـ وقد عصمه الله منهما ـ يجيء إلى السلف الصالح يسأل عن فعالهم، ويقتفي آثارهم،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢٢). ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤١).

متعرضٌ لأجر عظيم، فكذلك كونوا[1].

أي: سائلين عن آثار السلف الصالحين، مقتفين لآثار القوم المفلحين.

وفيه إشارة إلى أن من كان متصفاً بهذه الصفة في غاية العزة، خصوصاً في هذه الأزمنة المتأخرة، ونحن الآن بعد ألف بسنوات، فهو أحق وأحرى أن يسمى غريباً، كما قال رسول الله ﷺ: «طُوْبَىْ لِلْغُرَباءِ»، قيل: فمن الغرباء؟ قال: «قَوْمٌ يُصْلِحُوْنَ حِيْنَ يُفْسِدُ النَّاسُ». رواه ابن أبي شيبة عن إبراهيم بن المغيرة، أو ابن أبي المغيرة رضي الله تعالى عنه[2].

وفي لفظ آخر: «ناسٌ قَلِيْلُوْنَ صالِحُوْنَ فِيْ ناسٍ كَثِيْرٍ؛ مَنْ يُبْغِضُهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ»[3].

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، ولفظه: «طُوْبَىْ لِلْغُرَباءِ»، قيل: فمن الغرباء؟ قال: «أُناسٌ صالِحُوْنَ فِيْ أُناسِ سُوْءٍ كَثِيْرٍ؛ مَنْ يَعْصِيْهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيْعُهُمْ»[4].

وروى الطبراني في «المعاجم الثلاثة» عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيْباً،

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٦٨).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٢٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧).

وَسَيَعُوْدُ غَرِيْباً كَمَا بَدَأَ؛ فَطُوْبَىْ لِلْغُرَباءِ»، قالوا: يا رسول الله! ومن الغرباء؟ قال: «الَّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ عِنْدَ فَسادِ النَّاسِ»[1].

وأخرجه في «الأوسط» من حديث جابر ﷺ بنحوه[2].

وأخرجه الإمام أحمد، وأبو يعلى وإسنادهما حسن، والبزار عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بلفظ: «إِنَّ الإِيْمانَ بَدَأَ غَرِيْباً»[3].

وروى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن أبي الخير العتلي قال: سمعت إبراهيم الحربي رحمه الله تعالى يقول لجماعة عنده: من تعدُّون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحد منهم شيئاً، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين؛ إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٨٦٧)، و«المعجم الأوسط» (٣٠٥٦)، و«المعجم الصغير» (٢٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٨): رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح، غير بكر بن سليم وهو ثقة.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٨٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٥٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٧): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

شيء من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه[1].

يعني: إنه حين مات رفقاؤه وبانت أصدقاؤه صار غريباً.

وروى أبو نعيم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: [قال دانيال][2]: يا لهفي عن زمن يلتمس فيه الصالحون فلا تجد منهم أحداً إلا كالسنبلة في أثر الحاصد، أو كالخصلة في أثر القاطف؛ يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيَهم[3].

وما أحسن قولَ الشيخ الإمام العلامة أبي الفتح تقي الدين بن دقيق العيد القشيري رحمه الله تعالى: [من السريع]

قَدْ عُرِفَ الْمُنْكَرُ وَاسْتُنْكِرَ الْـ
ـمَعْرُوْفُ فِيْ أَيَّامِنَا الصَّعْبَةْ
وَصَارَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيْ وَهْدَةٍ
وَصَارَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيْ رُتْبَةْ
حَادُوْا عَنِ الْحَقِّ فَمَا لِلَّذِيْ
سَادُوْا بِهِ فِيْمَا مَضَىْ نِسْبَةْ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٠٩)، ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٦).

(٢) زيادة من «حلية الأولياء» لأبي نعيم.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٣).

فَقُلْـــتُ لِلأَبْـــرارِ أَهْـــلِ التُّقَـــىْ

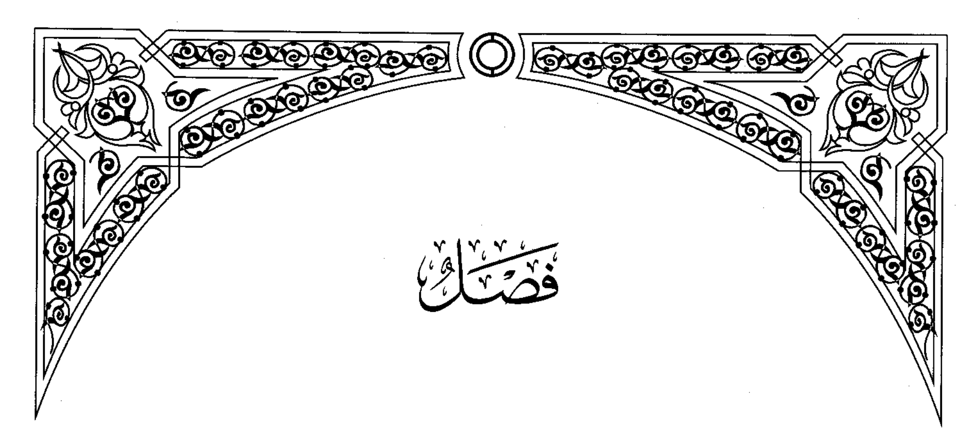
وَالـــدِّيْنِ لَمَّـــا اشْـــتَدَّتِ الْكُرْبَـــةْ

لا تُنْكِـــرُوْا أَحْـــوَالَهُمْ قَـــدْ أَتَـــتْ

نَـــوْبَتُكُمْ فِـــيْ زَمَـــنِ الْغُرْبَـــةْ[1]

* * *

(١) أورد هذه الأبيات السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١/ ١٨٤).



فصل

يحصل التشبه بالصالحين بكل عمل صالح مع الإيمان بالله تعالى، لكن الظاهر أن من اقتصر على عمل واحد، أو على أعمال قليلة من الصَّالحات لا يقال: إنه صالح حتى يتمرَّن على الأعمال الصالحة، ويداوم عليها كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

ومع ذلك فإن من اقتصر على عمل صالح مع الإيمان، فعسى أن ينفعه الله تعالى بذلك العمل الصالح يوماً ما؛ فإنه ليس من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له.

وقد روى أبو يعلى في «المسند»، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْخَصْلَةَ الصَّالِحَةَ تَكُوْنُ فِيْ الرَّجُلِ فَيُصْلِحُ اللهُ بها عَمَلَهُ كُلَّهُ، وَطُهُوْرُ الرَّجُلِ لِصَلاتِهِ يُكَفِّرُ ذُنُوْبَهُ، وَتَبْقَىْ صَلاتُهُ لَهُ نافِلَةً»(١).

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٢٩٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٠٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٢٥): رواه أبو يعلى =

وقال الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه: من استطاع منكم أن يكون له خبيء من عمل صالح فليفعل[1].

وأخرجه الخطيب البغدادي عنه مرفوعاً[2].

وقيل: [من الكامل]

وَإِذَا افْتَقَـرْتَ إِلَـىْ الـذَّخائِرِ لَـمْ تَجِـدْ
ذُخْـراً يَكُـوْنُ كَـصالِحِ الأَعْمـالِ[3]

وقال محمد بن علي المصري: [من الخفيف]

افْعَـلِ الْخَيْـرَ مـا اسْـتَطَعْتَ وَإِنْ كـا
نَ قَلِـيْلاً فَلَـسْتَ مُـدْرِكَ كُلِّـهْ
وَمَتَـىْ تَفْعَـلُ الْكَثِيْـرَ مِـنَ الْخَيْـ
ـرِ إِذا كُنْـتَ تَارِكـاً لأَقَلِّـهْ؟[4]

= والبزار والطبراني في «الأوسط» وفيه بشار بن الحكم، ضعفه أبو زرعة وابن حبان، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٥١).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٦٢). قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٢٢): حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ويروى موقوفاً، وهو الصحيح.

(٣) انظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام (٢/ ٤٩٣).

(٤) كذا نسب البيتين الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٣٨) إلى محمد =

ثم الأعمال الصالحات هي كل ما لله تعالى فيه رضى من قول العبد، أو فعله، أو نيته، وهو ما كان خالصاً لوجه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

قال أبو عاصم الأنطاكي في الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: من خاف المقام بين يدي الله تعالى فليعمل عملاً يصلح للعرض عليه[١].

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: العمل الصالح ما يصلح أن تلقى به الله ﷻ، ولا تستحيي[٢] منه في ذلك[٣].

نقلهما أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائق التفسير».

وفسر الأنطاكي الرجاء بالخوف لتلازمهما تطبيقاً بين الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العمل الصالح الذي لا تريد أن

= ابن علي المصري، وقد نسبهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٢٥٥) وغيره إلى محمد بن طاهر.

(١) ذكره السلمي في «حقائق التفسير» (١/ ٤١٩).

(٢) في المطبوع من «حقائق التفسير» للسلمي (١/ ٤١٩): «ويستحى منه».

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (١/ ٤١٩).

يحمدك عليه إلا الله تعالى[1]. رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب «النية والإخلاص».

وروى «فيه» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]؛ قال: أخلصه، وأصوبه.

قال: والخالص إذا كان له، والصواب إذا كان عن السنة[2].

وعن مُطرِّف رحمه الله تعالى قال: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية[3].

ولا شك أن النية محلها القلب، فأول الصلاح صلاحه، وبصلاحه يصلح العمل، وبصلاح العمل يصلح القلب آخراً.

أي: ينقله من حالة إلى أصلح منها، أو يدوم له الصلاح.

ومما يدل على ذلك حديث «الصحيحين»: «أَلا إِنَّ فِيْ الْجَسَدِ مُضْغَةً، مَتَىْ صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَمَتَىْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[4].

وإنما قلنا: إن العمل الصالح هو الخالص الذي يرضى الله به؛

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨٢).

(٢) ورواه الثعلبي في «التفسير» (٩/ ٣٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٩٩).

(٤) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

لأن الله تعالى لا يرضى أن تكفر نعمة، ومن كفران النعمة أن يشكر عليها غير المنعم بها.

وإن من أفاضل نعم الله عليك وجودك وجوانحك، فمهما صرفتها ـ أو شيئاً منها ـ في غير خدمته تعالى بغير إذنه، فقد كفرت هذه النعم: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾[الزمر: ٧]، وإنما يرضى لهم الشكر كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾[الزمر: ٧]

ومتى صرفت من القلب حصة لغير الله تعالى، فقد كفرت نعمته؛ لأنه لا يقبل الشَّرِكة، كما قال أبو مدين رحمه الله تعالى: ليس للقلب إلا وجهة واحدة، فلا تجعلها لغير وجه الله تعالى[١].

وقد أشار إلى ذلك ولي الله العارف به الشيخ أرسلان الدمشقي رضي الله تعالى عنه فقال في «رسالته»: ما صلحت لنا ما دام فيك بقية لسوانا، فإذا حولت السوى أفنيناك عنك، وصلحت لنا، فأودعناك سرنا.

وقلت في «نظم الرسالة الأرسلانية» في هذه الحقيقة العرفانية:

[من الرجز]

مَا أَنْتَ صالِحٌ لَنَا ما دَامَ فِيْكْ
بَقِيَّةٌ لِمَا سِوانا تَقْتَفِيْكْ

---

(١) ذكره الشعراني في «الطبقات الكبرى» (ص: ٢٢٠).

فَحُـلْ عَـنِ الـسِّوَىْ وَحَـوِّلْ عَنْكـا
نُفْنِـكَ عَنْـكَ نَنْتَقِـذْكَ مِنْكـا
فَعُـدْتَ صـالِحاً لَنـا فَنُوْدِعَـكْ
مِـنْ سِـرِّنَا شَـيْئاً بِـهِ نُمَتِّعَـكْ

واعلم أن العمل الصالح = لأَنْ يخدم الله تعالى به، هو الخالص لوجهه الكريم؛ لِما عرفت، ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ ما كانَ لَهُ خالِصاً، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». رواه أبو داود، والنسائي من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه(١).

ولقوله ﷺ، يرويه عن ربه ﷻ: «أَنا خَيْرُ الشُّرَكاءِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ غَيْرِي، فَأَنا بَرِيْءٌ مِنْهُ». رواه مسلم، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٢).

= هو الذي يبقى للعبد عند الله تعالى، والله خير وأبقى.

قال أبو سعيد الحسن بن علي في «الحدائق»: ﴿ مَاعِندَكُمْ

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٠) وعزاه كثيرون إلى النسائي وحده؛ كابن الأثير في «جامع الأصول» (٢/ ٥٨٤)، وعزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٤) إلى أبي داود والنسائي. وقال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٢/ ٢٤٥): عزاه ـ أي صاحب كتاب «الأحكام» عبد الحق الإشبيلي ـ إلى أبي داود، ولا أعلمه عنده، وإنما هو بهذا النص عند النسائي.

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥)، لكنه قال: «أنا أغنى الشركاء».

﴿يَنفَدُ﴾[النحل: ٩٦]؛ يعني: ما كان لأجل الكون، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل: ٩٦]: ما كان لأجل الْمُكَوِّنِ.

قال: وأعمال المخلصين بحكم هذه الآية داخلة في حكم البقاء، وأعمال المرائين داخلة في حكم الفناء، وذلك أن أعمال المخلصين كانت لأجل المكون؛ أي: فبقيت لبقاء مَنْ هي لأجله، وأعمال المرائين كانت لأجل الكون؛ أي: ففنيت لفناء ما هي لأجله.

وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨].

قال ابن عباس في تفسير الآية: إلا ما أريد به وجهه. رواه عبد بن حميد(١).

وقال مجاهد: إلا ما أريد به وجهه من الأعمال الصالحة. رواه ابن أبي حاتم(٢).

وقال الربيع بن خُثَيم: ما لم يرد به وجه الله يَضْمَحِلُّ. رواه ابن أبي شيبة(٣).

وقال محمد ابن الحنفية: كل ما لا يبتغي به وجه الله يَضْمَحِلُّ. رواه ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم(٤).

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٧) إلى عبد بن حُميد.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٢٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٧٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٧).

فالعمل الصالح هو الباقي ؛ لأنه ما كان إلا لثواب الله في الآخرة ورضاه.

وقد قال تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١]؛ أي: ما ادَّخره لك في الآخرة(١)، كما قال القاضي ناصر الدين البيضاوي أخذاً من قول السدي في الآية: أن المراد رزق الجنة(٢)؛ أي: رزق ربك في الجنة ـ وهو الثواب بعينه ـ خير وأبقى.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[الأعلى: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢].

ولا شك أن الصالح ضد الفاسد، والفاسد هو الهالك الذي لا ينتفع به، وكل شيء هالك إلا ما أريد به وجه الله، كما علمت.

ومن صرف عمره في الأعمال الصالحات كمن جعل له وليُّه رأس مال، وأمره أن يتجر فيه، ويقلبه لأجل النمو والفائدة؛ فإن قلبه في طرق التجارة المنتجة للفوائد، كان صالحاً في ماله مصلحاً له، ولذلك قيل في الرشد: إنه صلاحية الدِّيْن والمال، وإن تركه بغير تقليب، أو قلبه في غير الطرق المنتجة للفوائد، ولا غنى له عن الصرف منه، فهو غير صالح لماله، ولا مصلح له، بل مفسد لرأس ماله، متلف له.

وكذلك عمر العبد رأس ماله الذي سلمه إليه ربه ووليه سبحانه

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦١٢).

وتعالى؛ فمن صرفه في الأعمال الصالحة الباقية عند الله تعالى فهو الصالح الرشيد، ومن ضيعه في البطالات، أو صرفه في غير وجوه الخيرات فقد أفسده؛ إما بتضييعه في غير فائدة ولا عائدة، وإما بصرفه فيما تبقى عليه تبعته، وتذهب عنه لذته.

وكما يبقى ثواب العمل الصالح يبقى عقاب العمل السيئ ، كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[طه: ١٢٧]، فهو غير صالح، ولا رشيد، ويأتي يوم القيامة مفلساً معدماً، ولا يأمَن أن يقول تأسفاً وتندماً: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٥٦].

وقد ضرب الله تعالى هذا المثال في كتابه العزيز، فقال في حق المفسدين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٦]، وذلك بعد أن شهد عليهم بالإفساد، ونفى الإصلاح عنهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١١ ـ ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة: ٦٤].

فالمفسد متعرض لمقت الله تعالى وطرده عن قربه، وعزله عن حبه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[الأعراف: ٥٦].

وأول ما يلزمك عمارة أرض نفسك بالإصلاح، وتنزيهها عن الإفساد، وإذا كنت لأرضك مفسداً، كنت لغيرها أكثر فساداً.

وقال تعالى: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ٨٦].

فالإفساد سبب سوء العاقبة، كما أن الإصلاح سبب حسن الخاتمة، ودفع الأسواء؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[هود: ١١٧]؟

وقال تعالى في حق المصلحين لرؤوس أموالهم التي هي أعمالهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وما أحسن قول منصور بن عمار الواعظ فيما أنشده أبو الحسن ابن جهضم في «بهجة الأسرار» عن ظاهر بن العباس عنه رحمهم الله تعالى: [من الطويل]

وَإِنَّ امْـرَأً لَـمْ يَرْتَحِـلْ بِبِـضَاعَةٍ
إِلَـىٰ دارِهِ الأُخْـرَىٰ فَلَـيْسَ بِتـاجِرِ
وَإِنَّ امْـرَأً يَبْتَـاعُ شَـيْئاً بِدِيْنِـهِ
لَمُنْقَلِـبٌ مِنْهـا بِـصَفْقَةِ خاسِـرِ(١)

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠].

---

(١) ذكر البيتين ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص: ٢٨) ونسبهما للمنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري.

وأمر موسى أخاه عليهما السلام باتباع المصلحين، ونهاه عن اتباع المفسدين، فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨].

وهذه الآية تدل على أن بين الفريقين بَوناً بعيداً، وأنهما في طرفي نقيض.

قال قتادة رحمه الله تعالى، وقرأ هذه الآية: لقد تفرق القوم في الدنيا وعند الموت، فتباينوا في المصير. رواه عبد بن حميد[1].

فالمتشبه بالصالحين هو المصلح لرأس ماله، الراجي للتجارة الباقية التي لن تبور، ولن تَبيد، ولا تنتهي فوائدها وعوائدها على التأبيد، فشأنه كلما وجد رِبحاً في عمل صالح سارع إليه، وكلما سمع بفائدة في خلق جميل ثابر عليه.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٧) إلى عبد بن حميد، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٤٨).

ثم قال تعالى مرغِّباً في هذه التجارة، وحاثّاً عليها بأرشق عبارة: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: إشارة إلى أن عماد هذه التجارة الإخلاص فيها والصِّدق، اللذان هما عبارة عن التقوى؛ لأن التقوى محلها القلب، كما قال النبي ﷺ في حديث رواه مسلم: «التَّقْوَىٰ هَهُنا»[1]، وأشار إلى صدره الذي هو هيكل قلبه، ولا شك أن الإخلاص والصدق هما عمدة الأفعال القلبية التي مبنى الصلاح عليها، كما قال ﷺ في حديث «الصحيحين»: «أَلا إِنَّ فِيْ الْجَسَدِ مُضْغَةً، مَتَىٰ صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ»[2].

ولذلك كان من أسئلة الصالحين طلب إصلاح القلوب.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «المنامات» عن صالح المُرِّي رضي الله تعالى عنه قال: كنت أقول: اللَّهُمَّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فناداني منادٍ من ناحية البيت: يا صالح! زدنا فيها: اللهم إليك أشكو فساد قلبي، وإياك أستعين على صلاحه[3].

وروى الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن عبدالله بن عمرو رضي الله

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٧٩).

تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، كَفاهُ اللهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيْرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ».

وروى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» عن مَعْقِل بن عبيدالله الجَريري رحمه الله تعالى قال: كانت العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين النَّاس، ومن اهتم بأمر آخرته، كفاه الله أمر دنياه[١].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: لكل امرئ جَوَّانِيٌّ وبَرَّانِيٌّ؛ من يصلح جَوَّانِيَّه يصلح الله بَرَّانِيَّهِ، ومن يفسد جَوَّانِيَّهِ يفسد الله بَرَّانِيَّه[٢].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن بُريد[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ صالِحٌ تَحَنَّنَ اللهُ عَلَيْهِ»[٤].

والمعنى: أن العبد إذا حاول إصلاح قلبه وسريرته، تحنَّن الله تعالى عليه، فوفَّقه لإصلاح أعماله وعلانيته، ثم هو في إصلاح قلبه لا حول له ولا قوة إلا بربه.

---

(١) ورواه هناد في «الزهد» (١/ ٣٠٠) من قول عون بن عبدالله.

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٣).

(٣) في «أ»: «بريدة».

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٥٦).

والحنان ـ كما في «القاموس» ـ: الرحمة، والرزق، والبركة[1].

وفسره ابن عباس، ومجاهد بالتعطف، كما رواه عبد بن حميد.

ونتيجة هذه المعاني كلها إذا أريدت في الحديث إصلاح الأعمال في الدنيا، وحسن الجزاء في الآخرة.

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الإخلاص» عن سفيان قال: قال ابن عجلان رحمه الله تعالى: لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى به، والنية الحسنة، والإصابة[2].

قلت: ومعنى الإصابة: أن يصيب بعمله عملاً مأخوذاً به في الشرع، موافقاً للعلم على سَنَن السنة، فلا بد في الصالح أن يكون متبعاً للسنة، متجنباً عن البدعة ومحدثات الأمور، وذلك من لازم التقوى أيضاً؛ فإن المبتدع لو جاء بطاعة نوح، وكرم إبراهيم، وفتوة يوسف، وتواضع موسى، وزهد عيسى، وحزن يعقوب، وصبر أَيُّوب، وشكر سليمان، وتلاوة داود، وحكمة لقمان، لا يكون تقياً، ولا صالحاً مَرْضِيّاً.

وقد روى اللالكائي في «السنة» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: الاقتصاد في السنة، خيرٌ من الاجتهاد في البدعة[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٥٣٨) (مادة: حن).

(٢) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٦٤).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٥٥)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٢).

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يصلح قول ولا عمل إلا بنية، ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسنة(١).

وقد رواه الشيخ نصر المقدسي رحمه الله تعالى في «الحجة» عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَصْلُحُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلاَّ بِالسُّنَّةِ»(٢).

وأخرجه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، نحوه أبسط من ذلك(٣).

وقد علمت سابقاً أن الصَّالحين غرباء في الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة المتأخرة.

وقد روى اللالكائي عن الحسن رحمه الله تعالى: أنه قال: يا أهل السنة! ترفقوا رحمكم الله تعالى؛ فإنكم من أقل الناس(٤).

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى: أنه قال: استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فإنهم غرباء(٥).

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٥٧).

(٢) انظر: «مختصر الحجة على تارك المحجة» (١٢٥).

(٣) المرجع السابق (١٢٤).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٥٧).

(٥) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٦٤).

وعن أبي بكر بن عياش رحمه الله تعالى قال: السنة في الإسلام، أعز من الإسلام في سائر الأديان[1].

هذا، ومما يدل على أن التقوى الشاملة لحسن النية، والإخلاص، والصدق، واتباع السنة ومحبتها، وغير ذلك من الأعمال القلبية هي خاصة هذه التجارة التي أشرنا إليها سابقاً: ما رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أَيُّها النَّاسُ! اتَّخِذُوْا تَقْوَىْ اللهِ تِجارَةً، يَأْتِكُمُ الرِّزْقُ بِلا بِضاعَةٍ وَلا تِجارَةٍ»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢ ـ ٣][2].

والرزق المجلوب بتجارة التقوى شامل للرزق الجثماني، والرزق الروحاني، والرزق الدنيوي، والرزق الأخروي، وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾[طه: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[طه: ١٣٢].

قال سفيان الثوري: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ﴾[طه: ١٣٢]: لا نكلفك الطلب. رواه ابن أبي حاتم[3].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٦).

(٣) انظر «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦١٣).

أي: نغنيك عن الطلب ومشقاته، ونتكفل برزقك من غير تعمُّل منك.

وروى ابن أبي الدّنيا في كتاب «التقوى» عن وهب: أن لقمان قال لابنه: يا بني! اتخذ تقوى الله تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة.

وروى «فيه» هو، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه: أنه قيل له: ليس أحد له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعراً، فما لك لا تقول؟ قال: وأنا قد قلت، فاسمعوه: [من الوافر]

يُرِيْدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ
وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ مَا أَرَادَا
يَقُوْلُ الْمَرْءُ فَائِدَتِيْ وَمَالِيْ
وَتَقْوَىْ اللهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا(1)

وقد روي عن الإمام الشافعي ﷺ: أنه جعل هذا الشعر سادّاً مسدَّ الدراهم والدنانير في مُهور العذارى.

وروى ابن أبي الدنيا في «التقوى» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنه قال: لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟

يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]؛ أي: لا يتقبل الله الأعمال إلا من المتقين.

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٥).

فإذاً: التقوى في سائر الأعمال شرط لصلاحيتها؛ إذ لا يكون منها صالحاً إلا ما كان متقبلاً، ومن ثَمَّ لمَّا قيل لسفيان: أرى الناس يقولون: سفيان الثوري وأنت تنام الليل؟ فقال: اسكت! ملاك هذا الأمر التقوى[1].

أي: فإذا حَصَلت، كفى معها العمل القليل.

وقال فَضَالة بن عُبيد رضي الله تعالى عنه: لأن أكون أعلم أن الله تعالى يتقبل مني مثقال حبة من خردل، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]. رواه ابن أبي الدُّنيا[2].

وروى أبو يعلى بسند جيد، عن الحكيم بن ميناء مرسلاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «اجْمَعْ لِيْ مَنْ هَهُنا مِنْ قُرَيْشٍ»، فجمعهم، ثم قال: يا رسول الله! أتخرج إليهم، أم يدخلون؟ قال: «بَلْ أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ»، فخرج فقال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! هَلْ فِيْكُمْ غَيْرُكُمْ؟» قالوا: لا إلا بنو أخواتنا، قال: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»، ثم قال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ أَوْلَىْ النَّاسِ بِالنَّبِيِّ الْمُتَّقُوْنَ؛ فَانْظُرُوْا! لا يَأْتِيْ النَّاسُ بِالأَعْمالِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَتَأْتُوْنَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُوْنَها فَأَصُدَّ عَنْكُمْ بِوَجْهِيْ»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٨).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧).

﴿وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨][1].

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم وصححه، عن رفاعة ابن رافع ﷺ: أن النَّبيَّ ﷺ قال لعمر رضي الله تعالى عنه: «اجْمَعْ لِيْ قَوْمَكَ»، فجمعهم، فلما حضروا باب النبي ﷺ دخل عليه عمر، فقال: قد جمعتُ لك قومي، فخرج النبي ﷺ فقام بين أظهرهم، فقال: «هَلْ فِيْكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قالوا: نعم، فينا حليفنا، وابن أختنا، ومواليناً، قال النبي ﷺ: «حَلِيْفُنا مِنَّا، وَابْنُ أُخْتِنا مِنَّا، وَمَوْلانا مِنَّا، أَنْتُمْ تَسْمَعُوْنَ؟ إِنَّ أَوْلِيائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُوْنَ، فَإِنْ كُنْتُمْ أُوْلَئِكَ فَذاكَ، وَإِلاَّ فَانْظُرُوْا! لا يَأْتِي النَّاسُ بِالأَعْمالِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَتَأْتُوْنَ بِالأَثْقالِ فَيُعْرَضَ عَنْكُمْ»[2].

أشار ﷺ إلى أن شرف التقوى أولى من شرف النسب وكرم الحسب، وفي كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

وروى البخاري في «الأدب» أيضاً، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوْلِيائِي يَوْمَ الْقِيامَةِ الْمُتَّقُوْنَ، وَإِنْ كانَ نَسَبٌ أَقْرَبَ مِنْ نَسَبٍ، فَلا يَأْتِينِيْ النَّاسُ بِالأَعْمالِ، وَتَأْتُوْنِي أَنْتُمْ بِالدُّنْيا تَحْمِلُوْنَها عَلَى رِقابِكُمْ، فَتَقُوْلُوْنَ: يا مُحَمَّدُ! فَأَقُوْلُ هَكَذا وَهَكَذا: لا ـ وأعرض في كلا عطفيه ـ»[3].

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٥٧٩).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٥٢).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٩٨).

فالتقوى أخص أوصاف الصالحين، وهي شرط في سائر أعمالهم، ولذلك لما ذكر الله تعالى مجملات أوصاف الصالحين، وأعمالهم بقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[آل عمران: ١١٣] إلى آخره قال بعد ذلك: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١١٥] إشارة إلى ذلك.

ثم التقوى تنشأ عنها سائر الأعمال الصالحة؛ لأنها ترجع إلى صلاح القلب، وبصلاحه يصلح سائر الجسد، كما علمت من الحديث، فصلاح الجسد إنما يكون بالأعمال الصَّالحة، ومن ثَمَّ وصف الله الذين اتقوا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٦ ـ ١٧].

ووصف المتقين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة: ٣] إلى قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥].

وقال تعالى بعد أن ذكر جملة من أعمال البر في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[آل عمران: ١١٣] إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١١٥].

وهذه الآية الكريمة ما أبقت من أفعال الصالحين وأخلاقهم شيئاً إلا جمعته، ولذلك لمَّا سئل جد جدي شيخ الإسلام؛ أبو نعيم أحمد

ابن عبدالله بن بدر الغزي: مَنِ الصالحون؟ أجاب بهذه الآية: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٣] الآية.

ونقل شيخ الإسلام الوالد في دروسه عن جماعة من أهل العلم لما وقفوا على ذلك قالوا: إنه استنباط في غاية الحسن مع البداهة، وسرعة الجواب.

قلت: وهو كذلك.

وقد أحببت أن أتكلم على هذه الآية هنا بما يناسب المقام:

فقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾؛ أي: مستقيمة عادلة، من قولك: قَوَّمْتُ العود، فقام، واستقام، بمعنى.

والاستقامة والعدل أول أركان التجارة، وإلا فلا بركة فيها، بل هي ممحوقة، فلا بد أن يكون العبد مستقيماً على طريقة الشريعة، وإلا فإن تجارته بائرة، وصفقته خاسرة.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود: ١١٢] أشار إلى أن الميل عن الاستقامة طغيان.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾[الرحمن: ٧ـ٨]؛ أي: لا تميلوا عن العدل فيه والاستقامة.

وروى الدارمي عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقلت: أوصني، قال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة؛ اتبع ولا تبتدع[1].

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (١٣٩).

وروى هو، والإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن سفيان الثقفي رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن ثوبان، وابن ماجه، عنه، وعن ابن عمر، والطبراني في «الكبير» عنه، وعن سلمة ابن الأكوع رضي الله تعالى عنهم: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «اسْتَقِيْمُوْا وَلَنْ تُحْصُوْا، وَاعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ أَعْمالِكُمُ الصَّلاةُ، وَلا يُحافِظُ عَلَىْ الْوُضُوْءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ»[2].

وأخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة، والطبراني [عنه]، وعن عبادة ابن الصَّامت رضي الله تعالى عنهما، [يرفع الحديث][3] ولفظهما: «اسْتَقِيْمُوْا، وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَخَيْرُ أَعْمالِكُمُ الصَّلاةُ، وَلَنْ يُحافِظَ

---

(1) رواه الدارمي في «السنن» (٢٧١٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٣)، ومسلم (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٩)، وابن ماجه (٣٩٧٢).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٧)، وابن ماجه (٢٧٧) عن ثوبان رضي الله عنه.
وروواه ابن ماجه (٢٧٨) عن ابن عمر.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٤) عن ثوبان، و(٦٢٧٠) عن سلمة بن الأكوع.

(3) زيادة من «سنن ابن ماجه» (٢٧٩).

عَـلَىْ الْوُضُـوْءِ إِلاَّ مُـؤْمِـنٌ»[1].

وقيل لأبي حفص الحداد ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: الاستقامة؛ لأن النبي ﷺ يقول: «اسْتَقِيْمُوْا، وَلَنْ تُحْصُوْا».

ثم الاستقامة والعدل إما أن يكونا منك مع الله تعالى، أو مع عباده، وكلاهما مطلوبان منك؛ لأنك إنما تعد من الصَّالحين بخروجك من حقوق الله، وحقوق عباده، ولا يكون ذلك إلا بالعدل والاستقامة.

وقد قال الزجَّاج ـ من علماء التفسير ـ: الصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله، وحقوق العباد[2].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الرَّبيع في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[آل عمران: ١١٣]؛ قال: تقوم على كتاب الله، وحدوده، وفرائضه[3].

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] فيه نص على أن من أعمال الصَّالحين كثرة التلاوة، وقيام الليل، وكثرة السجود.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٢٤) عن أبي أمامة.

(٢) كذا نقله النووي في «شرح مسلم» (٤/ ١١٧) عن الزجاج.

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٥٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٣٨).

أما تلاوة القرآن فلأنها أكثر ربحاً وفائدة، ومن شأن التاجر الصالح لرأس ماله، العارف بوجوه تنميته أن يُؤْثِر ما كان أكثر ربحاً، وأعظم كسباً؛ فإن الحرف الواحد من القرآن يكتب به عشر حسنات.

روى الترمذي وصححه، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها؛ لا أَقُوْلُ: ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»[1].

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَمَعَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ ظاهِراً، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسناتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ، وَمَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ فِيْ صَلاةٍ قاعِداً، كُتِبَتْ لَهُ خَمْسُوْنَ حَسَنَةً، وَمُحِيَتْ عَنْهُ خَمْسُوْنَ سَيِّئَةً، وَرُفِعَتْ لَهُ خَمْسُوْنَ دَرَجَةً، وَمَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ فِيْ صَلاةٍ قائِماً، كُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ مِئَةُ دَرَجَةٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ فَخَتَمَهُ، كُتِبَتْ لَهُ عِنْدَ اللهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، مُعَجَّلَةً، أَوْ مُؤَخَّرَةً»[2].

قال ابن الجوزي في «النشر»: وروينا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: من قرأ القرآن لم يردَّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٨٥).

شيئاً، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[التين: ٥ ـ ٦] قال: إلا الذين قرؤوا القرآن.

قلت: أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»[(١)].

وهذا الأثر نص في أن تلاوة القرآن من أخص أعمال الصَّالحين، لا شبهة في ذلك.

* تَنْبِيْهٌ:

روى الإمام أحمد عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ كُتِبَ مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيْقاً»[(٢)].

في هذا الحديث أن قراءة القرآن كما تُلحق صاحبها بالصالحين تُلحقه بمن فوقهم من الشهداء والصديقين، وذلك على حسب ترقيهم في ترتيل القرآن، وتدبره، والعمل بما فيه؛ فالصديقون والشهداء والصالحون تجمعهم قراءة القرآن في سبيل الله، وإنما يتفاوتون في التدبر والعمل، وهذا لا يختص بقراءة القرآن، بل كل عمل صالح يطلب من الصالحين يطلب من الشهداء والصديقين، ويكون منهم أتم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٧) ولفظه: «من قرأ ألف آية في سبيل الله». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٢): وفيه زبان بن فائد، وهو ضعيف.

* تَتِمَّةٌ:

في كثرة التلاوة والذكر، شغل اللسان عما لا يعنيه، وهذا أحد أمرين بهما يصلح القلب، وهما: قول الخير، والسكوت عما سواه.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَسْكُتْ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي شريح، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

واعلم أن في إصلاح اللسان بعد إصلاح القلب إصلاح سائر الأعضاء؛ لما رواه الترمذي، وابن خزيمة، والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أَصْبَحَ ابنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ، فَتَقُوْلُ: اتَّقِ اللهَ فِيْنا، وَإِنَّما نَحْنُ بِكَ؛ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا»[2].

وقال يونس بن عُبيد رحمه الله تعالى: خصلتان إذا صلحتا من

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٧)، والترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجه (٣٩٧١)، ورواه أيضاً البخاري (٦١١٠)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤) عن أبي هريرة.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣١)، والترمذي (١٩٦٧)، وابن ماجه (٣٦٧٢)، ورواه أيضاً البخاري (٦١١١)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٧) وقال: رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه، قال: وهو أصح. ورواه البيهقي في «الآداب» (١/ ٣٨٧).

العبد صلح ما سواهما: أمر صلاته ولسانه(١).

وقال أيضاً: ما صلح لسان أحد إلا صلح في سائر عمله(٢).

فإصلاح اللسان من أصول أعمال الصالحين.

وأما قيام الليل: فروى الترمذي وغيره، وصححه ابن خزيمة، والحاكم ـ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَىْ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئاتِ، وَمَنْهاةٌ عَنِ الإِثْمِ»(٣).

وروي نحوه من حديث سلمان، وبلال رضي الله تعالى عنهما، وزاد فيه: «وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»(٤).

وكيف لا يكون قيام الليل من أعمال الصالحين وهو أجمع للفكر، وأشرح للصدر، وأصفى للقلب، وأجلى للسر؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٠).

(٢) ذكره الشعراني في «الطبقات الكبرى» (ص: ٩٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١١٥٦).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٩) عن بلال، وقال: وحديث أبي أمامة أصح من حديث بلال، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٥٤) عن سلمان. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥١): فيه عبد الرحمن بن سليمان ابن أبي الجون، وثقة دحيم وابن حبان وابن عدي، وضعفه أبو داود وأبو حاتم.

وقد روى البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْرافُ أُمَّتِيْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَأَصْحابُ اللَّيْلِ»[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «التهجد» عن محمَّد بن طلحة بن مُصرِّف قال: كان أبي رحمه الله تعالى يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل، ويقول: صلوا ولو ركعتين في جوف الليل؛ فإن الصَّلاة في جوف الليل تَحُتُّ الأوزار، وهي أشرف أعمال الصَّالحين[2].

فالصالحون، كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى، ورواه عنه ابن أبي الدنيا في «التهجد»: [من الوافر]

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوْهُ
فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وَهُمُ رُكُوْعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا
وَأَهْلُ الأَمْنِ فِيْ الدُّنْيَا هُجُوْعُ[3]

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠٣)، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ١٠٨). وفيه نهشل بن سعيد. قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٥٦٦): متروك وكذبه إسحاق بن راهويه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٢٥٣).

(٣) أنشدها رواية ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٤٦).

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن أحمد بن أبي الحواري، عن مروان بن محمَّد، عن الأوزاعي قال: من أطال قيام الليل، هوَّن عليه موقفَه يوم القيامة[1].

قال أحمد: قال لي مروان: ما أحسب الأوزاعي أخـذه إلا من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾[الإنسان: ٢٦] إلى قـولـه: ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾[الإنسان: ٢٧][2].

وأما السجود ـ والمـراد بـه: الصَّـلاة ـ فهـو من أخص أعمـال الصالحين، وأصول أعمالهم، كيف! وقد قال النَّبي ﷺ: «وَقُرَّةُ عَيْنِي فِيْ الصَّلاةِ»[3].

وذلك لأنها محل القربـة والرفعـة والفائدة، وبصلاحها تصلح الأعمال وتقبل.

قال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[العلق: ١٩].

وروى مسلم، والترمذي، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ ما يَكُوْنُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوْا الدُّعاءَ»[4].

---

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ١١٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٥٧).

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٤٨٢) واللفظ له، والنسائي في (١١٣٧)، ورواه أيضاً أبو داود (٨٧٥).

وروى مسلم، والترمذي، وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال لثوبان ﵁: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُوْدِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِها دَرَجَةً، وَحَطَّ بِها عَنْكَ خَطِيْئَةً»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط»، والضياء في «المختارة» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ ما يُحاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيامَةِ الصَّلاةُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِهِ»[2].

وروى الدارمي عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتاحُ الْجَنَّةِ الصَّلاةُ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٨)، والترمذي (٣٨٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٥٩)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢٥٧٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٢): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه القاسم بن عثمان، قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ.
قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة، رواه الترمذي وحسنه (٤١٣)، وأبو داود (٨٦٤)، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥).

(٣) كذا عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٩) إلى الدارمي، وقال: وفي إسناده أبو يحيى القتات. ورواه أيضاً الترمذي (٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٩٩): وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلاً في الرواية.

ولا شك أنَّ الجنة دار المتقين، والصالحين التي أعد الله لهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة هي الحالة الجامعة بين المصلي وبين الصَّالحين، ولذلك يسلم عليهم فيها جامعاً بين نفسه وبينهم؛ حيث يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وفي محالِّها، وهي المساجد.

كما روى عبد الرزاق، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟﴾[النور: ٦١]؛ قال: هو المسجد، إذا دخلت فقل: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين[1].

وروى ابن أبي شيبة، والبخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إذا دخل البيت الغير المسكون، أو المسجد فليقل: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين[2].

وروى البيهقيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ قال: أرض الجنة يرثها الذين يصلون الصَّلوات الخمس في الجماعة.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٨٣٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٥).

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٦]؛ قال: الذين يصلون الصلوات الخمس في الجماعات[1].

* تَنْبِيْهٌ:

روى الإمام محمَّد بن نصر المرزوي في كتاب «الصَّلاة» عن أحمد ابن منصور الرمادي، عن يزيد بن أبي حكيم العدني قال: سألت سفيان الثوري رحمه الله تعالى عن هذه الآية: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران: ١١٣]، فحدثني عن منصور قال: بلغني أنهم كانوا يُصَلُّوْن بين المغرب والعشاء[2].

فقد تبين بذلك أنَّ الصَّلاة بين العشاءين مما يهتم به الصالحون بعد تأدية الفرائض؛ لأن الصالحين ـ خاصة عباد الله ـ من أوصافهم أنهم يصلحون حين يفسد الناس، كما تقدم، وهذه الساعة يكون أكثر الناس فيها في غفلة واشتغال عن الله تعالى بعَشائهم ومبيتهم، ومن ثَمَّ سميت الصلاة حينئذٍ صلاة الغفلة.

كما روى عبد الرزاق، والطبراني عن الأسود بن يزيد رحمه الله تعالى قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: نعمت السَّاعة ساعة الغفلة؛ يعني: الصلاة فيما بين المغرب والعشاء[3].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١٢).

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٣٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥٠).

وروى محمَّد بن نصر بسند صحيح، عن عبد الرحمن بن الأسود رحمه الله تعالى قال: ما بين المغرب والعشاء صلاة[1].

وتسمى ـ أيضاً ـ صلاة الأوابين.

والأوابون هم الصالحون لقوله تعـالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزُّهد» عن محمَّد بن المنكدر رحمه الله تعالى مرسلاً، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ صَلَّىٰ ما بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشاءِ فَإِنَّها مِنْ صلاةِ الأَوَّابيْنَ»[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: صلاة الأوابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس[3].

ومن صلاة الأوابين أيضاً ـ وهم الصالحون كما علمت ـ صلاة الضحى؛ لقوله ﷺ: «صَلاةُ الأَوَّابِيْنَ حِيْن تَرْمَضُ الْفِصالُ». رواه الإمام أحمد، ومسلم عن زيد بن أرقم ﷺ، وعبد بن حميد عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه[4].

---

(١) رواه المروزي في «قيام الليل» (١/ ٨٥) لكنه قال: «ما بين المغرب والعشاء صلاة الغفلة».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧)، ومسلم (٧٤٨) عن زيد بن أرقم. ورواه عبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٨٧) عن عبدالله بن أبي أوفى.

ورمض الفصال ـ جمع فصيل: وهو صغير الإبل ـ: حين يشتد حر الرمضاء، وذلك عند ارتفاع النهار[1].

وروى الحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُحافِظُ عَلَى صَلاةِ الضُّحَىْ إِلاَّ أَوَّابٌ»[2].

وروى البزار، والبيهقي في «الشعب» عن أنس ﷺ قال: أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال، قال: «أَسْبِغِ الْوُضُوْءَ يَزِدْ فِيْ عُمُرِكَ، وَسَلِّمْ عَلَىْ مَنْ لَقِيْتَ مِنْ أُمَّتِيْ تَكْثُرْ حَسَناتُكَ، وَإِذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ عَلَىْ أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ، وَصَلِّ صَلاةَ الضُّحَىْ فَإِنَّها صَلاةُ الأَوَّابِيْنَ قَبْلَكَ، يا أَنَسُ! ارْحَمِ الصَّغِيْرَ، وَوَقِّرِ الْكَبِيْرَ، تَكُنْ مِنْ رُفَقائِيَ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[3].

ولا تعارض بين ذلك وبين حديث ابن المُنكدر المتقدم فيما بين المغرب والعشاء؛ أي: لا بُعْدَ أن يكون للأوابين صلاتان وأكثر.

على أن صلاة الضحى وصلاة ما بين المغرب والعشاء متقابلتان في الوقت؛ لأن إحداهما في أول طرفي النهار، والآخر في أول طرفي الليل، فصلاة الضُّحى صلاة الأوابين نهاراً، وصلاة ما بين العشاءين صلاتهم ليلاً.

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٦/ ٣٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١١٨٢)، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٦٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٤).

(٣) رواه البزار في «المسند» (٧٣٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٦٢).

ولهم صلوات أخرى:

فروى البيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُحافِظُ عَلَىْ رَكْعَتِي الفجر[1] إلاَّ أَوَّابٌ»[2].

وعن عبدالله بن بُريدة قال: كان يقال: صلاة الأوابين، وصلاة المنيبين، وصلاة التوابين؛ فصلاة الأوابين ركعتان قبل الصبح، وصلاة المنيبين ركعتا الضحى، وصلاة التوابين ركعتان قبل صلاة المغرب عند النداء.

وروى عبد الرزاق عن عروة بن رويم رحمه الله تعالى قال: من صلى ركعتي الفجر، وصلى الصبح في جماعة، كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأوابين، وكتب يومئذ في وفد المتقين[3].

وروى ابن المبارك عن عثمان بن أبي سودة مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قال: «صَلاةُ الأَوَّابِيْنَ ـ وقال: صَلاةُ الأَبْرارِ ـ رَكْعَتانِ إِذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ، وَرَكْعَتانِ إِذا خَرَجْتَ»[4].

وروى أبو نعيم: ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا أبو بكر بن أبي داود [ـ بإسناده ـ عن عثمان بن أبي سودة][5] قال: يقال: صلاة الأوابين

---

(١) في «أ»: «الضحى».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٦٥)، وقال: عدي بن الفضل ليس بالقوي.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٨٣).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٥٣).

(٥) زيادة من «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ١٠٩).

ركعتان حين تخرج من بيتك، وركعتان حين تدخل(١).

وروى عبد الرزاق عن أبي سفيان مرسلاً، وأبو نعيم عن ابن أبي أوفى ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذا فاءَتِ الأَفْياءُ، وَهَبَّتِ الأَرْواحُ، فَاذْكُرُوْا حَوائِجَكُمْ؛ فَإِنَّها ساعَةُ الأَوَّابِيْنَ»(٢).

وروى ابن أبي شيبة عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه رحمهما الله تعالى قال: صلاة الأوابين بعد زوال الشمس(٣).

وروى الخطيب في «التلخيص» عن جعفر بن محمَّد قال: عليكم بالورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الصُّحبة لمن صحبكم؛ فإن ذلك من سنن الأوابين.

وروى أبو نعيم عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى قال: الأواب الحفيظ الذي لا يقوم من مجلسه إلا استغفر الله؛ يقول: اللهم اغفر لنا ما أصبنا في مجلسنا سبحان الله وبحمده(٤).

وروى ابن أبي شيبة عن عمرو بن دينار، عن عُبيد بن عُمير قال: كنا نعد الأواب الحفيظ الذي إذا قام من مجلسه قال: اللهم

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٨١٨) عن أبي سفيان، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٢٧) عن ابن أبي أوفى.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٠٧٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٤٩).

اغفر لي ما أصبت في مجلسي[1].

وروي عن عبيد بن عمير - أيضاً - في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥]، وفي قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[ق: ٣٢]؛ قال: الأواب الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها[2].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «التوبة» عن مجاهد قال: الأواب الحفيظ الذي يذنب سراً، ثم يتوب [منه][3] سراً[4].

ورواه عنه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥][5].

وروي في الأَوْبِ أقوال أخرى مذكورة في مَحَالِّها[6].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٢٩)، ورواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٧١) ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأوَّاب إنما هو فعَّال، من قول القائل: آب فلان من كذا، إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٧٠).

(٣) زيادة من «التوبة» لابن أبي الدنيا (ص: ٢٤٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (ص: ٢٤٠).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢١٣).

(٦) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٢٦)، فقد ذكر عشرة أقوال في معنى الأوابين.

وقوله تعالى في الآية السابقة في ذكر أوصاف الصالحين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[آل عمران: ١١٤] هذا أصل أحوال الصَّالحين.

ولو جاء العبد بكل عمل صالح ـ وهو لا يؤمن بالله، أو يكذب باليوم الآخر ـ لا يقبل منه شيء.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١].

وقوله تعالى في الآية: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١١٤] لا شك أن من شأن التاجر المصلح النصيحة لإخوانه المؤمنين، ولا يخفى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص النصائح، بل هو من كمال الإيمان المؤسَّس عليه قواعد الصلاح.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمانِ». رواه مسلم، وغيره عن [أبي سعيد] الخدري رضي الله تعالى عنه[١].

---

(١) رواه مسلم (٤٩).

قال ابن الحاج في «المدخل»: ورد أن موسى عليه السلام مر على قرية وقد أهلكها الله تعالى فقال: يا رب! كيف أهلكتهم وكنت أعرف منهم رجلاً صالحاً؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! إنه لم يغيرْ لي منكراً[١]؛ أي: فلم يكمل صلاحه[٢].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: يذهب الصالحون، ويبقى أهل الرِّيَب، قالوا: يا أبا عبد الرَّحمن! ومن أهل الرِّيَب؟ قال: قوم لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[آل عمران: ١١٤]؛ اعلم أن من تمام صلاحية التاجر بماله أن يبادر إلى اقتناص الأرباح، والفوائد مهما سمع بها، وإلا فإن التهاون ربما فوَّت عليه أرباحاً كثيرة، على أن التأني مطلوب إلا في أعمال الآخرة؛ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة من الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠]، والآيات في ذلك معروفة.

---

(١) في «أ»: «لم يغر لي».

(٢) انظر: «المدخل» لابن الحاج (١/ ٨١).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٣١).

وقد قيل: [من السريع]

سَابِقْ إِلَىْ الْخَيْرِ وَبَادِرْ بِهِ ... فَإِنَّمَا خَلْفَكَ مَا تَعْلَمُ
وَقَدِّمِ الْخَيْرَ فَكُلُّ امْرِئٍ ... عَلَىْ الَّذِيْ قَدَّمَهُ يَقْدُمُ[1]

والخيرات شاملة لسائر أعمال البر من صلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، وجهادٍ، وصدقةٍ، وصلةٍ، وإحسانٍ... إلى غير ذلك، سواء كان فرضاً أو نفلاً.

ومنها التجنب عن سائر الأعمال القبيحات، قولاً وفعلاً ونية.

وهذا ـ أيضاً ـ مفهوم من الآية؛ لأنه من كمال الإيمان، وهو من أَجَلِّ الخيرات، وقد قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[2].

وقد علمت أن التقوى أخص أعمال الصَّالحين، وأي تقوى لمن لا يتقى المحارم، بل الشبهات؛ بدليل قول النبي ﷺ: «لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُوْنَ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ حَتَّىْ يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِما بِهِ بَأْسٌ». رواه ابن ماجه، والترمذي، والحاكم وصححاه، من حديث

---

(١) ذكر البيتين: ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص: ٢٤٧) من قول علي بن محمد البسامي.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤٣).

عطية السعدي رضي الله تعالى عنه[1].

وقال أبو العتاهية: [من الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْفُفْ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ
فَلَيْسَ لَهُ مَا عَاشَ مِنْهُمْ مُصَالِحُ
إِذَا كَفَّ عَبْدُاللهِ عَمَّا يَضُرُّهُ
وَأَكْثَرَ ذِكْرَ اللهِ فَالْعَبْدُ صَالِحُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ
فَلَيْسَ لَهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَادِحُ

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل» عن الضَّحَّاك بن مزاحم رحمه الله تعالى قال: ما بلغني عن رجل صلاح فاعتددت بصلاحه حتى أسأل عن خِلالٍ ثلاث، فإن تمت تم له صلاحه، [وإن نقصت منه خصلة كانت وصمة عليه في صلاحه][2]؛ أسأل عن عقله فإن الأحمق يفعل صلاحاً[3] عنده ربما هلك وأهلك فِئَاماً من الناس؛ يمر بالمجلس فلا يسلم، فإذا قيل له، قال: من أهل الدنيا، ويترك عيادة

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٥)، والترمذي (٢٤٥١) وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٦٨٩٩).

(٢) زيادة من «العقل وفضله» لابن أبي الدنيا (ص: ٥٣).

(٣) في «أ»: «بفضل صلاح».

الرجل من جيرانه، فإذا قيل له، قال: من أهل الدنيا، ويدع الجنازة لا يتبعها لمثل ذلك، ويدع طعام أبيه يبرد[1]، فإذا هو قد صار عاقاً.

قال: وأسأل عن النعمة العظيمة التي لا نعمة أعظم منها ولا أوضح؛ الإسلام، فإن كان أحسن احتمال النعمة، ولم يدخلها بدعة ولا زيغاً، وإلا لم أعتد به فيما سوى ذلك.

قال: وأسأل عن وجه معاشه، فإن لم يكن له معاش، لم آمن عليه أن يأكل بدينه، ولا آمن عليه أن تغلب عليه الشهوات فيأكل الحرام والشبهات؛ فأي خير بعد هذا؟[2]

وروى الدينوري في «مجالسته»، والبيهقي في «شعبه»، والخطيب في «تاريخه» عن يحيى بن معين رحمه الله تعالى: أنه أنشد لنفسه:

[من الكامل]

الْمَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ
يَوْماً وَيَبْقَى فِيْ غَدٍ آثامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لإِلَهِهِ
حَتَّىْ يَطِيْبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَيَطِيْبَ مَا تَحْوِيْ وَتَكْسِبُ كَفُّهُ
وَيَكُوْنَ فِيْ حُسْنِ الْحَدِيْثِ كَلامُهُ

---

(١) في «أ»: «تبرداً»، والمثبت من «العقل وفضله» لابن أبي الدنيا (ص: ٥٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص: ٥٣).

نَطَــقَ النَّبِـــيُّ لَنَــا بِـــهِ عَــنْ رَبِّـــهِ
فَعَلَـــىْ النَّبِـــيِّ صَـــلاتُهُ وَسَـــلامُهُ[1]

ومن أجمع الأحاديث لأعمال الصالحين: ما رواه الإمام الفقيه الزاهد الشيخ نصر المقدسي رحمه الله تعالى في كتاب «الحجة على تارك المحجة» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابْنَ سلامٍ! عَلَىْ كَمِ افْتَرَقَتْ بَنُوْ إِسْرائِيْلَ؟» قال: إحدى وسبعين فرقة، واثنتين وسبعين فرقة؛ كلهم يشهد بعضهم على بعض بالضلالة.

قالوا: أفلا تخبرنا يا رسول الله لو قد خرجت من الدنيا فتفرقت أمتك، على ما يصير أمرهم؟ فقال نبيُّ الله ﷺ: «إِنَّ بَنِيْ إِسْرائِيْلَ تَفَرَّقُوْا عَلَىْ ما قُلْتَ، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِيْ عَلَىْ ما افْتَرَقَتْ عَلَيْهِ بَنُوْ إِسْرائِيْلَ، وَسَتَزِيْدُ فِرْقَةٌ واحِدَةٌ لَمْ تَكُنْ فِيْ بَنِيْ إِسْرائِيْلَ».

قال ابن سلام: أفلا تدلنا على قوم ترضى لنا نخبرُ أولادنا، وتخبرُ أولادُنا أولادَهم، فنكون فيهم في آخر الزمان؟ قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوْا إِلَىْ قَوْمٍ يُصَلُّوْنَ الْخَمْسَ فِيْ جَماعَةٍ، وَيَصُوْمُوْنَ رَمَضانَ، وَيَأْتُوْنَ الْجُمُعَةَ، وَيَعُوْدُوْنَ الْمَرِيْضَ، وَيُشَيِّعُوْنَ الْجَنائِزَ، جِيْرانُهُمْ آمِنُوْنَ مِنْ أَيْدِيْهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَبَوائِقِهِمْ، فَتَكُوْنُوْنَ مِنْ أُوْلَئِكَ؛ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ صالِحُوْنَ».

قيل: يا رسول الله! ومن هم؟ قال: «الْمُتَّقُوْنَ»[1].

---

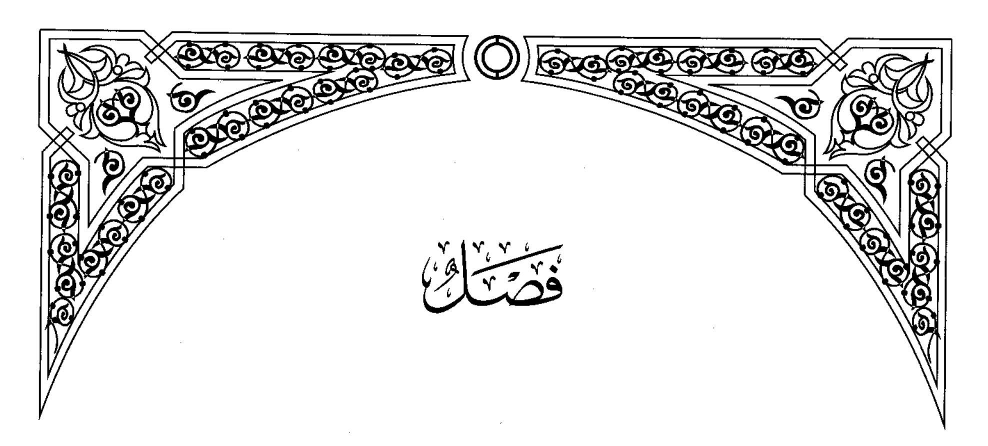
(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٨٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٨٥).

وليس المراد أن الصالحين ليس لهم من الأخلاق والأعمال إلا ما ذكر؛ بدليل قوله آخراً: «هُمُ الْمُتَّقُوْنَ»، وبدليل أنه وصفهم بإقامة الصَّلوات في الجماعة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وفي الحديث إشارة لطيفة، وهي أن هذه الخصال التي اشتمل الحديث عليها لا تجتمع في عبد إلا كان صالحاً موفقاً في سائر أعماله، فعلامة صلاح العبد اجتماع هذه الخصال فيه؛ فافهم.

* * *

(١) انظر «مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي» (١٥٩)، ورواه الآجري في «الشريعة» (١/ ٣١٢).



فصل

هذا الذي أشرنا إليه من أعمال الصَّالحين وأوصافهم، إنما هو أصول أعمالهم، ومجامع أخلاقهم، وقد أحببت أن أشير إلى جملة صالحة من خصالهم، وشمائلهم، ومجامع أخلاقهم على وجه الإيجاز والتفصيل، دون الإخلال والتطويل؛ آخذاً لذلك، أو لمعظمه من كتاب الشيخ الإمام شيخ الإسلام؛ أبي زكريَّا يحيى بن شرف بن مري النواوي ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ المسمى بـ: «رياض الصالحين»؛ فإنه ذكر فيه معظم آدابهم وأخلاقهم، وقال فيه: وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون ـ إن شاء الله تعالى ـ سائقاً للمعتني به إلى الخيرات، حاجزاً له عن أنواع القبائح والمهلكات[1].

وقال في خطبته ـ أيضاً ـ: ولقد أحسن القائل: [من الرمل]

إِنَّ لِلَّــــــهِ عِبَـــــاداً فُطُنـــــاً

طَلَّقُــوا الــدُّنْيَا وَخَــافُوا الْفِتَنــا

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» للإمام النووي (ص: ٤).

نَظَــــرُوْا فِيْهـــا فَلَمَّــــا عَلِمُـــوْا
أَنَّهَــــا لَيْـــسَتْ لِحَـــيٍّ وَطَنــــا
جَعَلُوْهـــــا لُجَّــــةً وَاتَّخَــــذُوْا
صَــالِحَ الأَعْمَـــالِ فِيْهـــا سُـــفُنا(١)

ولقد روينا هذا الكتاب، وسائـر كتب النووي رحمه الله تعالى عن جماعة، أَجَلُّهُم شيخ الإسلام الوالد قال: أنا بها شيخ الإسلام البرهان ابن أبي شريف، عن الشيخ العلامة زين الدين القبابي المصري، عن ابن الخباز، عن النووي بكل كتبه، وكلها عمدة في بابها، لا يستغني طالبُ علمٍ وتقيٌّ عن طِلابِها.

وقد جمعتها في قصيدة لا بأس بإثباتها في هذا المقام، وكان نظمي لها قبل تمام الألف بأكثر من عام، فقلت: [من الوافر]

سَــقَىْ قَبْــراً بِـــهِ سَــكَنَ النَّــوَاوِيْ
حَيَــا مُــزْنٍ عَــنِ الْغُفْــرَانِ رَاوِيْ
فَقَـــدْ نَـــشَرَ الْعُلُـــوْمَ لِطالِبِـــيْها
وَأَصْــبَحَ وَهْــوَ لِلأَفْــضالِ طَــاوِيْ

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» للإمام النووي (ص: ٣). والأبيات للإمام الشافعي، كما في «ديوانه» (ص: ١٠٩).

وَكَـــمْ أَبْـــدَىْ لَهُـــمْ تَـــصْنِيْفَ عِلْـــمٍ

بِـــهِ قَـــدْ شَـــادَ رَبْعـــاً غَيْـــرَ خَـــاوِيْ

فَـــ(ـــرَوْضَتُهُ) الَّتِـــيْ زَهُـــرَتْ بِزَهْـــرٍ

يَفُـــــوْقُ الزَّهْـــــرَ لا لاوٍ وَذَاوِيْ

وَفِـــيْ (الْمِنْهَـــاجِ) كَـــمْ أَبْـــدَىْ عُلُوْمـــاً

وَلِـــمْ لا وَهْـــوَ لِلتَّحْقِيْـــقِ حَـــاوِيْ

(دَقَائِقُـــــهُ) زَهَـــــتْ وَلَهَـــــا نَظِيْـــرٌ

لِرَوْضَـــــتِهِ رَوَاهَـــــا كُـــــلُّ رَاوِيْ

وَفِـــيْ (شَـــرْحِ الـــصَّحِيْحِ لِمُـــسْلِمٍ) كَـــمْ

لِـــدَاءِ الْجَهْـــلِ بَـــيَّنَ مَـــا يُـــدَاوِيْ

(كِتَـــابُ الْمُبْهَمَـــاتِ) وَ(أَرْبَعُـــوْهُ) الَّـــ

ـــتِيْ يَـــأْوِيْ إِلَيْهَـــا كُـــلُّ آوِيْ

وَفِـــيْ (الأَذْكَـــارِ) كَـــمْ مِـــنْ مُنْجِيَـــاتٍ

لِمُتَّبِـــعِ الـــسَّبِيْلِ مِـــنَ الْمَهَـــاوِيْ

وَ(آدَابُ الْفَتَـــىْ) الْمُفْتِـــيْ (رِيَـــاضٌ)

إِلَيْهَـــا الـــصَّالِحُوْنَ الْغُـــرُّ تَـــاوِيْ

وَفِـــيْ (الإِرْشَـــادِ) كَـــمْ أَبْـــدَىْ رَشَـــاداً

لِمَـــنْ لِـــصِنَاعَةِ التَّحْـــدِيْثِ هَـــاوِيْ

وَفِـــيْ (تَقْرِيْبِـــــهِ) كَـــمْ دَانَ بُعْـــدُ

وَفِـــيْ (تَيْـــسِيْرِهِ) لِلْيُـــسْرِ زَاوِيْ

وَفِـــيْ (الطَّبَقَـــاتِ) لِلْفُقَهَـــاءِ وَافِـــيْ

بِـــ(ـــتَهْذِيْبِ) سَـــمِيْنٍ غَيْـــرِ ضَـــاوِيْ

وَ(تَرْجَمَـــةُ الإِمَـــامِ الـــشَّافِعِيِّ) الَّـــ

ـــتِيْ فَاقَـــتْ سُـــلافَتُهَا الْقَهَـــاوِيْ

وَ(تِبْيَـــانٌ) لِقَـــارِئِ ذِكْـــرِ رَبِّـــيْ

نَفِـــيْسٌ جَـــامِعٌ ثُـــمَّ (الْفَتَـــاوِيْ)

(مَنَاسِـــكُ) سِـــتَّةٌ تَهْـــدِيْ الْبَرَايَـــا

كَـــنَجْمٍ فِـــيْ الـــدَّيَاجِيْ غَيْـــرِ هَـــاوِيْ

وَفِـــيْ (تَحْرِيْـــرِهِ) كَـــمْ مُـــشْكِلاتٍ

عَلَـــىْ التَّنْبِـــيْهِ تُكْـــشَفُ لِلْمُهَـــاوِيْ

(ضَـــوَابِطُ) ثُـــمَّ (إِمْـــلاءٌ) وَ(جُـــزْءٌ)

لِمَـــنْ هُـــوَ لاغْتِـــرَافِ الْمَـــاءِ نَـــاوِيْ

وَذَا مَـــا قَـــدْ تَكَمَّـــلَ وَانْتَهَـــىْ مِـــنْ

تَـــآلِيْفِ كَرِيْمَـــــاتِ الْمَثَـــــاوِيْ

وَفِـــيْ (شَـــرْحِ الْمُهَـــذَّبِ) حُـــسْنُ ضَبْطٍ

بِـــهِ عَـــرَفَ الْـــوَرَىْ قَـــدْرَ النَّـــوَاوِيْ

وَ(مُخْتَصَرٌ) نَفِيْسٌ مِنْهُ أَيْضاً
(كِتَابَ خُلاصَةِ الأَحْكَامِ) حَاوِيْ
وَأَلَّفَ بَعْضَ (شَرْحٍ لِلْبُخَارِيْ)
وَ(لِلتَّنْبِيْهِ شَرْحاً) غَيْرَ نَاوِيْ
وَبِـ (الْبُسْتَانِ) خَتْمُ السِّرِّ يَحْلُوْ
فَخُذْ بِالْعِلْمِ وَاطَّرِحِ الدَّعَاوِيْ
وَإِنَّ لَهُ سِوَىْ مَا قَدْ ذَكَرْنَا
كَمَا قَدْ قَالَهُ الشَّمْسُ السَّخَاوِيْ
إِلَىْ الْخَمْسِيْنَ قَدْ وَصَلَتْ وَإِنَّا
لَنُلْفِيْهَا كَثِيْرَاتِ الْجَدَاوِيْ
وَنَجْمُ الدِّيْنِ نَاظِمُهَا عُقُوْداً
يَفُوْقُ ضِيَاؤُهَا النَّجْمَ السَّمَاوِيْ
وَبَدْرُ الدِّيْنِ وَالِدُهُ وَعَنْهُ
رَوَاهَا وَهْوَ لَيْسَ لَهُ مُسَاوِيْ
عَنِ الْبُرْهَانِ وُهْوَ عَنِ الْقِبَابِيْ
تَلَقَّاهَا بِثَبْتٍ وَهْوَ رَاوِيْ
عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ خَبَّازِ الْمُزَكَّىْ
لَدَىْ الْعُلَمَاءِ عَنْ وَصْمِ الْمَسَاوِيْ

عَـــنِ الْحَبْـرِ الإِمَــامِ هُــوَ النَّــوَاوِيْ
جَــــزَاهُ اللهُ جَنَّـــــاتِ الْمَـــــآوِيْ

وفي تسمية النووي رحمـه الله تعـالى كتابه المشـار إليه «رياض الصَّالحين» إشارة إلى أن الصالحين ترتاح قلوبهم، وتنشرح صدورهم للأعمال الصالحة المذكورة في هذا الكتاب، كما ترتاح القلوب وتنشرح الصدور في الرياض التي هي جمع روض، أو روضة، وهما البستان، وهذا كما شبه النبي ﷺ حِلَقَ الذِّكْرِ بالرياض في قوله ﷺ: «إِذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوْا»، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، والبيهقي في «الشعب» من حديث أنس رضي الله عنه[1].

وينبغي أن نسرح في هذه الرياض، وننتهل من أعذب الحِياض، ونذكر من شمائل الصَّالحين ما تنقاد له النفوس وترتاض، وتحيى به القلوب من الأمراض.

وقبل ذلك نذكر مقدمة لطيفة، وهي:

إن التشبه بالصالحين في هذه الأزمنة يشق على النفوس كثيراً، فلا ينبغي للعبد أن يدع نفسه انتظاراً لفيئتها إلى الخير؛ فإن النفوس الآن لا تكاد تنقاد إلى خير إلا بأعظم أنواع الزجر والتخويف، وأشد ألوان التوبيخ والتعنيف.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٠)، والترمذي (٣٥١٠) وحسنه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٩).

ومنذ زمان قديم قال الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: إن الصَّالحين فيما مضى كانت نفوسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كرهٍ، فينبغي لنا أن نُكْرِهَهَا. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «محاسبة النفس»[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩] على القول[2] بأن المراد في الآية مجاهدة النفس؛ لأنـه أفضل الجهاد؛ أي: والذين جاهدوا أنفسهم في مرضاتنا لنهدينهم سبلنا التي تُوصِل عبادنا الصالحين إلينـا؛ فعليك بحمل النفس على أخلاق الصَّالحين وأعمالهم[3].

وقد روى الأستاذ أبو القاسم القيشري رحمه الله في «رسالته» عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنـه ـ قال: لن ينال

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ١٥٠).

(٢) انظر الأقوال في تفسير الآية في «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٦٤).

(٣) قال الإمام ابن القيم في «الفوائد» (ص: ٥٩): علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكملُ الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه، الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد، قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة، لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

الرجل درجة الصَّالحين حتى يجوز ست عقبات:

أوله: يغلق باب النعمة، ويفتح باب الشِّدة.

والثاني: يغلق باب العز، ويفتح باب الذُّل.

والثالث: يغلق باب الراحة، ويفتح باب الجهد.

والرابع: يغلق باب النوم، ويفتح باب السهر.

والخامس: يغلق باب الغنى، ويفتح باب الفقر.

والسادس: يغلق باب الأمل، ويفتح باب استعداد الموت[1]. انتهى.

ومع هذا لا بد من طلب التوفيق والمعونة من الله تعالى على سلوك طريق الصَّالحين؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥].

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]؛ أي: وما توفيقي في صلاح نفسي المفهوم من قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾، وإلى إصلاح مَنْ سِوَايَ إلا بالله.

وقوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾؛ أي: لنفسي ولكم، لكن لا يتم لي ذلك إلا بالتوفيق من الله تعالى.

---

(١) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٣٤).

وقد روى أبو نعيم في «الحلية» بإسناد ضعيف، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، فقال: «قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: ربي الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، قال: «لِيَهْنِكَ [العلم] يا أَبا الْحَسَنِ، لَقَدْ شَرِبْتَ الْعِلْمَ شُرْباً، وَنَهَلْتَهُ نَهْلاً»[1].

وقال أبو إسحاق الفَزَاري: ما أردت أمراً قط فتلوت عنده هذه الآية إلا عزم علي الرشد؛ ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]. رواه أبو الشيخ[2].

ومن هنا نحسن المقال في تفصيل ما للصَّالحين من الخلال:

١ ـ فمنها: الإخلاص، وإحضار النية في جميع الأعمال، والأقوال، والأفعال.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾[البينة: ٥].

وروى الشيخان، وغيرهما عن عمر رضي الله تعالى عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَىْ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن سلمان الفارسي رضي الله

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٦٥).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٨) إلى أبي الشيخ في «العظمة».

(٣) تقدم تخريجه.

تعالى عنه قال: «لكل امرئ جَوَّانِيٌّ وبَرَّانِيٌّ؛ فمن يصلح جَوَّانِيَّهِ يصلح الله بَرَّانِيَّهِ، ومن يفسد جَوَّانِيَّه يفسد الله بَرَّانِيَّه»[1].

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: لا يزال العبد بخير ما دام إذا قال قال لله[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن مُطَرِّف رحمه الله تعالى قال: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته، قال الله ﷻ: هذا عبدي حقاً[3].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الإخلاص والنية» عن محمَّد بن الوليد قال: مر عمر بن عبد العزيز برجل في يده حصى يقول: اللهم زوجني من الحور العين، فقام عليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصا، وأخلصت إلى الله تعالى الدُّعاء[4].

وعن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[العنكبوت: ٢٧]؛ قال: بنيته الصادقة؛ كتب بها الأجر في الآخرة[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص: ٣٨)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٧).

(٥) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٧٥).

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: من هم بصلاة أو صيام أو حج أو عمرة أو غزو، فحِيْل بينه وبين ذلك، بلَّغه الله ما نوى[1].

واعلم أنَّ الصَّالحين لا يتحركون بحركة إلا بنية حسنة، ولا يتم التشبه بهم إلا بحسن النية والإخلاص، وإصلاح القلب.

وقد قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لا يشبه الزي الزي حتى تشبه القلوب القلوب. رواه ابن أبي شيبة، وغيره[2].

وروى ابن أبي الدُّنيا عن أبي يزيد المديني قال: كان من دعاء أبي بكر الصِّديق رضي الله تعالى عنه: اللَّهُمَّ هب لي إيماناً ويقيناً ومعافاة ونية[3].

وعن أبي عمران الجَوني موقوفاً عليه، ومتصلاً، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: تصعد الملائكة بالأعمال فتصف في سماء الدُّنيا، فينادي الملك: ألق تلك الصحيفة، ألق تلك الصحيفة، وينادي الملك: ألق تلك الصحيفة، ألق تلك الصحيفة، فتقول الملائكة عليهم السَّلام: ربنا! قالوا خيراً، وحفظناه عليهم، قال: فيقول الله تعالى: لم يرد به وجهي، وينادي الملك: اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول: يا رب!

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (ص: ٧).

إنه لم يعمله، فيقول: إنه نواه، إنه نواه[1].

وروى ابن السمعاني في «أماليه» لبعضهم: [من مجزوء الكامل]

أَيُّهَـــا الْقَـــارِعُ بِالإِخْـــ ـــلاصِ أَبْــوَابَ الْخَــلاصِ
شَـــجَرُ الإِخْـــلاصِ مَحْمُـــوْ دُ الْجَنَـــىْ يَـــوْمَ الْقِـــصَاصِ

٢ ـ ومنها: التوبة:

قال الله تعـالـى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

فالتوبة أول مقامات الصَّالحين، ثم هم عليها دائمون حتَّى يلاقوا الله تعالى صالحين بها للقائه؛ لما في الحديث: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ»[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٩٦) موقوفاً بهذا اللفظ، ورواه الدارقطني في «السنن» (١/ ٥١) مرفوعاً عن أنس. وحسن العراقي إسناد الدارقطني في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٨١) عن عبدالله بن مسعود. قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٢٤٩): من طريق أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، رفعه بهذا، ورجاله ثقات، بل حسنه شيخنا، يعني لشواهده، وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمع من أبيه.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَاللهِ إِنِّيْ لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ فِيْ الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً»(١).

وسنذكر خاتمة في آخر الكتاب في التوبة.

٣ ـ ومنها: الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى قضائه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠]

وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّه اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٢).

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه: أنه كان يقول: إن الدُّنيا خوَّانة لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجعتها، ومن يعش يبتلى، ومن يَتَفَقَّد يَفْقِد، ومن لا يُعِدَّ لفجائع الأمور صبراً يعجز.

وروى أبو القاسم الأصبهاني في «ترغيبه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يُؤْتَىْ الرَّجُلُ فِيْ قَبْرِهِ؛ فَإِذا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ دَفَعَهُ تِلاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِذا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ يَدَيْهِ دَفَعَهُ الصَّدَقَةُ، وَإِذا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ دَفَعَهُ مَشْيُهُ إِلَىْ الْمَساجِدِ، وَالصَّبْرُ حَجْزَةٌ»، وقال: «أَما لَوْ رَأَيْتُ خَلَلاً لَكُنْتُ صاحِبَهُ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٣٨).

وقوله: «حَجْزَةٌ» ـ بفتح الحاء المهملة، وإسكان الجيم ـ؛ أي: ناحية تنتظر إن لم يجد من الأعمال ما يدفع ما يأتيه من المكروه كان كافياً له في ذلك، ساداً لخلله.

وما أحسن قولَ الإمام الفقيه رشيد الدين أبي محمد عبد الوهاب بن ظافر الأزدي المعروف بابن رواج، وأنشده في «أربعينه»: [من الطويل]

إِذَا أُعْطِـيَ الإِنْـسَانُ صَـبْراً وَعِفَّـةً
وَنَقْـدَ أُمُـوْرٍ بِالـصَّوابِ وَجَـادَا
فَـذَاكَ الَّـذِيْ حَـازَ الْمَكَـارِمَ كُلَّهَـا
وَحَـازَ مَقَـامَ الـصَّالِحِيْنَ وَزَادَا

٤ ـ ومنها: الرضا بقضاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[البينة: ٨].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن العبَّاس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «ذاقَ طَعْمَ الإِيْمانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبَّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيْناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلاً»(١).

وروى ابن عساكر في «تاريخه»، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَضِيَ عَنِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٨)، ومسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٣٦٠).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: الراضي لا يتمنى فوق منزلته[1].

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: الراضي لا يتمنى خلاف حاله[2].

رواهما ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الرضا».

٥ ـ ومنها: الصدق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدُّنيا، والطَّبرانيُّ، والبيهقي، بأسانيد حسنة، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ إِذا كُنَّ فِيْكَ فَلا عَلَيْكَ ما فاتَكَ مِنَ الدُّنْيا؛ حِفْظُ أَمانَـةٍ، وَصِدْقُ حَدِيْثٍ، وَحُسْنُ خَلِيْقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِيْ طُعْمَةٍ»[3].

وروى الأصبهاني عن أبي حاتم الرَّازيِّ قال: قلت لأحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: كيف نجوت من سيف الواثق، وعصا المعتصم؟ فقال لي: بالصدق؛ لو وضع الصدق على جرح لبرئ[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٥٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠١). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٦٥): رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة.

(٤) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢٠).

وسنشيع الكلام في الصدق في التشبه بالصديقين.

٦ ـ ومنها: المراقبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤].

وتقدم قوله ﷺ: «الإِحْسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»(١).

وهذا معنى المراقبة أن تعلم أن الله يراك، وأنه أقرب إليك من حبل الوريد.

وأنشدوا: [من الخفيف]

إِنَّ مَنْ يَرْكَبِ الْفَوَاحِشَ سِرّاً
حِيْنَ يَخْلُوْ بِنَفْسِهِ غَيْرُ خالِيْ
كَيْفَ يَخْلُوْ وَعِنْدَهُ كاتِبَاهُ
شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُوْ الْجَلالِ(٢)

٧ ـ ومنها: الشكر:

قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧].

وروى مسلم عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيتان للنابغة الشيباني.

رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كانَ خَيْراً، وَإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كانَ خَيْراً»(١).

وروى البيهقي عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: أنه قال: عليكم بالشكر؛ فإنه قل قوم كانت عليهم من الله نعمة فزالت عنهم، ثم عادت إليهم(٢).

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عنه قال: بلغني أن النبي ﷺ أوصى رجلاً فقال: «أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ يَشْغَلْكَ عَمَّا سِواهُ، وَأَكْثِرِ الدُّعاءَ؛ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَىٰ يُسْتَجابُ لَكَ، وَأَكْثِرِ الشُّكْرَ؛ فَإِنَّهُ زِيادَةٌ»(٣).

وحقيقة الشكر الطاعة، واجتناب المعصية.

٨ ـ ومنها: السجود شكراً عند هجوم نعمة، واندفاع نقمة، ورؤية مبتلى:

وروى الدينوري عن المدايني قال: تكلم رجل عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأكثر السقط في كلامه، فالتفت ابن عباس إلى عبد له فأعتقه، فقيل له: لِمَ أعتقت عبدك؟ قال: شكراً لله تعالى إذ لم يجعلني مثل هذا(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٥٦).

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٠٥).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٥٥).

قال: ثم أنشد المدايني: [من الكامل]

عَـيُّ الـشَّرِيْفِ يَـشِيْنُ مَنْـصِبَهُ ... وَتَرَىٰ الْوَضِـيْعَ يَزِيْنُـهُ أَدَبُـهُ[1]

٩ ـ ومنها: التقوى:

وقد أشبعنا الكلام في ذلك فيما سبق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وروى أبو نعيم عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اتَّقَىْ اللهَ عَاشَ قَوِيَّاً، وَسَارَ فِيْ بِلادِهِ آمِناً»[2].

وروى ابن أبي الدُّنيا عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: من اتقى الله وقاه[3].

وأخرجه ابن النجار من حديث ابن عباس مرفوعاً، وقال: «وَقَاهُ كُلَّ شَيءٍ».

وأنشدوا: [من السريع]

مَـا يَـصْنَعُ الْعَبْـدُ بِعِـزِّ الْغِنَـىْ ... وَالْعِــزُّ كُــلُّ الْعِــزِّ لِلْمُتَّقِــيْ

مَــنْ عَــرَفَ اللهَ فَلَــمْ تُغْنِــهِ ... مَعْرِفَــةُ اللهِ فَــذَاكَ الــشَّقِيْ

---

(١) لبشار بن برد.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٥).

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٥٦).

* تَنْبِيْهٌ:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ﴾[آل عمران: ١٠٢].

وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦].

قال النووي: هذه الآية مبينة للمراد من الأولى(١).

١٠ ـ ومنها: الإحسان:

وهو كما في حديث «الصحيحين»: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»(٢).

ويدخل فيه الإحسان إلى الأهل، والولد، والخادم، والقريب، والجار، وسائر الخلق إذا راقبت في ذلك وجه الله؛ لأن ذلك كله عبادة.

وثمرة الإحسان راجعة إلى المحسن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[الإسراء: ٧].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[الذاريات: ١٥ ـ ١٩]؛ فوصفهم بإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والصَّدقات، والاستغفار بالأسحار، وقيام الليل، وذلك بعض صفات المحسنين.

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

وقال ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ﴾[الذاريات: ١٩]؛ قال: سوى الزكاة؛ يصل به رحماً، أو يقري به ضيفاً، أو يعين به محروماً. رواه ابن أبي حاتم(١).

* تَنْبِيهٌ:

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧]

روى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وغيرهما عن الضَّحَّاك رحمه الله تعالى: أنه كان يقف على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾؛ يعني: إن المتقين المحسنين هم القليل من الناس، ثم استأنف: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٢)؛ والهجوع النوم؛ أي: ما ينامون من الليل؛ أي: يحيون الليل بالصَّلاة والعبادة.

ولا شك في قلة المحسنين، والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص: ٢٤].

١١ ـ ومنها: اليقين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩]؛ يجوز أن يكون معناه: اجتهد في العبادة حتى تؤدي بك العبادة إلى اليقين.

وقال تعالى ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٤ ـ ٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣١١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٣٠٨)، والطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٩٩).

وروى ابن أبي الدُّنيا عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، وابن لاَل في «مكارم الأخلاق» عن معاوية بن حَيْدَة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نَجا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْيَقِيْنِ وَالزُّهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُها بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ»(١).

وروى ابن المبارك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الفرج والروح في اليقين والرضا، وإن الهم والحزن في الشك والسخط(٢).

ورواه القشيري في «الرسالة» عنه مرفوعاً(٣)، من حديث [ابن مسعود](٤).

١٢ ـ ومنها: التوكل:

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ٣٦) عن عبدالله بن عمرو. ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٥٣) عن معاوية بن حيدة.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٥٥).

(٣) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٢١٥).

(٤) زيادة من «الرسالة القشيرية» (ص: ٢١٥).

قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ»[1]، قيل: معناه أنهم متوكلون، وقيل: قلوبهم رقيقة[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم في «صحيحهم» عن عمر رضي الله تعالى عنه: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُوْنَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُوْ خِماصاً، وَتَرُوْحُ بِطاناً»[3].

قيل: إن الطير تغدو ولا تعتمد على شيء معلوم، بل تقصد ما يرزقها الله تعالى، وهو معنى الحديث السابق: «أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ».

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى: أن الأشعريين: أبا موسى، وأبا مالك، وأبا عامر في نفر لما هاجروا قدموا على رسول الله ﷺ قد أرملوا من الزاد، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦]، فقال

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٠).

(٢) انظر: «رياض الصالحين» للنووي (ص: ٢٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٤) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٤). ورواه أيضاً ابن ماجه (٤١٦٤).

الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: «أبشروا؛ أتاكم الغوث»، ولا يظنون إلا أنه أتى رسول الله ﷺ فوعده، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا منها ما شاؤوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أنَّا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ يقضي به حاجة، فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ؛ فإنا قد قضينا منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ما رأينا طعاماً أكثر، ولا أطيب من طعام أرسلت به، قال: «ما أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ طَعاماً»، فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم فسأل رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع، وما قال لهم، فقال رسول الله ﷺ: «ذاكَ شَيْءٌ رَزَقَكُمُوْهُ اللهُ تَعالَىْ»[1].

١٣ ـ ومنها: التفكر في مصنوعات الله تعالى، وفي نعمه، دون التفكر في ذاته:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[سبأ: ٤٦].

وقال تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[آل عمران: ١٩١].

وروى ابن أبي الدُّنيا، وابن حبان في «صحيحه»، والأصبهاني،

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٥٣).

وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيْها»[1].

وقيل للأوزاعي: ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرؤهن وهو يعقلهن. رواه ابن أبي الدنيا[2].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

رواه أبو الشيخ في «العظمة» عنه، وابن سعد في «طبقاته»، وغيره عن أبي الدَّرداء موقوفاً، والديلمي عن أنس مرفوعاً[3].

بل روى أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فِكْرَةُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتِّيْنَ سَنَةٍ»[4].

والمراد بالعبادة التي التفكر خير منها، العبادة الخالية عن التفكر، وإحضار القلب، وإخلاصه.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٩) إلى ابن أبي الدنيا.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢٩٨) عن ابن عباس، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٩٢)، عن أبي الدرداء موقوفاً، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٣٩٧) عن أنس مرفوعاً لكن بلفظ «ثمانين سنة»، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٢٣) عن الحسن موقوفاً. وضعف العراقي إسناد الديلمي في «تخريج أحاديث الأحياء» (٢/ ١١٩٣).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٠٠)، وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الأحياء» (٢/ ١١٩٣).

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ينشد: [من المتقارب]

إِذَا الْمَـرْءُ كَانَـتْ لَـهُ فِكْـرَةٌ ... فَفِـيْ كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ عِبْـرَةْ[1]

وقد ذيَّلتُ عليه بقولي: [من المتقارب]

فَمَـا تُبْـصِرُ الْعَـيْنُ مِـنْ كَـائِنٍ ... وَلَـوْ كَـانَ أَدْوَنَ مِـنْ ذَرَّةْ

تُلاقِيْـهِ إِلاَّ دَلِـيْلاً عَلَـىْ ... إِلَـهٍ عَظِـيْمٍ لَـهُ قُـدْرَةْ

١٤ ـ ومنها: الاستقامة:

وسبق لنا فيها كلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وغيرهم عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»[2].

قال النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٠٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٣)، ومسلم (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠).

طاعة الله، قالوا: وهي من جوامع الكلم، وهي نظام الأمور[1].

١٥ ـ ومنها: المبادرة إلى الخيرات:

وتقدم لنا كلام في ذلك.

وحسن الترمذي حديث أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ: «بادِرُوْا بِالأَعْمالِ سَبْعاً؛ هَلْ تَنْظُرُوْنَ إِلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ؛ فَشَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ؛ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىْ وَأَمَرُّ»[2].

١٦ ـ ومنها: المجاهدة للكفار، وللنفس، والشيطان:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنه قال[3]: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ»[4].

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» للنووي (ص: ٢٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٦) وحسنه. لكن فيه محرر بن هارون. قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٢٧٣): قال البخاري والنسائي: منكر الحديث، روى له الترمذي حديثًا واحدًا.

(٣) في «أ»: «رضي الله تعالى عنهما، قالا».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٠)، ومسلم (٢٨٢٣). ورواه أيضاً البخاري (٦١٢٢) بلفظ: «حجبت».

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس(١).

١٧ ـ ومنها: المصابرة في الحرب، وعدم الفرار:

وإذا ثبت أو جالد فلا يعجب بِجَلَدِه، ولا يذكر من الشجاعة فوق ما صدر منه، ولا يدَّعي الثبات قبل المباشرة.

فقد روى الطبراني في «الكبير»، والحاكم عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ تَعالَىْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ؛ الَّذِيْ إِذا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قاتَلَ وَراءَها لِلَّهِ بِنَفْسِهِ؛ فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ وَيَكْفِيْهِ، فَيَقُوْلُ: انْظُرُوْا إِلَىْ عَبْدِيَ هَذا كَيْفَ صَبَرَ لِيْ بِنَفْسِهِ، وَالَّذِيْ لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِراشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُوْمُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُوْلُ: يَذَرُ شَهْوَتَهُ لِيَذْكُرَنِيْ، وَلَوْ شاءَ رَقَدَ، وَالَّذِيْ إِذا كانَ فِيْ سَفَرٍ وَكانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوْا، ثُمَّ هَجَعُوْا، قامَ مِنَ السَّحَرِ فِيْ سَرَّاءَ وَضَرَّاءَ»(٢).

وروى أبو بكر بن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبعث السرية، فإذا رجعوا كانوا يزيدون في الفعل، ويقولون: قاتلنا كذا، وصنعنا كذا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ١٢٠).

(٢) عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٤٥) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» وحسن إسناده، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٨) مختصراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[الصف: ٢][1].

وروى عبد الرزاق، وغيره عن قتادة في الآية قال: بلغني أنها نزلت في الجهاد؛ كان الرجل يقول: قاتلت وفعلت، ولم يكن فعل، فوعظهم الله تعالى في ذلك أشد الموعظة[2].

١٨ ـ ومنها: الازدياد من الخير ـ وخصوصاً في آخر العمر ـ وكل نَفَسٍ من أنفاس العبد يمكن أن يكون آخر عمره:

روى مسلم، وابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىْ ما ماتَ عَلَيْهِ»[3].

وروى الطَّبراني في «الأوسط»، وابن عدي في «الكامل»، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا أَتَىْ عَلَيَّ يَوْمٌ لا أَزْدادُ فِيْهِ عِلْماً يُقَرِّبُنِيْ إِلَىْ اللهِ تَعالَىْ، فَلا بُوْرِكَ لِيْ فِيْ طُلُوْعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[4].

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٧) إلى ابن مردويه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨٧٨)، وابن ماجه (٤٢٣٠) ولفظه: «يحشر الناس على نياتهم».

(٤) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٣٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨٨). قال ابن القيم في «مفتاح باب السعادة» (١/ ١٢٢): ورفعه باطل، وحسبه أن يصل إلى واحد من الصحابة أو التابعين.

١٩ ـ ومنها: الاقتصاد في العبادة:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ﴾[البقرة: ١٨٥].

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَهْ؛ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ ما تُطِيْقُوْنَ، فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوْا»(١).

ولفظ الإمام أحمد، وأبي داود، والنسائي: «اكْلَفُوْا مِنَ الْعَمَلِ ما تُطِيْقُوْنَ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوْا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَىٰ اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»(٢).

وروى الدَّارقطني بإسناد ضعيف، عن الزُّبير رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلا إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ؛ أَنا وَصالِحُوْ أُمَّتِيْ»(٣).

وروى الشيخان، وغيرهما عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَسِّرُوْا وَلا تُعَسِّرُوْا، وَبَشِّرُوْا وَلا تُنَفِّرُوْا»(٤).

٢٠ ـ ومنها: المحافظة على الأعمال، والمداومة عليها:

لحديث عائشة المذكور سابقاً، وفيه في لفظ الشيخين: «وَكانَ

---

(١) رواه البخاري (٤٣) واللفظ له، ومسلم (٧٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٠)، وأبو داود (١٣٦٨)، والنسائي (٧٦٢).

(٣) كذا عزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٨٢) إلى الدارقطني في «الأفراد» وضعف إسناده.

(٤) رواه البخاري (٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٣٤).

أَحَبُّ الدِّيْنِ إِلَيْهِ ما داوَمَ صاحِبُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة مع المسكنة، وأقبح من ذلك كله رجل كان عابداً فترك عبادة ربه[2].

* تَنْبِيْهٌ:

في حديث عائشة المذكور دليل على ذم المَلالة من الخير.

وقوله: «فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىْ تَمَلُّوْا» من باب المشاكلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤]؛ فإن السآمة والملالة مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى.

والمعنى: إنَّ من ملَّ من عمل الطاعة تركه الله من ثوابه، وأعرض عنه.

قلت: ويحتمل أن يكون معنى الحديث: فوالله لا يمل الله فكيف تملوا؟ أي: إن الله تعالى لو كان يمل من العطاء والثواب، لكان لمللكم وجه، لكنه لا يمل فلا تملوا.

ثم الملل خلق مذموم، سواء كان الملل من عمل الآخرة، أو من عمل الدنيا إذا كان فيه خير، أو من معاشرة من يلائمك، أو مما يلائمك من متاع، ونحوه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤١).

وقد روى الأصبهاني في «ترغيبه» عن عمرو بن العاص ﵁ قال: لا أمل ثوبي ما وسعني، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا أمل دابتي ما حملت رحلي؛ إن الملالة من سيئ الأخلاق.

وزاد في رواية: ولا أمل جليسي ما فهم عني[1].

٢١ ـ ومنها: الأخذ بالرخص في محالِّها؛ كقصر الصلاة في السفر وجمعها، والفطر بعد مجاوزة ثلاثة مراحل، والتيمم عند فقد الماء، والمسح على الخفين.

روى الإمام أحمد، والبيهقي عن ابن عمر ﵄، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي الدَّرداء، وواثلة، وأنس، وأبي أمامة رضي الله تعالى عنهم، وفي «الأوسط» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَىٰ رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَىٰ عَزائِمُهُ»[2].

---

(١) ورواه أيضاً الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٠٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٨٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٩) عن ابن عمر ﵄.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٨٠) عن ابن عباس، و(١٠٠٣٠) عن ابن مسعود، و(٧٦٦١) عن أبي الدرداء، وواثلة، وأنس، وأبي أمامة رضي الله تعالى عنهم، وفي «المعجم الأوسط» (٨٠٣٢) عن عائشة رضي الله عنها.

وفي بعض طرقه: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُقْبَلَ رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ الْعَبْدُ مَغْفِرَةَ رَبِّهِ»(١).

وفي رواية عند الإمام أحمد، وابن حبان، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَىٰ رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَىٰ مَعْصِيَتُهُ»(٢).

ومن الإتيان بمعصيته تتبع الرخص؛ بأن يأخذ من كل مذهب من مذاهب الأئمة أيسر ما فيه، أو تتبع سَقَطات العلماء فيأخذ بها؛ فقد نص العلماء على تحريم ذلك، ولا يخفى أن تتبع الرخص ليس من أعمال الصَّالحين(٣).

قال سليمان التيمي رحمه الله تعالى: لو أنك أخذت برخصة كل

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٣٠) عن ابن مسعود. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٦٢): فيه معمر بن عبدالله الأنصاري، قال العقيلي: لا يتابع على رفع حديثه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٩٠).

(٣) قال الشاطبي في «الموافقات» (٤/ ١٤٥): تتبع الرخص ميل مع أهواء النفوس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى، فهذا مضاد لذلك الأصل المتفق عليه، ومضاد أيضاً لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩] وموضع الخلاف موضع تنازع، فلا يصح أن يرد إلى أهواء النفوس، وإنما يرد إلى الشريعة، وهى تبين الراجح من القولين، فيجب اتباعه، لا الموافق للغرض.

عالم، أو زلة كل عالم، اجتمع فيك الشَّر كله. رواه أبو نعيم(١).

٢٢ ـ ومنها: المحافظة على السنة، وآدابها:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[الحشر: ٧].

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِيْ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَىْ»، قيل: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِيْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِيْ فَقَدْ أَبَىْ»(٢).

وقال ابن عمر ﷺ: لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر(٣).

وقال أبو الدَّرداء ﷺ: الدين دين محمَّد ﷺ، ولن تضل ما أخذت بالأثر. رواهما الأصبهاني.

وقال الزُّهري رحمه الله تعالى: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة. رواه الدارمي، والبيهقي في «المدخل»(٤).

وقال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: الطريق مسدود على خلق الله إلا على المتبعين أخبار رسول الله ﷺ، المقتدين بآثاره، قال

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥١).

(٣) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ١٩٤).

(٤) رواه الدارمي في «السنن» (٩٦)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٤٥٤).

الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]».

رواه الشيخ نصر المقدسي في «الحجة»[١].

٢٣ ـ ومنها: الانقياد لحكم الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١].

وروى أبو داود في «مراسيله» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دُعِيَ إِلَىْ حَكَمٍ مِنَ الْحُكَّامِ[٢] فَلَمْ يُجِبْ، فَهُوَ ظَالِمٌ»[٣].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» عنه، عن سَمُرة رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ دُعِيَ إِلَىْ سُلْطَانٍ فَلَمْ يُجِبْ، فَهُوَ ظَالِمٌ لا حَقَّ لَهُ»[٤].

٢٤ ـ ومنها: إحياء السنة، والدلالة على الخير، والتعاون على البر والتقوى:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾[السجدة: ٢٤].

---

(١) انظر: «مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي» (٤٥٩).

(٢) في «أ»: «حكام».

(٣) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٩١).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٩٣٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩٨): وفيه روح بن عطاء، وثقه ابن عدي، وضعفه الأئمة.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

وروى ابن ماجه عن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ، كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْئاً»[١].

وفي رواية: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي»[٢].

وروى مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَىْ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».

وأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي أيضاً[٣].

٢٥ ـ ومنها: حفظ اللسان والصمت إلا عن خير:

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ﴾[النساء: ١١٤].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن أبي شريح، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٠)، ورواه الترمذي (٢٦٧٧) وحسنه. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٧) ـ بعد أن نقل تحسين الترمذي ـ: بل كثير ابن عبدالله متروك، ولكن للحديث شواهد.

(٣) رواه مسلم (١٨٩٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٠)، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١).

وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَسْكُتْ»[١].

وقال لقمان عليه السلام: الصمت حكمةٌ أَيُّ حِكْمَةٍ!، وقليلٌ فاعلُه[٢].

ورواه القضاعي في «مسند التهذيب» عن أنس، والديلمي عن ابن عمر؛ كلاهما رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ[٣].

وروى أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن محرز بن زهير رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْعَالِمِ، وَسِتْرٌ لِلْجَاهِلِ».

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن يونس بن عبيد رحمه الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٧)، والترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجه (٣٩٧١)، ورواه أيضاً البخاري (٦١١٠)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤) عن أبي هريرة، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣١)، والترمذي (١٩٦٧)، وابن ماجه (٣٦٧٢)، ورواه أيضاً البخاري (٦١١١)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٦).

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤٠)، ورواه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٢٧) عن أنس، وقال: الصحيح عن أنس أن لقمان قاله. والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٥١) عن ابن عمر، وضعف العراقي إسناد الديلمي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٦٥).

تعالى: ما من أحد الناس يكون لسانه منه على بالٍ إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله[1].

وقال سفيان رحمه الله تعالى: قالوا لعيسى بن مريم عليهما السَّلام: دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة، قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك، قال: فلا تنطقوا إلا بخير[2].

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: قال سليمان بن داود عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. رواهما ابن أبي الدنيا في «الصمت»[3].

٢٦ ـ ومنها: النصيحة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]؛ وفي ضمن ذلك وصفهم بالتناصح.

وروى مسلم عن تميم الدَّاريِّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ» ـ قاله ثلاثاً ـ قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لِلَّهِ، وَلِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ»[4].

وروى هو، والبخاري، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٧٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٦).

(٤) رواه مسلم (٥٥).

رسـول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىْ يُحِـبَّ لأَخِيْـهِ مَا يُحِـبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

٢٧ ـ ومنها: العدل في الحكم، وفي سائر ما يطلب فيه العدل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾[الأنعام: ١٥٢].

وقال: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٨].

وفي «الصحيحين» حديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2].

وروى الدينوري عن الحسن رحمه الله تعالى قال: كان يقال: لأجرُ حاكم عدل يوماً، أفضل من رجل يصلي في بيته سبعين سنة[3].

بل روى الحاكم في «تاريخه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَدْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّيْنَ سَنَةً»[4].

٢٨ ـ ومنها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) رواه مسلم (٤٥)، والبخاري (١٣).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٨) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٩) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٧٦).

(٤) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ١٦٢).

عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٤]؛ وقد تقدم الكلام على ذلك.

٢٩ ـ ومنها: موافقة القول العمل:

قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السَّلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ﴾[البقرة: ٤٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٣].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِيْ النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ بِهِ أَقْتَابُهُ ـ أي: أمعاؤه ـ فَيَدُوْرُ بِهَا فِيْ النَّارِ كَمَا يَدُوْرُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيُطِيْفُ بِهِ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُوْلُوْنَ: يَا فُلانُ! مَا لَكَ؟ مَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوْفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُوْلُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَلا آتِيْهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيْهِ»(١).

ولا شك أن العبد لا يتم صلاحه حتى يبدأ بإصلاح نفسه قبل إصلاح غيره.

كما روي: أن بعض العارفين سئل عن الزهد، فدخل بيته، وأخرج

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٥)، والبخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (٢٩٨٩).

دراهم كانت عنده، فتصدق بها، ثم أجابه، وقال: كرهت أن أتكلم في الزهد وعندي هذه الدراهم.

وإلا فمن لا يصلح نفسه كيف يصلح غيره! كما قيل: [من الطويل]

وَغَيْـرُ تَقِـيٍّ يَـأْمُرُ النَّـاسَ بِـالتُّقَىْ ... طَبِيْبٌ يُدَاوِيْ النَّاسَ وَهْوَ عَلِيْـلُ[1]

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزُّهد» عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أترك الناس له؛ وإلا هلكت[2].

وقال الفقيه منصور الشافعي رحمه الله تعالى ملمحاً بالآية السابقة: [من مجزوء الخفيف]

إِنَّ قَوْمـاً يَأْمُرُوْنَـا ... بِالَّـذِيْ لا يَفْعَلُوْنَـا

لَمَجَـانِيْنُ وَإِنْ هُـمْ ... لَـمْ يَكُوْنُـوا يُـصْرَعُوْنا[3]

وقلت: [من الخفيف]

أَيُّهَا الْعَالِمُ الَّذِيْ قَدْ نَهَـى عَـنْ ... مُنْكَـرِ الْفِعْـلِ عَلَّنَـا نَخْـشَاهُ

---

(١) ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٦٥)، عن رجل يعرف بأبي العباس.

(٢) وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص: ٩٩).

(٣) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ١٩٥).

لا تُخَـالِفْ إِلَـىْ الَّـذِيْ يَنْهَـاهُ وَاعْبُـدِ اللهَ بِالَّـذِيْ يَرْضَـاهُ
إِنَّمَـا الـصَّالِحُ التَّقِـيُّ الْمُزَكَّـىْ مَنْ تَحَـرَّىْ خِـلافَ مَـا يَهْـوَاهُ
وَإِذَا مَا نَهَىْ عَـنِ الـشَّيْءِ يَوْمـاً لَـمْ تَجِـدْهُ بِحَالِـهِ يَغْـشَاهُ
وَإِذَا كَـانَ آمِـراً بِـصَلاحٍ كَـانَ وَاللهِ حَـائِزاً أَعْـلاهُ
مُخْلِصاً لِلْكَرِيْمِ فِيْ كُـلِّ شَـيْءٍ مُكْثِـراً مِـنْ مَحَبَّـةٍ ذِكْـرَاهُ

٣٠ ـ ومنها: أداء الأمانة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[النساء: ٥٨].

وروى أبو داود، والترمذي، والحاكم وصححاه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والدارقطني، والحاكم، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» عن أنس رضي الله عنه، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله عنه، والدارقطني أيضاً عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَىْ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خانَكَ»(١).

وروى الأصبهاني عن السَّرِيِّ السَّقَطي رحمه الله تعالى قال:

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٢٢٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الدارقطني في «السنن» (٣/ ٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢٩٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٧/ ٢٨١) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٨٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه.
ورواه الدارقطني في «السنن» (٣/ ٣٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفاف الطُّعمةِ، وحسن الخليقة[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبيد ابن أم كلاب: أنه سمع عمر رضي الله تعالى عنه يخطب الناس، وهو يقول: لا يعجبنكم من الرجل طنطنته؛ ولكن من أدى الأمانة، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل[2].

وروى الأصبهاني عن عبدالله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ قال: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وإلى أمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب! وما علمك بأمانته إذا لم يطمع! ولا يعجبنكم صاحبكم حتى تنظروا على أي شِقَّيْهِ يقع؛ أي: حتى تنظروا إلى أي شيء تؤول عاقبته؛ إلى الخير، أم إلى الشر؟[3]

* **تَنْبِيْهٌ:**

قال الأعمش رحمه الله تعالى: أعظم الخيانة أداء الأمانة إلى الخائنين. رواه أبو نعيم[4].

---

(١) وكذا رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٠٢)، ورواه مرفوعاً (٤٨٠١) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٢) وكذا رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٤٣).

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٧٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٤٨).

وليس معناه خيانة الخائنين في المال، ونحوه لقوله ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(١).

وليس منه استيفاء المرء حقه من الخائن خفيةً، كما ذهب إليه الشافعي رضي الله تعالى عنه، بل معناه نقل الحديث إلى الخَونة كالسعاية بالعبد إلى ظالم يؤذيه، ودلالة أعداء المسلمين على عوراتهم، ونحو ذلك.

وكذلك قول الأعمش أيضاً: نقض العهد وفاءٌ بالعهد لمن ليس له عهد. رواه أبو نعيم أيضاً(٢).

ويدخل في كلام الأعمش ما لو رأيت رجلاً سرق صاع رجل، أو غصبه منه، ثم سقط منه ذلك المتاع، وأنت تعرف مالكه؛ فلا تؤده إلى الخائن، بل إلى مالكه.

٣١ ـ ومنها: تعظيم حرمات المسلمين، والشفقة عليهم، ورحمة من أمر برحمته من خلق الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [الحج: ٣٠].

وروى الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٤٨).

(٣) رواه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٥٨٥).

ورويا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وعن جرير رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وصححاه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «الرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ؛ ارْحَمُوْا مَنْ فِيْ الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِيْ السَّمَاءِ»[2]. وهذا هو الحديث المسلسل بالأولية.

٣٢ ـ ومنها: ستر عورات المسلمين:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِيْ الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد الرَّبعي: أن عيسى بن مريم عليهما السَّلام قال لبعض أصحابه: أرأيتم لو أن أحدكم أتى على أخيه المسلم وهو نائم، وقد كشف الريحُ بعضَ ثوبه؟ فقالوا: سبحان الله! إذاً كنا نرد عليه؛ يعني: ثوبه، قال: لا، بل تكشفون

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة.
ورواه البخاري (٥٦٦٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٩) عن جرير.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وصححه واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٧٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٠).

ما بقي، قـالوا: سـبحان الله! بل نـرد عليـه، قال: لا، بل تكشـفون ما بقي[1].

مثلٌ ضربه للقوم يسـمعون للرجـل السـيئة، فيذكـرون أكثـر من ذلك.

ولا شـك أن التنصل من هذه الخصـلة من أشـد أعمال الصالحين وأخلاقهم.

٣٣ ـ ومنها: قضاء حوائج المسلمين:

في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: «وَمَنْ كانَ فِيْ حَاجَةِ أَخِيْهِ كانَ اللهُ فِيْ حاجَتِهِ». رواه الشيخان[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «قضـاء الحوائج» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَضَىْ لأَخِيْـهِ حَاجَـةً، كانَ بِمَنْزِلَـةِ مَنْ خَدَمَ اللهَ عُمُرَهُ»[3].

قلت: لعل الحكمة في ذلك: أن من قضى حاجة لأخيه فقد سد خلة منه، وأزال ضرورة عنه، بخلاف من خدم الله تعالى؛ فإن الله غني عنه وعن خدمته، والله الموفق.

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٣٧)، وكـذا رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٣).

٣٤ ـ ومنها: الشفاعة إلا في حدود الله تعالى، أو في إضاعة حق:

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وروى الأئمة إلا ابن ماجه، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اشْفَعُوْا تُؤْجَرُوْا، وَيَقْضِـيْ اللهُ عَلَىْ لِسَانِ نَبِيِّهِ ما شَاءَ»(١).

وروى صدرَه ابنُ عساكر من حديث معاوية رضي الله تعالى عنه(٢).

٣٥ ـ ومنها: الإصلاح بين النَّاس:

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات: ١٠].

وروى البزار، والطبراني وحسنه المنذري(٣)، عن عبدالله بن

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٥)، ومسلم (٢٦٢٧)، وأبو داود (٥١٣٣)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٥٦)، وكذا رواه أبو داود (٥١٣٢)، والنسائي (٢٥٥٧).

(٣) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٢١): رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وحديثه هذا حسن، لحديث أبي الدرداء المتقدم؛ يعني حديث: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين».

عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ»[1].

٣٦ ـ ومنها: إيثار صحبة الفقراء، والتواضع لهم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ نزلت في فقراء المهاجرين.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أتى علينا رسول الله ﷺ، ونحن أناس من ضعفة المسلمين، ورجل يقرأ علينا القرآن، ويدعو لنا، فقال رسول الله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ جَعَلَ فِيْ أُمَّتِيْ مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِيَ مَعَهُمْ»، ثم قال: «بَشِّرْ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالنُّوْرِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيامَةِ، يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ـ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ ـ، هَؤُلاءِ فِيْ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُوْنَ، وَهَؤُلاءِ يُحَاسَبُوْنَ». رواه أبو يعلى، والبيهقي في «دلائل النبوة»[2].

٣٧ ـ ومنها: ملاطفة اليتيم، والبنات، وسائر الضعفة، والمساكين، والمنكسرين، والإحسان إليهم:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٠) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» والبزار.

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (١١٥١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٤٩٢)، وكذا رواه أبو داود (٣٦٦٦).

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة، ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إيَّاها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته، فقال: «مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ»[1].

وروى أبو داود بإسناد جيد، عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اِبْغُوْنِي الضُّعَفَاءَ؛ فَإِنَّمَا تُرْزَقُوْنَ، وَتُنْصَرُوْنَ بِضُعَفَائِكُمْ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمران القصير رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم؛ فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، لولا ذلك لتهدَّموا[3].

ومن ملاطفة المسكين، والتواضع معه مناولته الشيءَ.

وفي «حلية أبي نعيم»: أن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه كان قد ذهب بصره، فاتخذ خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده

---

(1) رواه البخاري (١٣٥٢)، ومسلم (٢٦٢٩).

(2) رواه أبو داود (٢٥٩٤)، وكذا رواه الترمذي (١٧٠٢) وصححه، والنسائي (٣١٧٩).

(3) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٤).

مَكْتلاً فيه تمر، فكان إذا جاء المسكين فسلم، فأخذ من ذلك المكتل، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله، وكان أهله يقولون له: نحن نكفيك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُنَاوَلَةُ الْمِسْكِيْنِ تَقِيْ مِيْتَةَ السُّوْءِ»[1].

وأخرجه ـ أيضاً ـ الطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»[2].

٣٨ ـ ومنها: التلطف بالمرأة، وتحسين الخلق معها، واحتمال الأذى منها:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ١٩].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوْا بِالنِّسَاءِ خَيْراً؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِيْ الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوْا بِالنِّسَاءِ خَيْراً»[3].

وفي رواية لمسلم: «وَكَسْرُهَا طَلاقُهَا»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٢٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٦٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (١٤٦٨).

(٤) رواه مسلم (١٤٦٨).

قال أبو محمد التـ[ـيـ]ـجاني في كتاب «تحفة العروس»: نبَّهَ ﷺ على الرفق بهن، ومداراتهنَّ، وأن لا يُتقصى عليهن في أخلاقهن، وانحراف طباعهن؛ فإن ذلك يؤدي إلى مفارقتهن.

قال: ونظمَ الشاعر في هذا المعنى، فقال: [من الطويل]

هِـيَ الـضِّلَعُ العَوْجَـاءُ لَـسْتَ تُقِيْمُهَـا
أَلا إِنَّ تَقْــوِيْمَ الــضُّلُوْعِ انْكِــسَارُهَا
أَيَجْمَعْـنَ ضَـعْفاً وَاقْتِـدَاراً عَلَـىْ الْفَتَـىْ
أَلَـيْسَ عَجِيْبـاً ضَـعْفُهَا وَاقْتِـدَارُهَا؟![1]

وقال الرشيد في قريبٍ من هذا المعنى: [من الكامل]

مَلَــكَ الــثَّلاثُ الْغَانِيَــاتُ جَنَــانِيْ
وَحَلَلْــنَ مِــنْ قَلْبِــيْ بِكُــلِّ مَكَــانِ
مَــا لِــيْ تُطَــاوِعُنِيْ الْبَرِيَّــةُ كُلُّهَــا
وَأُطِــيْعُهُنَّ وَهُــنَّ فِــيْ عِــصْيَانِيْ
مَــا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ سُــلْطَانَ الْهَــوَىْ
وَبِــهِ سَــطَيْنَ أَعَــزُّ مِــنْ سُــلْطَانِي[1]

---

(١) البيتان لابن الأعرابي كما في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٠/ ١٢٩).
وانظر: «تحفة العروس ونزهة النفوس» للتيجاني (ورقة ٤٤/ أ).

٣٩ ـ ومنها: الرفق بالخادم، والتلطف به، والإحسان إليه:

روى الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[٢].

ورويا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ فِتْنَةً تَحْتَ أَيْدِيْكُمْ؛ فَمَنْ كانَ أَخُوْهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ، وَلا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ»[٣].

وأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه أيضاً[٤].

وفي رواية لأبي داود: «مَنْ لاءَمَكُمْ مِنْ مَمْلُوْكِيْكُمْ فَأَطْعِمُوْهُمْ مِمَّا تَأْكُلُوْنَ، وَأَلْبِسُوْهُمْ مِمَّا تَلْبَسُوْنَ، وَمَنْ لَمْ يُلائِمْكُمْ مِنْهُمْ فَبِيْعُوْهُ، وَلا تُعَذِّبُوْا خَلْقَ اللهِ»[٥]. وسنده صحيح.

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٤٦).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٠٩٥)، وابن ماجه (٢٦٩٧) عن أنس، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨)، وأبو داود (٥١٥٦) عن علي، ورواه ابن ماجه (١٦٢٥) عن أم سلمة.

(٣) رواه البخاري (٢٤٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٦١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧١)، وأبو داود (٥١٦١)، والترمذي (١٩٤٥)، وابن ماجه (٣٦٩٠).

(٥) رواه أبو داود (٥١٦١). وصحح العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٣٤).

وروى هو، والترمذي وحسنه، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! كم نعفوا عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اعْفُ عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِيْنَ مَرَّةً»[1].

٤٠ ـ ومنها: النفقة على العيال:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩].

وروى مسلم، والترمذي عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ دِيْنَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ، دِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىْ عِيَالِهِ، وَدِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىْ دَابَّتِهِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، وَدِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىْ أَصْحابِهِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[2].

قال أبو قلابة رحمه الله تعالى: بدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يُعِفُّهُمُ الله به، أو ينفعهم الله به، ويغنيهم؟[3]

قلت: إنما عظم أجر المنفق على العيال إذا أحسن النفقة عليهم؛ لأن الله تعالى قد استخلفه عليهم، فأحسن في خلافته، فاستوجب الإحسان، ومكافأته، والله الموفق.

---

(١) رواه أبو داود (٥١٦٤)، والترمذي (١٩٤٩) وحسنه.

(٢) رواه مسلم (٩٩٤)، والترمذي (١٩٦٦).

(٣) انظر: «صحيح مسلم» (٩٩٤).

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن علي رضي الله تعالى عنه: أنه اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: أبو العيال أحقُّ أن يحمل[1].

وروى الدينـوري عن إبراهيم التيمي قال: لقي عيسى بن مريم عليهما السلام رجلاً، فقال له: ما تصنع؟ قال: أَتَعَبَّد، قال: من يعولك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبدُ منك[2].

وعن مسلم بن يسار رحمه الله: أن رُفقة من الأشعريين كانوا في سفر، فلما قدموا قالوا: يا رسول الله! ما رأينا أحداً بعد رسول الله ﷺ أفضل من فلان؛ يصوم النهار، فإذا نزلنا قام يصلي حتى نرتحل، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَمُوْنُهُ، أَوْ يَكْفِيْهِ، أَوْ يَسْعَىْ عَلَيْهِ؟»، قالوا: نحن، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْـتُمْ أَعْبَدُ مِنْهُ»[3].

٤١ ـ ومنها: الصدقة، وخصوصاً مما يحب:

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

وروى الشيخان، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٣).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٣٠).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٢٩) لكنه قال: «كلكم أفضل منه».

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىْ إِلاَّ الطَّيِّبَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِيْنِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِـهَا كَمَا يُرَبِّيْ أَحَدُكُمْ فَلُوَّهَ حَتَّىْ تَكُوْنَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[1].

وروى القُضاعي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوْءِ»[2].

بل روى الشيخان، وغيرهما من حديث عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوْا فَبِـكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[3].

وروى صدْره الإمـامُ أحمـد عن عائشـة رضي الله تعالى عنها، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، والضياء في «المختارة» عن أنس رضي الله تعالى عنه، والبزار عن النعمان بن بشير، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنهم[4].

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤) واللفظ له، ومسلم (١٠١٤)، والترمذي (٦٦١)، وابن ماجه (١٨٤٢).

(٢) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٨).

(٣) رواه البخاري (٦١٩٥)، ومسلم (١٠١٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧٩) عن عائشة رضي الله تعالى عنها. ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٤٤)، والضياء في «الأحاديث =

* **تَنْبِيهٌ:**

لا تكون الصدقة مقبولة، ولا من أخلاق الصالحين حتى تكون من حلال؛ لقوله ﷺ: «وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ»[1]؛ قال العلماء: يعني: الحلال.

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى: أربع لا يقبلن في أربع: السرقة، والخيانة، والغلول، ومال اليتيم؛ في الحج، والعمرة، والصدقة، والنفقة في سبيل الله[2].

وقال القاسم بن مُخَيمرة رحمه الله تعالى: من أصاب مالاً من مأثم، فوصل به رحماً، أو تصدق به، أو أنفقه في سبيل الله، جمع [به] ذلك كله في نار جهنم. رواهما الدينوري، وغيره[3].

* **تَنْبِيهٌ آخَرُ:**

روى أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند

= المختارة» (٦/ ٦٨) عن أنس رضي الله تعالى عنه.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٧١) عن ابن عباس، و(٨٠١٧) عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنهم.

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٠٦) إلى البزار عن أنس والنعمان وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٥٩).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٥٩).

النبي ﷺ جلوساً، فجاء سائل، فسأل، فناوله رجل درهماً، فأخذه رجل، فناوله إياه، فقال النبي ﷺ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الْمُعْطِيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً»(١).

وروى الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِلُقْمَةِ الْخُبْزِ، وَقَبْضَةِ التَّمْرِ، وَمِثْلِهِ مِمَّا يَنْفَعُ الْمِسْكِيْنَ ثَلاثَةً الْجَنَّةَ: صَاحِبَ الْبَيْتِ الآمرَ بِهِ، وَالزَّوْجَةَ الْمُصْلِحَةَ، وَالْخَادِمَ الَّذِيْ يُنَاوِلُ الْمِسْكِيْنَ»(٢).

٤٢ ـ ومنها: تعليم الأهل، والأولاد الأدب، وأمرهم بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن معصية الله، وتعليمهم ما يحتاجون إليه من ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾[طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ، وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِيْ أَهْلِهِ، وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِيْ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُوْلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِيْ مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧١٨١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥)، والبخاري (٢٢٧٨)، ومسلم =

٤٣ ـ ومنها: رعاية حق الجار:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[النساء: ٣٦]

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وهؤلاء، والنسائي، وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَازَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١).

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه عن أبي شريح، وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ: قال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَىْ جَارِهِ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَسْكُتْ»(٢).

* **لَطِيْفَةٌ:**

روى أبو نعيم عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أنه سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي ولفلان، قال: من فلان؟ قال: جار لي أمرني أن أستغفر له، قال: قد غفر لك ولصاحبك؛ إن رسول الله ﷺ

= (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٥٢)، والبخاري (٥٦٦٨)، ومسلم (٢٦٢٤)، وأبو داود (٥١٥١)، والترمذي (١٩٤٢).

(٢) تقدم تخريجه.

سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي ولفلان، قال: «مَنْ فُلانٌ؟» قال: جاري أمرني؛ قال: استغفر لي، قال: «قَدْ غُفِرَ لَكَ وَلَهُ»(١).

في هذا الحديث أن من تمام حق الجار الدُّعاء، والاستغفار، خصوصاً إذا طلب، وأن الدَّعاء للأخ بظهر الغيب مستجاب، وأن الدعاء من الإخوان مشروع محبوب.

٤٤ ـ ومنها: بر الوالدين، وصلة الأرحام:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[النساء: ١].

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلاةُ عَلَىْ وَقْتِهَا»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قلت: ثمَّ أَيٌّ؟ قال: «الْجِهَادُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»(٢).

وفي حديثهما عن أبي هريرة ﷺ: «وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٣).

والأحاديث في ذلك كثيرة معروفة.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٠)، ومسلم (٨٥) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٧) واللفظ له، ومسلم (٤٧).

٤٥ ـ ومنها: برُّ أصدقاء الأب، والأم، والأقارب، وسائر من يندب بره، وإكرامه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِـرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيْهِ»(١).

وهو، والبخاري عن أنس ﷺ قال: خرجت مع جرير بن عبدالله البَجَلي رضي الله تعالى عنه في سفر، فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً آليت أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته(٢).

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا عن خيثمة رحمه الله تعالى قال: كان عيسى عليه السَّلام إذا دعا القراء قام عليهم، ثم قال: هكذا اصنعوا بالقراء(٣).

٤٦ ـ ومنها: إكرام آل بيت النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: ارقبوا محمَّداً ﷺ في

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم (٢٥١٣) واللفظ له.

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٠٢) من طريق ابن أبي الدنيا.

أهل بيته. رواه البخاري[1].

قال النووي: معنى «ارقبوا محمداً»: راعوه، واحترموه، وأكرموه[2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّيْ تَارِكٌ فِيْكُمْ خَلِيْفَتَيْنِ؛ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُوْدٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّىْ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[3].

وروينا في «طبقات ابن السُّبكي»، وغيرها عن الربيع بن سليمان رحمه الله تعالى قال: خرجنا مع الشَّافعي رضي الله تعالى عنه من مكة نريد مِنَىً، فلم ننزل وادياً، ولا نصعد شِعباً إلا وهو يقول:

[من الكامل]

يَا رَاكِبَاً قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنَىْ
وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ

سَحَراً إِذَا فَاضَ الْحَجِيْجُ إِلَىْ مِنَىْ
فَيْضاً كَمُلْتَطِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ

---

(١) رواه البخاري (٣٥٠٩).

(٢) انظر: «رياض الصالحين» للإمام النووي (ص: ٨١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨١) واللفظ له، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٩٢١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٦٣): رواه أحمد وإسناده جيد.

إِنْ كـــانَ رَفْــضاً حُـــبُّ آلِ مُحَمَّـــدٍ

فَلْيَـــشْهَدِ الـــثَّقَلانِ أَنِّـــي رَافِــضِيْ[1]

٤٧ ـ ومنها: محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وتقديم من له التقدم منهم، والرضى عنهم، ومعرفة شرف مقدارهم، وذكر مناقبهم، والكف عما شجر بينهم.

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩] الآية.

ومن كان هذا وصفهم وجب حبهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد العَمِّي، عن أبيه: أدركت أربعين شيخاً كلهم يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ جَمِيْعَ أَصْحَابِي، وَتَوَلَّاهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، جَعَلَهُ اللهُ مَعَهُمْ فِيْ الْجَنَّةِ»[2].

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عز وجل اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَىْ جَمِيْعِ الْعَالَمِيْنَ سِوَىْ النَّبِيِّيْنَ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً: أَبُوْ بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنهم؛ فَهَؤُلاءِ خَيْرُ أَصْحَابِي، وَأَصْحَابِي كُلُّهُمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى سائِرِ الأُمَمِ»[3].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١/ ٢٩٩).

(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٣٤٠)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١١٩).

(٣) ورواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٣)، وابن عساكر في =

وقال أيوب السختياني رحمه الله تعالى: من أحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد أقام الدين، ومن أحب عمر رضي الله تعالى عنه فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان رضي الله تعالى عنه فقد استنار بنور الله، ومن أحب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد بريء من النفاق[1].

وقال أبو زرعه الرازي رحمه الله تعالى: سمعت قَبيصة بن عقبة رحمه الله تعالى يقول: حب أصحاب النبي ﷺ كلهم سنة[2].

وقال مسروق رحمه الله تعالى: حب أبي بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما، ومعرفة فضلهما من السنة[3].

وقال عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي رحمه الله تعالى: قلت للحسن رحمه الله تعالى: حب أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما سنة؟ قال: لا، فريضة[4].

وقال الشعبي رحمه الله تعالى عنه: إن حساناً ؓ قال في النبي ﷺ، وفي أبي بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما: [من المنسرح]

= «تاريخ دمشق» (٢٩/ ١٩٨) وقال: حديث بطوله موضوع.

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٣٠).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٠).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٣٨).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٣٩).

ثَلاثَـــــةٌ بَـــــرَزُوْا بِفَـــــضْلِهِمُ

نَـــضَّرَهُمْ رَبُّهُـــمْ إِذَا نُـــشِرُوا

فَلَـــيْسَ مِـــنْ مُـــؤْمِنٍ لَـــهُ بَـــصَرٌ

يُنْكِـــرُ تَفْـــضِيْلَهُمْ إِذَا ذُكِـــرُوا

عَاشُـــوْا بِـــلا فُرْقَـــةٍ ثَلاثَـــتُهُمْ

وَاجْتَمَعُـوْا فِـيْ الْمَمَـاتِ إِذْ قُبِـرُوا[1]

خرج هذه الأخبار، والآثار اللالكائيُّ في «شرح السنة».

والوارد في الباب لا يكاد يحصر إلا أنَّا اقتصرنا على هذه النبذة لعزتها.

٤٨ ـ ومنها: توقير العلماء، والأكابر، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، والترحم على من مات منهم، والاستغفار لهم.

روى أبو داود، وعلَّقه مسلم في مقدمة «صحيحه»، وصححه الحاكم، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أَمَرَنا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ فِيْ مَنازِلِهِمْ[2].

وروى الإمام أحمد ـ بإسناد جيد ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٣٢٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٢) وقال: ميمون لم يدرك عائشة، وذكره مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٦)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٤٨).

تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيْرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيْرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»(١).

وروى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ، إِلاَّ قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ»(٢).

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن ثابت البُنَاني رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى عِمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا نُجيد! ألا ترى إلى أبي بَرزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه يلبس الصوف؟ قال: يرحم الله أبا برزة، وإننا مثل أبي برزة؟ قال: ثم انطلق إلى أبي برزة، فقال: يا أبا برزة! ألا ترى إلى عمران بن حصين يلبس الخَزَّ؟ قال: يرحم الله أبا نجيد، وإننا مثل أبي نجيد؟(٣)

قلت: فكذلك ينبغي حمل حال العلماء على الكمال خصوصاً من بعضهم لبعض، إلا أن يتظاهر أحدهم بمعصية، فيجب الإنكار عليه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٣). وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» وحسن إسناده.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٢٢) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد ابن بيان.

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٧٢): هو وشيخه ضعيفان، وقد رواه حزم بن أبي حزم القطعي عن الحسن البصري من قوله.

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٩٩).

٤٩ ـ ومنها: زيارة أهل الخير، ومجالستهم، وصحبتهم، ومحبتهم، وطلب زيارتهم، وطلب الدعاء منهم، وزيارة المواضع الفاضلة.

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في ذلك زيادة على هذا.

٥٠ ـ ومنها: الحب في الله، والحث عليه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والإمام مالك، والترمذي عنه، أو عن أبي سعيد، ومسلم عنهما، قالا رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِيْ عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّىْ يَعُوْدَ إِلَيْهِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِيْ اللهِ، فَاجْتَمَعَا عَلَىْ ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّيْ أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّىْ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٩)، والبخاري (١٣٥٧)، ومسلم (١٠٣١)، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.
ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٢)، والترمذي (٢٣٩١) عن أبي هريرة أو أبي سعيد.
ورواه مسلم (١٠٣١) عنهما بالشك بينهما لا بالعطف، كذا في المطبوع.

وفي «حلية أبي نعيم» عن الوليد بن عتبة قال: قلت لأبي صفوان بن عوانة: لأي شيء يحب الرجل أخاه؟ قال: لأنه رآه يحسن خدمة مولاه[1].

قلت: وهذا يدل على أن محبة الأخ في الله راجعة إلى محبة الله، ولذلك كان له بها هذا المقام العظيم، فلو تحاب اثنان في غير ذات الله، ولا إطاعته، لم يكونا من هذا القبيل، بل قد يكون تحابهما وبالاً، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧]؛ وهم أهل التحاب، والتخالل في الله تعالى.

وقال مسلم بن يَسَار رحمه الله تعالى: ما شيء من عمل إلا وأنا أخاف أن يكون دخله ما أفسده عليَّ؛ ليس الحبَّ في الله[2].

وقال: مرضت مَرْضَةً فلم يكن في عملي شيء أوثق في نفسي من قوم كنت أحبهم في الله. رواهما أبو نعيم[3].

* تَنْبِيهٌ:

محل الحب في الله أهل طاعته وخدمته، والعمل بشريعة النبي ﷺ وسنته، ومحل البغض في الله أهل معصيته ومخالفته، والإعراض عنه، ومخالفة الشرع والسنة.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٣).

وقد يكون البغض في الله على ترك ما هو الأولى، وفعل المكروه زجراً عنه، وحملاً للنفس على شدة البغض للمعاصي ببغض من يفعل المكروه.

روى ابن أبي شيبة عن يحيى البَكَّاء قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو يطوف بالكعبة، فلقيه رجل من مؤذني الكعبة، فقال: إني لأحبك في الله، فقال ابن عمر: إني لأبغضك في الله؛ إنك تحبس صوتك لأخذ الدَّراهم[1].

وروى عبد الرزاق عنه قال: رأيت ابن عمر يسعى بين الصَّفا والمروة ـ ومعه ناس ـ فجاءه رجل طويل اللحية، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إني لأحبك في الله، فقال: إني لأبغضك في الله، فغضب الرجل، وقال لأصحابه: ألا تعجبون؟ قلت: إني لأحبك في الله، فقال لي: إني لأبغضك في الله؟ فكأن أصحاب ابن عمر لاموه، وكلموه، فقال: إنه يبغي[2] في أذانه[3]، ويأخذ عليه أجراً[4].

وعن الضَّحَّاك بن قيس رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال له: إني

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٧٢).

(٢) في «أ»: «يتغنى».

(٣) يبغي في أذانه: أصل البغي: مجاوزة الحد، أراد التطريب فيه والتمديد من تجاوز الحد. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٤٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٥٢).

أحبك لله، قال له: ولكنني أبغضك لله، قال: لِمَ؟ قال: أنك تبغي[1] في أذانك، وتأخذ الأجر على كتاب الله[2].

* تَنْبِيهٌ:

نظم الإمام أبو شامة السبعة الذين في ظل العرش المذكورين في الحديث: أنا شيخ الإسلام الوالد إجازة ـ إن لم يكن سماعاً ـ: أنا جماعة من شيوخنا عن العلامة أبي الفضل ابن حجر العسقلاني الحافظ، عن أبي إسحاق التنوخي، عن أبي الهدى بن أبي شامة، عن أبيه، قال: أنشدنا أبي لنفسه: [من الطويل]

وَقَالَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَىْ إِنَّ سَبْعَةً ... يُظِلُّهُمُ اللهُ الْكَرِيْمُ بِظِلِّهِ
مُحِبٌّ عَفِيْفٌ نَاشِئٌ مُتَصَدِّقٌ ... وَبَاكٍ مُصَلٍّ وَالإِمَامُ بِعَدْلِهِ[3]

ولاشك أن هذه الخصال السبعة كلها من خصال الصالحين.

وكذلك وردت أحاديث، وآثار أخرى في خصال أخر يظل الله تعالى أصحابها في ظله يوم القيامة، وكلها ـ أيضاً ـ من خصال الصالحين.

وقد جمعها شيخ الإسلام ابن حجر الحافظ المشار إليه في «جزء»،

---

(١) في «أ»: «لأنك تتغنى».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٥٣).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ١٤٣).

وذَيَّلَ على بَيْتَيْ أبي شامة بأبيات أخرى.

ثم جاء الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى فزاد أشياء أخرى على ما زاد ابن حجر، وجمع في ذلك مؤلفاً، وذَيَّلَ على أبيات ابن حجر، وأوصلها إلى سبعين خصلة[1].

ثم استدرك شيخ الإسلام الوالد عليها أربع عشرة خصلة، وذَيَّلَ على أبياتها.

وجمعت في ذلك «جزءاً» لخصت فيه جميع الأحاديث، والآثار الواردة في ذلك، وقد أحببت أن أثبت هذه الأبيات مجردة عن الأدلة:

قال الحافظ ابن حجر، وأخبرنا به والدي عن مشايخه عنه:

[من الطويل]

وَزِدْ سَبْعَ أَظْلالٍ غَازٍ وَعَوْنُهُ
وَإِنْظَارُ ذِيْ عُسْرٍ وَتَخْفِيْفُ حِمْلِهِ
وَحَامِيْ غُزَاةٍ حِيْنَ وَلَّوْا وَعَوْنُ ذِيْ
غَرَامَةِ حَقٍّ مَعْ مُكَاتِبِ أَهْلِهِ[2]

---

(١) وسماه «تمهيد الفرش في الخصال المؤدية لظل العرش» جمع فيه الأحاديث الواردة في هذه الخصال بأسانيدها، ثم اختصره وسماه «بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال». انظر: «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١٠٠).

ثم قال ـ أيضاً ـ رحمه الله تعالى : [من الطويل]

وَزِدْ مَـعَ ضِـعْفِ سـبعتين[1] إِعَانَـةٌ
لأخْـرَقَ مَـعْ أَخْـذٍ بِحَـقٍّ وَبَذْلِـهِ[2]

وَكُـرْهُ وُضُـوْءٍ ثُـمَّ مَـشْيِ لِمَـسْجِدٍ
وَتَحْـسِيْنُ خُلْـقٍ ثُـمَّ مُطْعِـمُ فَـضْلِهِ

وَكافِـلُ ذِيْ يُـتْمٍ وأرملـةٌ وهـت
وَتـاجِرُ صِـدْقٍ فِـيْ الْمَقَـالِ وَفِعْلِـهِ[3]

وَحُـزْنٌ وَتَـصْبِيْرٌ وَنُـصْحٌ وَرَأْفَـةٌ
فَرَبِّعَ بِهَا السَّبْعَاتِ مِنْ فَـيْضِ فَـضْلِهِ[4]

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي ـ وأخبرنا به والدي شيخ الإسلام بالإجازة، والإذن عنه ـ: [من الطويل]

---

(١) في «أ»: «ستين».

(٢) في «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١١٣) جاء الشطر الأول من البيت هكذا:

وزد عـشرة بـضعف إعانـة

(٣) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١١٣).

(٤) في «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١١٦) جاء هذا البيت هكذا:

وكمل بحزن القلب والنصح للـذي ... يلي الأمر واقرن كل شكل بشكله

وَزِدْ مَعْ ضِعْف[1] مَنْ يُضيِّفُ وَعونه[2]

لأَيْتَامِهَا ثُمَّ الْقَرِيْبَ بِوَصْلِهِ

وَعِلْمٌ بِأَنَّ اللهَ مَعْهُ وَحُبُّهُ

لإِجْلالِهِ وَالْجُوْعَ مِنْ أَهْلِ حَبْلِهِ

وَزُهْدٌ وَتَفْرِيْجٌ وَغَضٌّ وَقُوَّةٌ

صَلاةٌ عَلَىْ الْهَادِيْ وَإِحْيَاءُ فِعْلِهِ

وَتَرْكُ الرِّبا[3] مَعْ رَشْوَةِ الْحُكْمِ وَالزِّنَا

وَطِفْلٌ وَرَاعِيْ الشَّمْسِ ذِكْراً وَظِلِّهِ

وَصَوْمٌ وَتَشْيِيْعٌ لِمَيْتٍ عِيَادَةٌ

فَسَبْعٌ بِهَا السَّبْعَاتُ يَا زَيْنَ أَهْلِهِ[4]

وقال أيضاً: [من الطويل]

وَزِدْ سَبْعِتين الْحُبُّ لِلَّهِ بَالِغَاً

وَتَطْهِيْرُ قَلْبِكَ وَالْغَضُوْبُ لأَجْلِهِ

---

(١) قال السيوطي في «تنوير الحوالك» (٢/ ٢٣٦): ثم تتبعت فجمعت سبعة أخرى، ثم سبعة أخرى، ولكن أحاديثها ضعيفة، ونظمت ذلك.

(٢) في «أ»: «وغربة».

(٣) في «أ»: «الرياء».

(٤) انظر: «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/ ٢٣٦).

وَحُـــبُّ عَلِــيٍّ ثُـــمَّ ذِكْـــرُ إِنَابَـــةٍ
وَأَمْـــرٌ وَنَهْـــيٌ وَالـــدُّعَاءُ لِـــسُبْلِهِ
وَمِـــنْ أَوَّلِ الأَنْعَـــامِ يَقْـــرَا ثَلاثَـــةً[1]
وَمُـسْتَغْفِرُ الأَسْـحَارِ يَـا طِيْـبَ فِعْلِـهِ
وَبِـــرٌّ وَتَـــرْكُ الـــنَّمِّ وَالْحَـسَدِ الَّـــذِيْ
يَـشِيْنُ الْفَتَـىْ فَاشْـكُرْ لِجَـامِعِ شَـمْلِهِ[2]

وقال أيضاً: [من الطويل]

وَزِدْ سَــبْعَةً قَاضِـــيْ حَـــوَائِجِ خَلْقِـــهِ
وَعَبْـــدٌ تَقِـــيٌّ وَالـــشَّهِيْدُ بِقَتْلِـــهِ
وَأَمٌّ وَتَعْلِـــــــيْمٌ أَذَانٌ وَهِجْـــــــرَةٌ
فتمَّتْ بها السَّبْعُوْنَ مِنْ فَـيْضِ فَـضْلِهِ[3]

وقال شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى: [من الطويل]

وَزِدْ سَــبْعَةً لِلنَّــاسِ مَـــنْ هُـــوَ حَـــاكِمٌ
كَحُكْـــمٍ لِـــنَفْسٍ وَالـــصَّدِيْقِ وَأَهْلِـــهِ

---

(١) في «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/ ٢٣٦): «غداته» بدل «ثلاثة».
(٢) انظر: «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/ ٢٣٦).
(٣) انظر: «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/ ٢٣٦).

كَـــذَاكَ اقْتِـــصَادٌ لِلإِمَـــامِ وَمَـــنْ بَكَـــىْ
إِذَا ذُكِـــرَ الـــرَّحْمَنُ خَوْفـــاً لأَجْلِـــهِ

قِـــــرَاءَةُ قُـــــرْآنٍ تِلاوَتُـــــهُ وَمَـــــنْ
يُعَلِّمُـــــهُ طِفْـــــلاً وَفَـــــازَ بِحَمْلِـــــهِ

عِمَـــارَةُ بَيْـــتِ اللهِ إِطْعَـــامُ جَـــائِعٍ
بتنبيـــهِ إِشْـــبَاعٍ لَـــهُ عِنْـــدَ أَكْلِـــهِ

ثم قال أيضاً: [من الطويل]

وَزِدْ سَـــبْعَةً مَـــنْ حَـــبَّ لِلَّـــهِ خَلْقَـــهُ
وَكَـــفُّ يَـــدٍ وَالطَّـــرْفِ عَـــنْ غَيْـــرِ حِلِّـــهِ

وَتَنْفِـــيْسُ كَـــرْبٍ عَـــنْ غَـــرِيْمٍ وَمُخْبِـــرٌ
لِـــشَخْصٍ بِحُـــبٍّ فِـــيْ الإِلَـــهِ بِقَوْلِـــهِ

وَمَـــنْ بَرِئَـــتْ أَيْـــدِيْهِمُ ثُـــمَّ تَـــاجِرٌ
أَمِـــيْنٌ فَهَـــذَا مَـــا ظَفِـــرْتُ بِنَقْلِـــهِ

وقلت: وتمت بـه الخصال الموجبـة للإظلال إحدى وتسعين خصلة، يورف الله بفضله على ذويها ظلَّه: [من الطويل]

وَزِدْ سَـــبْعَةً أَنْ تُـــؤْثِرَ الاختفـــاءَ والـــ
ـــخُمُوْلَ لإِصْـــلاحِ الْفُـــؤَادِ وَعَدْلِـــهِ

وَأَمْـرٌ بِمَعْـرُوْفٍ وَنَهْـيٌ عَـنِ الَّـذِيْ
هُـوَ الْمُنْكَـرُ الْمَـذْمُوْمُ صَـاحِبُ فِعْلِـهِ
وَأَنْ لا تُمَـارِيْ ثُـمَّ ذِكْـرُ اللِّـسَانِ وَالْـ
ـفُؤَادِ مَعَـاً فَـاظْفَرْ بِفَـائِضِ وَبْلِـهِ
وَمَـنْ يُعْـطَ حَقَّـاً يَقْبَـلِ الْحَـقَّ أَوْ يُـرَىْ
عَـنِ الْحَـقِّ مَـسْؤُوْلاً يَفُـوْزُ بِبَذْلِـهِ
عَـسَىْ اللهُ رَبُّ الْعَـالَمِيْنَ يُظِلُّـهُ
إِذَا هَـاجَ حَـرُّ الْجَمْـعِ يَوْمـاً بِأَهْلِـهِ

ثم قلت: وتمت بها ثمانية وتسعين خصلة غير حب ذوي الإظلال:

[من الطويل]

وَزِدْ سَـبْعَةً مِنْهَـا ثَـلاثٌ تُنَـالُ مِـنْ
أَعَـزِّ كِتَـابٍ مُطْلَقَـاً وَأَجَلِّـهِ
وَفَـاءٌ بِنَـذْرٍ ثُـمَّ خَـوْفُ قِيامَـةٍ
وَبَـذْلُ الطَّعَـامِ مَـعْ مَحَبَّـةِ أَكْلِـهِ
مَـرِيْضٌ وَمَـنْ لِلْعِلْـمِ وَالْحِلْـمِ جَـامِعٌ
وَحُبُّ النَّبِـيِّ الْمُـصْطَفَىْ قَـصْدَ فَـضْلِهِ
وَحُـبُّ ذَوِيْ الأَظْـلالِ مِنْهـا لأَنَّ مَـنْ
أَحَـبَّ مَـعَ الْمَحْبُـوْبِ فِـيْ دَوْحِ ظِلِّـهِ

بـذا عُـدَّ أسـماءُ الْمُهَـيْمِنِ وافَقَـتْ[1]
فَـدُوْنَكَ جَمْعـاً مَـا ظَفِـرْتَ بِمِثْلِـهِ

ثم وقفت على حديث أخرجه هنَّاد بن السَّري، وعبدالله بن المبارك؛ كلاهما في «الزهد»، والبيهقي في «البعث»، موقوفاً على أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم[2]؛ يعني: الأعمال الصالحة؛ فإن الأعمال السيئة لا ظل لها، ولا شك أن ظل الأعمال من ظل الله وفضله، وقد سبق قوله ﷺ: «يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»[3].

قلت مشيراً إلى ذلك: [من الطويل]

وَكُـلُّ فَتَـىً فِـيْ ظِـلِّ أَعْمَالِـهِ إِذَا
دَنَتْ شَمْسُ يَوْمِ الدِّيْنِ مِـنْ رُوْسِ أَهْلِـهِ
أَتَىْ عَنْ أَبِيْ مُوْسَىْ الْحَدِيْثُ كَمَـا رَوَىْ
أولـو الْفَـضْل مِثْـلُ الْبَيْهَقِـيِّ لأَصْـلِهِ

---

(١) أي: وافقت عدة الذين هم في ظل العرش عدة أسماء الله تعالى.
(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢٠٢)، وابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٦٧). قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٩٤): إسناده ـ أي البيهقي ـ قوي.
(٣) تقدم تخريجه.

فَيُرْجَـــىْ لِكُـــلِّ الْمُـــؤْمِنِيْنَ أَظِلَّـــةٌ
وَكُـــلُّ فَتَـــىً تُلْفِيْـــهِ فِـــيْ ظِـــلِّ فِعْلِـــهِ

٥١ ـ ومن خصال الصَّالحين: أنهم إذا تواخـوا في الله تعــالى تعارفوا بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وبلدانهم لأداء الحقوق، لا لاتباع العورات، ونحو ذلك؛ فإن الأول من أخلاق الصَّالحين، والثاني من أخلاق المنافقين.

قـــال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[الحجرات: ١٣].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوْا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُوْنَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِيْ الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِيْ الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِيْ الأَثَرِ»(١).

وروى ابن أبي شيبة، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي عن يزيد ابن نعـــامة(٢) الضبـي رضي الله تعـالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا آخَىْ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيْهِ، وَمِمَّنْ هُوَ؛ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (١٩٧٩) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٨٤).

(٢) في «أ»: «معاوية».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٤٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» =

٥٢ ـ ومنها: إخبار العبد من يحب بأنه يحبُّه:

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن المقدام بن معدي كرب ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»(١).

رواه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه بلفظ: «فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»(٢).

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ مِثْلَ الَّذِيْ يَجِدُ لَهُ»(٣).

وفي هذا الحديث دليل على ما هو مستقر في نفوس العارفين أن القلب يدل على القلب، فإن كان في قلبك محبة لأخيك، ففي قلبه مثلها لك.

= (٨/ ٣١٣)، والترمذي (٢٣٩٢) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ولا نعرف ليزيد بن نعامة سماعاً من النبي ﷺ، ويروى عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحو هذا ولا يصح إسناده.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، وأبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٢٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٥).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠/ ١٠).

قال أبو جعفر محمد علي الباقر رحمه الله تعالى: اعرف المودة في قلب من أحبك بما لَهُ في قلبك. رواه أبو نعيم[1].

٥٣ ـ ومنها: البغض في الله، والعداوة في الله؛ أي: لأجله:

روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، والخرائطي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيْمَانِ الْحُبُّ فِيْ اللهِ وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ»[2].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولفظه: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيْمَانِ الْمُوَالاةُ فِيْ اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِيْ اللهِ، وَالْحُبُّ فِيْ اللهِ، وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ»[3].

وفي «سنن أبي داود» بإسناد حسن، عن أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَىٰ لِلَّهِ،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٧)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ١٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٦) عن البراء بن عازب لكنه قال: «أوسط» بدل «أوثق»، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٨٦) عن ابن مسعود. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٦٧): رواه أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، والخرائطي من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٣٧).

وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيْمَانَ»[1].

وروى أبو نعيم، والخطيب عن ابن مسعود ﵁، عن النبي ﷺ قال: «أَوْحَىْ اللهُ إِلَىْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَنْ قُلْ لِفُلانٍ الْعَابِدِ: أَمَّا زُهْدُكَ فِيْ الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ رَاحَةَ نَفْسِكَ، وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِيْ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيْمَا لِيْ عَلَيْكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ! وَمَاذَا لَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: هَلْ عَادَيْتَ فِيَّ عَدُوَّاً؟ أَوْ هَلْ وَالَيْتَ فِيَّ وَلِيّاً؟»[2].

وروى الإمامان ابن المبارك، وأحمد؛ كلاهما في «الزهد» عن أبي غالب، قال في وصية عيسى عليه السَّلام: يا معشر الحواريين! تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالمقت لهم، والتمسوا رضاه بسخطهم، قالوا: يا نبيَّ الله! فمن نجالس؟ قال: جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقه، ومن يذكركم بالله رؤيته، ويزهدكم في دنياكم عمله[3].

وفي «الإحياء»: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السَّلام: يا ابن عمران! كن يقظاناً، وارتد لنفسك إخواناً، وكل خِدْنٍ لا يوافقك

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٠٢).

(٣) رواه الإمام ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٢١)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٤).

على مسرتي لا تصحبه؛ فإنه لك عدو(١).

وقال داود عليه السلام مثله، إلا أنه قال: وارتد لنفسك أخداناً، وكل خِدْنٍ لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه؛ فإنه لك عدو، ويقسي قلبك، ويباعدك مني(٢).

٥٤ ـ ومنها: إجراء أحكام الناس على الظاهر، وكِلَةُ سرائرهم إلى الله تعالى:

روى البخاري عن عتبة بن عبدالله بن مسعود قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أَمِنَّاهُ، وقرَّبناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأْمَنْهُ، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة(٣).

٥٥ ـ ومنها: الخوف، والرجاء، واعتدالهما، أو ترجيح الخوف إلا عند الموت، فيرجح الرَّجاء.

قال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٠)، وكذا رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٥)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٥٦).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٠)، وكذا ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٣٦١).

(٣) رواه البخاري (٢٤٩٨).

عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء: ٥٧].

وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىْ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ بِمِثْلِ ذَلِكَ»[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوْبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، والبيهقي في «الشعب» عن ثابت البناني رحمه الله تعالى، [عن مطرف][3] قال: لو وَزَنَ خوف المؤمن رجاءه، ما رجَحَ أحدُهما على صاحبه[4].

وعن شعبة قال: لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه، ما زاد خوفه على رجائه، ولا رجاؤه على خوفه[5].

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٥).

(٣) زيادة من «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٢٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٦).

وروى البيهقي عن أبي علي الروذباري رحمه الله تعالى قال: الخوف والرجاء كجناحي الطائر؛ إذا استويا استوى الطائر، وتم طيرانه، وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا جميعاً صار الطائر في حد الموت، لذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت، فالرجاء أفضل من الخوف[2].

وهذا اختاره الغزالي في «الإحياء»[3].

على أنهم مجمعون على ترجيح جانب الخوف في حق المتضمخ بالآثام؛ وقد قيل: [من مجزوء الكامل]

الْخَوْفُ أَوْلَىٰ بِالْمُسِيْـ ... ـءِ إِذَا تَأَلَّهَ وَالْحَزَنْ
وَالأَمْنُ يَصْلُحُ لِلتَّقِيْـ ... ـيِ وَلِلنَّقِيِّ مِنَ الدَّرَنْ[4]

*** لَطِيْفَةٌ:**

روى أبو نعيم عن أبي حمزة الثمالي: أنه أتى علي بن الحسين

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٧).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٨٩).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٥٧).

(٤) البيتان لعبد العزيز بن عبدالله، رواهما عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٧٩).

رحمهم الله تعالى فانتهى به إلى حائط له، فقال له: يا أبا حمزة! ترى هذا الحائط؟ قلت: بلى يا بن رسول الله، قال: فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين، فإذا رجل حسن الوجه، وحسن الثياب ينظر في وجهي، ثم قال لي: يا علي! يا بن الحسين! ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ أَعَلَى الدنيا؟ هو رزقٌ حاضرٌ يأكل منه البَرُّ والفاجر، فقلت: ما عليها أحزن، هو كما تقول، فقال: أَعَلَى الآخرة؟ هو وعدٌ صادقٌ تَحَكَّم فيه ملك قاهر، قلت: ما على هذا أحزن لأنه كما تقول، قال: وما حزنك يا علي يا بن الحسين؟ قلت: في الخوف من فتنة ابن الزبير، فقال لي: يا علي! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، قال: فخاف الله فلم يَكْفِهِ؟ قلت: لا، ثم غاب عني، فقيل لي: يا علي! هذا الخضر عليه السلام[1].

وقوله: (فخاف الله) تقديره: فهل رأيت أحداً خاف الله فلم يَكْفِهِ ما خاف منه؟

ومن خاف من عذاب الله أو من غيره خشيةَ أن يسلطه الله عليه، كفاه الله تعالى ما خاف منه.

٥٦ ـ ومنها: البكاء من خشية الله تعالى، أو شوقاً إلى لقائه، وخصوصاً عند تلاوة القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٤). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ١١٤): لفظ (الخضر) مزاد فيه من بعض الرواة.

قال النـووي في «الأذكار» في آداب التلاوة: ويستحب البكاء؛ يعني: عند تـلاوة القـرآن، والتبـاكي لمن لا يقدر على البكـاء؛ فإن البكاء عند القراءة صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، ثـم تلا الآية[1].

وروى الترمذي وحسنه، وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَىْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّىْ يَعُوْدَ اللَّبَنُ إِلَىْ الضَّرْعِ، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِيْ مِنْخَرَيْ عَبْدٍ أَبَداً»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن صالح المُرِّي رحمه الله تعالى قال: بلغني عن كعب رحمه الله تعالى أنـه كان يقول: من بكى خوفاً من الله ﷻ من ذنب غفر له، ومن بكى اشتياقاً إلى الله تعالى أباحه النظر إليه ـ تبارك اسمه ـ يراه متى يشاء[3].

وعن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى: أنه كان يقول: البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الحزن، والبكاء من الوجع، [والبكاء من الفزع]، والبكاء من الفرح، والبكاء من الشكر، والبكاء من الرياء،

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٨٧).

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٣) وقال: حسن صحيح، وكذا رواه النسائي (٣١٠٨)، وروى ابن ماجه (٢٧٧٤) الشطر الثاني من الحديث.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٠)، وذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٩٣).

والبكـاء من خشـية الله تعـالى؛ فذلك الـذي تطفئ الدمعة منه أمثال البحور من النار(١).

* تَنْبِيْهٌ:

قـال مكحـول رحمـه الله تعـالى: أرق النـاس قلوبـاً، أقلُّهـم ذنوباً(٢).

وقال أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى: من أكثر لله الصدق، نَدِيَتْ عيناه، وأجابته إذا دعاهما(٣).

وقال كعب رحمه الله تعالى: إن العبد لا يبكي حتى يبعث الله ﷻ إليه ملكاً يمسح كَبِـدَه بجناحه، فإذا مسح كَبِـدَه بكى(٤).

وقال فضيل رحمه الله تعالى: والله ما فاضت عينا عبد قط حتى يضع الله تعالى يده على قلبـه، وما بكت عينـاه إلا من فضل رحمة الله لـه(٥).

روى هذه الآثار ابن أبي الدُّنيا في «البكاء»، وغيره.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٧٣) لكن من قول إسماعيل بن عياش. ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكـاء» (٦٦)، ورواه الإمام أحمـد في «الزهد» (ص: ٣٨٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٧١).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٦٥).

(٥) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٩).

٥٧ ـ **ومنها: الحزن على ما فات من معصية، أو تقصير، أو فَزَعاً من عذاب الله، وفَرَقاً من أهوال يوم القيامة:**

روى الترمذي في «الشمائل»، وابن أبي الدُّنيا في كتاب «الحزن» عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست لـه راحة، طويل السُّكوت، لا يتكلم في غير حاجة[١].

وروى ابن أبي الدُّنيا، والطَّبراني في «الكبير»، والحاكم عن أبي الدَّرداء، والدَّيلمي عن معاذ رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِيْنٍ»[٢].

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١٨٤)، وابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٧).

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٧): حديث لا يثبت، وفي إسناده من لا يعرف، وكيف يكون متواصل الأحزان! وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فمن أين يأتيه الحزن! بل كان دائم البِشر، ضحوك السن، كما في صفته: الضحوك القتال صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٨)، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٠) إلى الطبراني والبزار وحسن إسناده، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٤) عن أبي الدَّرداء، والدَّيلمي في «مسند الفردوس» (٥٧٢) عن أبي الدرداء أيضاً. =

وقال سعيد بن جبير[1] رحمه الله تعالى: الحزن في الدُّنيا تلقيح العمل الصَّالح[2].

وقال أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى: إن لكل شيء نتاجاً، ونتاج العمل الصَّالح الحزن[3].

وقال الحسن: والله إن أصبح مؤمن إلا حزيناً، وكيف لا يحزن المؤمن وقد جاء عن الله ﷻ أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها[4].

وقال مكحول رحمه الله تعالى: أوحى الله إلى موسى عليه السَّلام: اغسل قلبك، قال: يا رب! بأي شيء أغسله؟ قال: بالهم والحزن[5].

وقال صالح أبو شعيب رحمه الله تعالى: أوحى الله تعالى إلى

= قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٦٠٨): رواه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٧): لا يعرف إسناده، ولا من رواه، ولا تعلم صحته، وعلى تقدير صحته: فالحزن مصيبة من المصائب، التي يبتلي الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه.

(١) كذا في «أ» و«ت»، وفي «الهم والحزن» لابن أبي الدنيا (ص: ٩٦) عن الربيع بن سليمان بن جبير.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٧).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٨).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤)، لكنه قال: بالغم والهم.

عيسى بن مريم عليهما السَّلام: اكْحُلْ عينك بمأمول الحزن إذا ضحك البطَّالون[1].

روى هذه الآثار ابن أبي الدُّنيا.

وأما استعاذة النبي ﷺ من الهم والحزن في الأخبار الصحيحة: فالمراد بهما الهم والحزن الشاغلان عن الله تعالى، وعن العمل الصالح[2].

أي: الهم بالدنيا والحزن على فواتها، كما قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد: ٢٣].

أو الحزن على ما لم يجر به القضاء مما يريده العبد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[النحل: ١٢٧].

* تَنْبِيْهٌ:

الحزن تارة يوجب البكاء، وتارة يوجب الكَمَد، فتحسر الدمعة، والأول أروح للقلب، ومن ثَمَّ اختار بعض العارفين تفضيل الثاني.

وأفضل الحزن ما كان داعياً إلى العمل الصالح.

قيل للحسن: إن عندنا قوماً يبكون ليسوا بذاك، ونرى قوماً أفضل منهم لا يبكون؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤).

(٢) قال الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٧): لا ريب أنه ـ أي الحزن ـ محنة وبلاء من الله، بمنزلة المرض والهم والغم، وأما أنه من منازل الطريق، فلا، والله سبحانه أعلم.

قال الحسن: أولئك تبكي قلوبهم[1].

وقيل لعبدالله بن شميط رحمه الله تعالى: كان أبوك يبكي؟ قال: كان عمله يبكي[2].

وقال معاوية بن قُرَّة رحمه الله تعالى: بكاء العمل أحب إلي من بكاء العين[3]. رواهما ابن أبي الدنيا.

وأياً ما كان الحزن مع بكاء أو كمد، فإنه من الأعمال الصالحة المكفرة للذنوب.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن العبد ليذنب الذنب، فإذا رآه الله قد أحزنه ذلك، غفر له من غير أن يحدث صلاة ولا صدقة. رواه ابن أبي الدنيا، وغيره[4].

وروى هو، والإمام أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوْبُ الْعَبْدِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يُكَفِّرُهَا، ابْتَلاهُ اللهُ بِالْحُزْنِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ»[5].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٢).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨١).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٨٥): وفيه صالح المري، وهو رجل صالح، لكنه مضعف في الحديث.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٩)، والإمام أحمد في =

وهذا الحزن شامل للحزن على فقد الولد، ونحوه أيضاً.

٥٨ ـ ومنها: حسن الظن بالله تعالى لا سيما عند الموت.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَال اللهُ تَعَالَىْ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِيْ؛ إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ»(١).

وأخرجه الطبراني، والحاكم وصححه، من حديث واثلة رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِيْ فَلْيَظُنَّ بِيْ ما شاءَ»(٢).

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سـمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يَمُوْتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ»(٣).

= «المسند» (٦/ ١٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩١): رواه أحمد وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٤٦٤): صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه، فترك.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٠٣)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣١٨): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٤)، ومسلم (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧).

وروى الدينوري في «المجالسة» عن شعيب بن سليمان رحمه الله تعالى قال: أتى ذو القرنين مغيب الشمس، فرأى ملكاً من الملائكة كأنه يترجح في أرجوحة من خوف الله تعالى، فهاله ذلك، فقال له: علمني علماً لعلي أزداد إيماناً، فقال: إنك لا تطيق ذلك، قال: لعل الله أن يطوقني، فقال له الملك: لا تهتم لغَدٍ، واعمل في اليوم لغد، وإذا آتاك الله من الدنيا سلطاناً فلا تفرح به، وإذا صرفه عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله، وضع يدك على قلبك، فما أحببت أن تصنع لنفسك فاصنعه بأخيك، ولا تغضب؛ فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرُدَّ الغضبَ بالكظم، وسَكِّنْه بالتُّؤُدَة، وإياك والعجلة؛ فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً[1].

٥٩ ـ ومنها: الورع، وترك الشبهات:

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، وهو والنسائي عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «الكبير» عن وابصة رضي الله تعالى عنه، والدارقطني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَىْ مَا لا يَرِيْبُكَ»[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١١٢) عن أنس رضي الله عنه، و(١/ ٢٠٠)، والنسائي (٥٧١١)، وكذا الترمذي (٢٥١٨) وقال: حسن صحيح، عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٤٧) عن وابصة رضي الله تعالى عنه.

زاد أبو نعيم، والخطيب في حديث ابن عمر: «فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعاً تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيْتُ الْقَلْبَ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا، وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: أَوْحَىْ اللهُ ﷻ إِلَىْ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَلْقَانِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ نَاقَشْتُهُ بِالْحِسَابِ، وَفَتَّشْتُهُ عَمَّا كانَ فِيْ يَدَيْهِ إِلاَّ الْوَرِعِيْنَ؛ فَإِنِّيْ أَسْتَحْيِيْهِمْ، وَأُجِلُّهُمْ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ[3].

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٥٢)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٢٠). قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨١٤): منكر جداً، وابن أبي رومان ضعفوه.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٤٠) مختصراً، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٥٠)، وكذا رواه ابن ماجه (٤٢١٧)، ورواه الترمذي (٢٣٠٥) بلفظ آخر، وقال: غريب.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١١١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٦): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه جويبر بن سعيد، وهو ضعيف.

وروى الأصبهاني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «[ثلاث] مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلا تَعْبَؤُوْا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ؛ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِيْ اللهِ، أَوْ حِلْمٌ يَكُفُّ بِهِ السَّفِيْهَ، أَوْ خُلُقٌ يَعِيْشُ بِهِ فِيْ النَّاسِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لا تنظروا إلى صلاة عبد ولا صيامه، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وإلى ورعه إذا أشفى، وإلى أمانته إذا اؤْتُمِنَ[2].

وقال: حدثني محمد بن الحسين، قال: أنشدني إبراهيم بن داود بن شداد رحمه الله تعالى قوله: [من المنسرح]

الْمَــرْءُ يَــزْرِيْ بِلُبِّــهِ طَمَعُــهْ
وَالــدَّهْرُ قِــرْنٌ كَثِيْــرَةٌ خُدَعُــهْ
وَالنَّــاسُ إِخْــوَانُ كُــلِّ ذِيْ نَــشَبٍ[3]
قَــدْ خــابَ عَبْــدٌ إِلَــيْهِمُ ضَــرَعُهْ
وَالْعَبْــدُ إِنْ كــانَ عَــاقِلاً وَرِعــاً
أَخْرَسَــهُ عَــنْ عُيُــوْبِهِمْ وَرَعُــهْ

(١) وكذا رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٩) إلا أنه قال: «تقوى» بدل «ورع»، ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٧٠٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١٢١).

(٣) في «الورع» لابن أبي الدنيا (ص: ١٢١): «نشد» بدل «نشب».

كَمَـــا الْمَــرِيْضُ الــسَّقِيْمُ يَــشْغَلُهُ

عَــنْ وَجَــعِ النَّــاسِ كُلِّهِــمْ وَجَعُــهْ[1]

٦٠ ـ ومنها: الزهد في الدنيا، وإيثار التقلل منها، وإيثار الفقر على الغنى، وحمل النفس على الرضى بما قسم لها، والنظر إلى من هو دونها في الدنيا، وإلى من هو فوقها في عمل الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال وهب بن مُنبِّه رحمه الله تعالى: مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين؛ إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. رواه أبو نعيم في «الحلية»[2].

وروى ابن ماجه، وحسنه النووي[3]، عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: دُلَّني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال: «ازْهَدْ فِيْ الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيْمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ١٢٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥١).

(٣) انظر: «رياض الصالحين» للإمام النووي (ص: ١٠٧).

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠٢)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٣).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «انْظُرُوْا إِلَىْ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوْا إِلَىْ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(١).

ولفظ البخاري: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىْ مَنْ فَضُلَ عَلَيْهِ فِيْ الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىْ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»(٢).

وروى أبو نعيم، والخطيب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَظَرَ فِيْ الدُّنْيَا إِلَىْ مَنْ فَوْقَهُ، وَفِيْ الدِّيْنِ إِلَىْ مَنْ تَحْتَهُ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ صابِراً وَلا شَاكِراً، وَمَنْ نَظَرَ فِيْ الدُّنْيَا إِلَىْ مَنْ تَحْتَهُ، وَفِيْ الدِّيْنِ إِلَىْ مَنْ فَوْقَهُ، كَتَبَهُ اللهُ صابِراً شاكِراً»(٣).

والمعنى: أنه إذا نظر إلى من تحته ـ أي: دونه ـ في الدنيا عظمت نعمة الله عليه، فيشكرها، بخلاف ما لو نظر إلى من فوقه، فقد يستقل ما أنعم الله عليه، فيهلَك بكفران النعمة التي لله عنده، وإذا نظر إلى من فوقه في الدين يتحرى الازدياد من الخير، وذلك يحتاج إلى صبر، كما

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٦١٢٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٦). وروى قريباً منه الترمذي (٢٥١٢) عن عبدالله بن عمر، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٣٢): رواه الترمذي، وقال: غريب، وفيه المثنى بن الصباح ضعيف.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢]؛ فالعمل الصالح يحتاج إلى صبر عليه.

بخلاف ما لو نظر إلى من هو دونه في الدين، فيرى لنفسه مزية عليه، فيهلك بالعُجْب والكِبر وغيرهما.

وروى الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي في «الشعب» عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن جده، لا أعلمه إلا رفعه، قال: «صَلاحُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِيْنِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ»[1].

وسبق هذا الحديث برواية أخرى في اليقين، وهذه الرواية أتم؛ ألا ترى أنه عمم فيها أن صلاح الأمة بالزهد واليقين من غير تقييد بأول الأمة؟[2]

وروى أبو نعيم عن الربيع قال: قال الشافعي رضي الله عنه: عليك بالزهد؛ فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناهد[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٥): رواه الطبراني، وفيه عصمة بن المتوكل، وقد ضعفه غير واحد، ووثقه ابن حبان.

(٢) ففي رواية الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠): «صلاح أول هذه الأمة بالزهد...».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٣٠).

وقلت: [من السريع]

عَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الرَّضِـيْ   قَـوْلٌ لأَهْـلِ الزُّهْـدِ كالـشَّاهِدِ
ازْهَــدْ فَــإِنَّ الزُّهْــدَ لِلزَّاهِــدِ   أَبْهَىْ مِنَ الْحَلْـيِ عَلَـىْ النَّاهِـدِ

وروى ابن أبي الدنيا في «المداراة» عن أيوب السختياني رحمه الله تعالى قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي النَّاس، والتجاوز عما يكون منهم[1].

وروى الأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حُبَّ الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا[2].

* تَنْبِيْهٌ:

نقل القشيري عن الإمام أحمد قال: الزهد على ثلاثة أوجه:

ـ ترك الحرام: وهو زهد العامة.

ـ وترك الفضول من الحلال: وهو زهد الخاصة.

ـ وترك ما يشغل عن الله تعالى: وهو زهد العارفين[3]، انتهى.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٤٦).

(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٥٥)، وكذا البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ١٣٣).

(٣) ذكره القشيري في «رسالته» (ص: ١٥٥).

ولقد أحسن من قال: [من الطويل]

وَمَـا الزُّهْـدُ إلاَّ فِـيْ انْقِطَـاعِ الْخَلائِـقِ
وَمَـا الْوَجْـدُ إلاَّ فِـيْ وُجُـوْدِ الْحَقَـائِقِ
وَمَـا الْحُـبُّ إلاَّ حُـبُّ مَـنْ كـانَ قَلْبُـهُ
عَنِ الْخَلْـقِ مَـشْغُوْلاً بِـرَبِّ الْخَلائِـقِ[1]

٦١ ـ ومنها: إيثار الجوع، وخشونة العيش، والاقتصار على اليسير من المأكول، والمشروب، والملبوس، وغيرها من حظوظ النفس:

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١] إلى آخر السورة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض[2]. رواه الشيخان.

ولهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وإزاراً غليظاً[3]، قالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين[4].

---

(١) ذكر البيتين ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٢٥٠) ونسبها لأبي العباس البلخي.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٩٧٠) واللفظ له.

(٣) في «م» و«أ»: «غليظين».

(٤) رواه البخاري (٥٤٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٨٠).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً»[1].

قال النووي: قال أهل الغريب: معنى قوتاً: ما يسد الرَّمَق[2].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: من ضبط بطنه، ضبط الأخلاق الصالحة.

وعن عون بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: كان ناس من بني إسرائيل يتعبدون بمكان، حتى إذا كان فِطْرُهم، قام عليهم قائم، فقال: لا تأكلوا كثيراً؛ فإنكم إذا أكلتم كثيراً نمتم كثيراً، وإذا نمتم كثيراً صليتم قليلاً[3].

وروى أبو نعيم عن شميط بن عجلان رحمه الله تعالى قال: يا ابن آدم! إنما الدنيا غداء وعشاء، فإن أخرت غداءك إلى عشاءك، أمسى ديوانك في ديوان الصالحين[4].

٦٢ ـ ومنها: القناعة، والاقتصاد في المعيشة، والنفقة، والتعفف عن السؤال من غير ضرورة:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان: ٦٧].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٥)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له.

(٢) انظر: «رياض الصالحين» للإمام النووي (ص: ١١٢).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٥٠٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٨).

وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣].

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»(١).

وروى هو، والبخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ»(٢)؛ والعَرَض ـ بفتح المهملتين ـ: المال.

وروى أبو داود عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَتَكَفَّلُ لِيْ أَنْ لا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»، قال: فقلت: أنا.

فكان ثوبان ﷺ لا يسأل أحداً شيئاً(٣).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن محارب بن دِثَار رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِيْ مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَهُ، أَوْ مُصَلاَّهُ مِنَ الْعُرْيِ، يَحْجُزُهُ إِيْمَانُهُ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ؛ مِنْهُمْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ، وَفُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ الْعِجْلِيُّ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٢) رواه مسلم (١٠٥١)، والبخاري (٦٠٨١).

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣).

وروى أبو نعيم عن مِسْعر رحمه الله تعالى: أنه قال: [من البسيط]

اقْبَـلْ مِـنَ الـدَّهْرِ يَوْمـاً مَـا أَتَـاكَ بِـهِ
وَاصْبِـرْ لِرَيْـبِ زَمَـانِ السُّوءِ إنْ عَثَـرا
مَا لامْرِئٍ فَوْقَ مـا يَجْـرِيْ الْقَـضَاءُ بِـهِ
فَالْهَمُّ فَـضْلٌ وَخَيْـرُ النَّـاسِ مَـنْ صَـبَرا
يَـا رُبَّ سَـاعٍ لَـهُ فِـيْ سَـعْيِهِ أَمَـلٌ
يَفْنَـىْ وَلَـمْ يَقْـضِ مِـنْ تَأْمِيْلِـهِ وَطَـرا
مَـا ذَاقَ طَعْـمَ الْغِنَـىْ مَـنْ لا قُنُـوْعَ لَـهُ
وَلَـنْ تَـرَىْ قَنِعـاً مـا عِـشْتَ مُفْتَقِـرا
وَالْعُـرْفُ مَـنْ يَأْتِـهِ يَحْمَـدْ عَوَاقِبَـهُ
مـا ضَـاعَ عُـرْفٌ وَإِنْ أَوْلَيْتَـهُ حَجَـرا[1]

وما أحسن قولَ أبي العتاهية من أبيات: [من البسيط]

وَإِذَا قَنِعْـتَ فَأَنْـتَ أَيْـسَرُ مَـنْ مَـشَىْ
إِنَّ الْفَقِيْـرَ هُـوَ الَّـذِيْ لا يَقْنَـعُ
وَإِذَا طَلَبْـتَ فَـلا إِلَـىْ مُتَـضَايِقٍ
مـا ضَـاقَ عَنْـهُ فَـرِزْقُ رَبِّـكَ أَوْسَـعُ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٢٠) مع بعض الاختلاف.

وقال أيضاً: [مجزوء الرمل]

أَنْـــتَ مـــا اسْـــتَغْنَيْتَ عَـــنْ صاحِبِـــكَ الـــدَّهْرَ أَخُـــوْهُ
فَـــإِذَا احْتَجْـــتَ إِلَيْـــهِ سَـــاعَةً مَجَّـــكَ فُـــوْهُ[1]

وروى أبو نعيم عن محمد بن الأوزاعي رحمهما الله تعالى قال: قال لي أبي: لو قبلنا من الناس كل ما يعطونا لَهُنَّا عليهم[2].

* تَنْبِيهٌ:

سيأتي أن الاقتصاد من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

وفي حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقْتِصَادُ نِصْفُ الْعَيْشِ». رواه الخطيب[3].

وأخرجه الديلمي، لكن قال: «التَّدْبِيْرُ نِصْفُ الْعَيْشِ»[4].

وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال:

---

(1) انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (ص: ٢٥٠)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ٣٠٨).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٣).

(3) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١١).

(4) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢٠) باللفظ السابق نفسه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٩٧): رواه الديلمي من حديث أنس، وفيه خلاد بن عيسى، جهَّله العقيلي، ووثقه ابن معين.

قال رسول الله ﷺ: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِيْ مَعِيْشَتِهِ»[1].

قلت: ومما يدخل في التدبير والرفق: ادخار قوت العيال سنة، كما فعله النبي ﷺ[2]، بخلاف شراء الطعام عند الحاجة إليه من السوق؛ فإن فيه تنغيصاً للعيش، وربما ارتفع السعر، وربما لا يكون الثمن حاضراً.

ومن هنا قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني! أتدري ما جهد البلاء؟ قال: لا، قال: شراء الخبز من السوق، والانتقال من منزل إلى منزل. رواه الخطيب عن يحيى بن [أبي] كثير[3].

٦٣ ـ ومنها: قبول ما يفتح الله به من غير سؤال، ولا تطلُّع نفس:

روى الشيخان: أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلا سَائِلٍ، فَخُذْهُ، وَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[4].

قال سالم بن عبدالله بن عمر: فكان عبدالله لا يسأل أحداً[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٤): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط.

(٢) روى ذلك البخاري (٥٠٤٢)، ومسلم (١٧٥٧)، ولفظ مسلم: «فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح».

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٢٩).

(٤) رواه البخاري (٦٧٤٤)، ومسلم (١٠٤٥).

(٥) رواه ومسلم (١٠٤٥). وتتمته: «ولا يرد شيئاً أعطيه».

قالت شيوخ الصوفية رحمهم الله تعالى: الفقير لا يسأل، ولا يرد، ولا يدخر[1].

قلت: لكن يعرف مِمَّن يقبل، وكيف يقبل؛ فإن كان المعطي ظالماً، فالأولى أن لا يقبل من ماله زجراً له، وإذا عرف صاحب المال المدفوع إليه فالأولى أن يقبله، ويرده إلى مالكه وإذا لم يعرف مالكه، وقبله؛ فإن كان له ضرورة سدها، وصرف الباقي في مصرف الأموال الضائعة، وإذا قبل فلا يقبل بذُلّ، ولا شَرَه نفس، ويدعو للمعطي بما لا حرج فيه، ويكفيه أن يقول له: جزاك الله خيراً، أو: تقبل الله منك، وإذا قدر على المكافأة كافأه، ولا يخفى الورع في ذلك كله على بصير.

* تَتِمَّةٌ:

روى ابن جهضم عن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى قال: إياكم وهدايا الفجار والسفهاء؛ فإنكم إذا قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم[2].

٦٤ ـ ومنها: الأكل من عمل اليد، والكسب الطيب:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة: ١٠].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢٤٣).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٢٦).

رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ»(١).

وروى البخاري عن المقدام بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(٢).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: قال داود عليه السلام: إلهي! أي رزق أطيب؟ قال: ثمرة يدك يا داود(٣).

وروى أبو نعيم عن أبي بكر الجوهري رحمه الله تعالى قال: وجد في صخرة منقورة مكتوباً عليها: كل بيمينك من عرق جبينك، فإن ضَعُفَ يقينك فاسأل المولى يعينك(٤).

وما أحسن ما أنشده ابن أبي الدنيا في كتاب «القناعة» لبعضهم:

[من الوافر]

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الْجِبالِ
أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجالِ

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٤٢).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٧٨).

يَقُــوْلُ النَّــاسُ كَــسْبُكَ فِيْــهِ عــارٌ
فَقُلْــتُ: الْعَــارُ فِــيْ ذُلِّ الــسُّؤَالِ(١)

* تَنْبِـيْهٌ:

إنما يكون المحترف والمكتسب من الصالحين إذا راعى في كسبه واحترافه ما يجب عليه مراعاته من علم البيع والشراء، وسائر المعاملات التي يحتاج إليها، والحذر من العقود الفاسدة، والمنهي عنها، ومن الغش والخديعة، والأيمان الفاجرة، وكثرة الحلف، وكثرة الكلام فيما لا يعنيه مما لا يزيد في الرزق ولا ينقص، كمدح السلعة، ومع مراعاة النصيحة لمن يعامله، والمحافظة على الآداب الشرعية في ذلك كله.

وقد روى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى في قولـه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[النور: ٣٧] قـال: والله لقـد كانوا يتبايعون في الأسواق، فإذا حضر حق من حقوق الله ﷻ رفعوا ما في أيديهم، وبدؤوا بحق الله تعالى حتى يقضوه، ثم رجعوا إلى تجارتهم.

وروى أبو بكر بن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: كانوا رجالاً يبتغون من فضل الله يشترون ويبيعون، فإذا سمعوا النداء ألقوا ما في أيديهم، وقاموا إلى المسجد(٢).

---

(١) انظر: «القناعة» لابن أبي دنيا (ص: ٣٤).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٧) إلى ابن مردويه.

وروى عبد الرزاق، وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم، ثم دخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1].

وروى الطبراني، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنه رأى ناساً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا أمتعتهم، وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين قال الله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن قتادة قال: قال سليمان النبي عليه السلام: عجباً للتاجر كيف يخلص؟ يحلف بالنهار، وينام في الليل[3].

٦٥ ـ ومنها: الكرم، والجود، والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٦١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٠٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٧٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٠).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قالَ اللهُ تَعالَىْ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، والبيهقي، وآخرون عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَرِيْمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[2].

ولقد أحسن القائل: [من الطويل]

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِيْ النَّاسِ بُخْلُهُ
وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيْعاً سَخَاؤُهُ

تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِيْ
أَرَىْ كُلَّ عَيْبٍ وَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ[3]

وروى الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في «تاريخه» عن محمد بن بشر المصيصي قال: نا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجَافَوْا عَنْ زَلَّةِ السَّخِيِّ؛ فَإِنَّهُ إِذَا عَثَرَ أَخَذَ الرَّحْمَنُ بِيَدِهِ».

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٧)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠١٢).

(٣) البيتان ليحيى بن أكثم، كما في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان (ص: ٢٣٧).

ثم أنشد محمد بن بشر لنفسه: [من الخفيف]

كُــنْ سَــخِيّاً وَلا تُبَــالِ ابْــنَ مَــنْ كُنْــ
ــتَ فَمَــا النَّــاسُ غَيْــرُ أَهْــلِ الــسَّخَاءِ
لَــنْ يَنَــالَ الْبَخِيْــلُ مَجْــداً وَلَــوْ نَــا
لَ بِيَافُوْخِــهِ[1] نُجُــوْمَ الـــسَّمَاءِ[2]

وَهُنا لَطائِفُ:

ـ **إحداها**: روى أبو نعيم عن وهب قال: إن أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله تعالى، وإن رآه الناس بخيلاً فيما سوى ذلك، وإن أبخل الناس من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريماً فيما سوى ذلك[3].

وهذا لا شبهة فيه، بل إذا بخل بحقوق الله وجاد بغيرها، لم يخرج عنه اسم البخيل، وازداد اسماً آخر، وهو المسرف.

ـ **الثانية**: روى البيهقي في «الشعب» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى: أنه دخل على رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها فقالت له: يا سفيان! ما تعدون السخاء فيكم؟ قال: أما عند أبناء الدنيا فالذي يجود

---

(١) اليافوخ: وسط الرأس.

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٥/ ١١٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٩).

بماله، وأما عند أبناء الآخرة فالذي يجود بنفسه، فقالت: يا سفيان! أخطأتم فيها، فقال سفيان: فما السخاء عندك رحمك الله؟ قالت: أن تعبدوه حباً له، لا لطلب جزاء ولا مكافأة.

ثم أنشأت تقول: [من المنسرح]

لَــــوْلاكَ مَــــا طابَــــتِ الْجِنَــــانُ وَلا
طَــــابَ نَعِــــيْمٌ بِجَنَّــــةِ الْخَلَــــدِ
قَــــوْمٌ أَرَادُوْكَ لِلْجِنَــــانِ فَنَــــا
لُوْهــــا وَقَلْبِــــيْ سِــــوَاكَ لَــــمْ يُــــرِدِ[1]

ـ **الثالثة**: روى أبو نعيم عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: من سئل بالله فأعطى، كُتب له سبعون أجراً[2].

قلت: إنما ضوعف أجره لأنه إنما أعطى إجلالاً لله تعالى، وصيانة لاسمه أن يذكر في طلب حاجة هو قادر على قضائها فلا يقضيها.

ـ **الرابعة**: روى ابن جهضم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: أن رجلاً قال له: يا أبا علي! من أسمح الناس؟ فقال: من جاد بماله تبرعاً، وتنزه عن مال غيره تورعاً.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٠)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٧٩٣).

وهذا كلام صحيح، مقتضاه أن من أخذ من أموال الناس ظلماً، وأعطى آخرين منه، وإن أعطى الألوف، فليس من الجود في شيء؛ فإنه لم يَجُدْ بمال نفسه، بل بمال غيره، والتصرف في مال الغير بلا حق حرام؛ وإن غلط أهل الدنيا في إطلاق الكرم، والجود على فعله، وقالوا: فلان نهَّابٌ وَهَّابٌ.

* تَنْبِيْهٌ:

التبجح بالكرم، وقوله: سأكسوك، سأعطيك، وقوله لمن شكى إليه غرامة، أو نحوها: لا بأس عليك، تعال أعطيك، وأفعل معك، ونحو ذلك، ليس من الكرم في شيء حتى يفعله، بل سبق الفعل أولى من سبق القول، فإن قصر فعله عن قوله، كان ذلك شر أنواع البخل.

وأنشد المبرد لمسلم: [من الطويل]

لِسَانُكَ أَحْلَىْ مِنْ جَنَىْ النَّخْلِ مَوْعِداً
وَكَفُّكَ بِالْمَعْرُوْفِ أَضْيَقُ مِنْ قُفْلِ
تَمَنَّىْ الَّذِيْ يَأْتِيْكَ حَتَّىْ إِذَا انْتَهَىْ
إِلَىْ أَمَدٍ نَاوَلْتَهُ طَرَفَ الْحَبْلِ(١)

---

(١) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ٣٣٠)، و«المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٢١).

٦٦ ـ ومن خصال الصالحين، وأخلاقهم: الإيثار، والمواساة ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[البقرة: ٢٦٥]:

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وروى البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شاء لشبع، ولكنه كان يؤثر على نفسه(١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عثمان رضي الله تعالى عنه: أنه كان يخطب فقال: إنا ـ والله ـ قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناساً يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط(٢).

ويجمع بين هذا الحديث والذي قبله: بأنه ﷺ كان تارة يؤثر على نفسه، وتارة يواسي من عنده.

---

(١) هذا الحديث ملفق من حديثين:

الأول: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٣٧) ولفظه: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً حتى مضى لسبيله»، وهو عند مسلم (٢٩٧٠) لكنه زاد: «من خبز بر».

والثاني: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٦٩) ولفظه: «لو شئنا أن نشبع شبعنا، ولكن محمداً ﷺ كان يؤثر على نفسه».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦٩).

وروى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِيْ الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِيْ الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِيْ الثَّمَانِيَةَ»[1].

قلت: هذا الحديث يظهر الحكمة في المواساة، والفائدة فيها، وذلك أن العبد إذا واسى[2] أخاه في قدر كفايته من الطعام وغيره بحيث شاطره إياه، ويجتزئ بقدر نصف الكفاية، فإن الله تعالى يكافئه؛ بأن يجعل ذلك النصف كافياً له كما لو استوفاه؛ فإنه سبحانه وتعالى كما جعل كفايته في هذا القدر قادر على أن يجعلها في قدر نصفه، ثم يجعل الله ثواب مساواته لأخيه في قدر كفايته نافلة له على وزان قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]

فمن واسى أخاه في طعامه لم يفته من كفايته شيء، ويكون ثواب الله تعالى ورضاه عنه فائدة له زائدة، ونافلة عليه عائدة، ولا يعرف ذلك إلا محقق، والله سبحانه وتعالى الموفق.

وأما الإيثار فإنه إنما يكون ثقة بخلف الله تعالى، ولا شك أنه أبلغ من المواساة، إلا أن المواساة أيسر، والإيثار إنما يتيسر في أوقات دون أوقات.

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كان

---

(١) رواه مسلم (٢٠٥٩).

(٢) في «م» و«أ» و«ت»: «ساوى» ولعل الصواب ما أثبت.

بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة، فأصابوا شيئاً، فقالوا: لو بعثنا بهذا الرأس إلى أحوج منا، قال: فبعثوا به، فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم[1].

وروى أبو نعيم عن مسعر بن كدام رحمه الله تعالى أنه خرج يوماً إلى الجبان، فإذا هو بأعرابي يتشرق في الشمس، وهو يقول: [من الكامل]

جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَيْسَ عِنْدِيْ دِرْهَمُ
وَلَقَدْ يُخَصُّ بِمِثْلِ ذاكَ الْمُسْلِمُ
وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْجِبابَ وَغَيْرَهَا
وَكَأَنَّنِيْ بِفِنَاءَ مَكَّةَ مُحْرِمُ

فنزع مسعر جبته، فأعطاه إياها[2].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن أبي عامر الأسدي قال: سئل سفيان الثوري عن المواساة، فقال: هذا طريق قد نبت عليه العوسج[3].

يشير إلى قلة المواساة فضلاً عن الإيثار في أهل زمانه، فكيف بالزمان الذي بعده إلى الآن؟

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٤٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٢٠).

(٣) العوسج: شجر كثير الشوك.

٦٧ ـ ومنها: التواضع، وخفض الجناح:

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥].

وروى مسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ، وَما زادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً، وَما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»(١).

وروى إسحاق الختلي في «ديباجه» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله ورَّثه الله الحكمة(٢).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن هشام بن حسان رحمه الله تعالى قال: ذكروا التواضع عند الحسن وهو ساكت، حتى إذا أكثروا عليه قال لهم: أراكم قد أكثرتم الكلام في التواضع، قالوا: وأي شيء التواضع يا أبا سعيد؟ قال: يخرج من بيته فلا يلقى مسلماً إلا ظن أنه خير منه(٣).

وروى البيهقي عن ابن المبارك: أنه سأل عن التواضع، فقال: التكبر على الأغنياء(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤١٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٧٩).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٣٥).

وعنه أنه قال: من التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى يعلم أنه ليس لك فضل عليه لدنياك، وأن ترفع نفسك عند من هو فوقك في دنياه حتى يعلم أنه ليس له لدنياه فضل عليك[1].

٦٨ ـ ومنها: التنافس في أمور الآخرة، والاستكثار مما يتبرك به:

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]؛ معناه كما قال الثعلبي: فليرغب الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله تعالى.

وروى البخاري، وغيره، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَيُّوْبُ عَلَيْـهِ السَّلامُ يَغْتَسِلُ عُرْياناً فَخَرَّ عَلَيْـهِ [رِجْل][2] جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَحْثِيْ فِيْ ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ ﷻ: يَا أَيُّوْبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَىْ وَعِزَّتِكِ، وَلَكِنْ لا غِنَىْ لِيْ عَنْ بَرَكَتِكِ»[3].

*** فائِدَةٌ:**

ربما غلط قوم فظنوا الحسد منافسة، أو المنافسة حسداً، والفرق بينهما أن الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود مع طلب حصولها للحاسد، أو دونه، والمنافسة طلب حصول مثل تلك النعمة للمنافس

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٣١).

(٢) زيادة من البخاري (٣٢١١)، والرِّجل: القطيع من الجراد.

(٣) رواه البخاري (٣٢١١).

من غير تمني زوالها عن المغبوط، ويقال لهذا: غِبْطة، وَحَسَدُ الْغِبْطة أيضاً.

قال الماوردي في «أدب الدين والدنيا»: المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم، والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الفاضل فضله من غير تصير الفضل له.

ثم قال: والمنافسة ـ إذن ـ فضيلة؛ لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل، والاقتداء بالأخيار الأفاضل[1].

قال: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ يَغْبِط، وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ»[2].

وقال الشاعر: [من السريع]

نافِسْ عَلَىْ الْخَيْرَاتِ أَهْلَ الْعُلا　　فَإِنَّمَا الدُّنْيَا أَحَادِيْثُ

كُلُّ امْرِئٍ فِيْ شَأْنِهِ كادحٌ　　فَوَارِثٌ مِنْهُمْ وَمَوْرُوْثُ[3]

٦٩ ـ ومنها: أخذ المال من وجهه، وصرفه في وجوه المأمور بها شرعاً:

وهو معنى الشكر من الغنى.

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٣٤).

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٨٦): لم أجد له أصلاً مرفوعاً، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذا رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الحسد».

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٣٥).

بل من أخلاق الصالحين الشكر على كل نعمة كما سبق، والحمد على كل حال.

ومعنى الشكر: صرف جميع ما أنعم الله به على العبد من النعم المشتمل عليها الإنسان؛ كالبصر والسمع واليد وغيرها، فيما خلق له من طاعة ونحوها، وهو المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢].

وأقل مراتب الشكر أن لا يعصى الله بنعمه، كما أجاب به الأستاذ أبو القاسم الجنيد من سأله عنه[1].

وفي معناه أنشدوا: [من الوافر]

أَنَالَكَ رِزْقَهُ لِتَقُومَ فِيْهِ ... بِطَاعَتِهِ وَتَشْكُرَ بَعْضَ حَقِّهْ

فَلَمْ تَشْكُرْ أَيَادِيَهُ وَلَكِنْ ... قَوِيْتَ عَلَىْ مَعَاصِيْهِ بِرِزْقِهْ

ولا شك أن صرف المال في وجهه الشرعي بعد أخذه من وجهه ـ أيضاً ـ لا يعدو عن واجب، ومستحب، أو مباح؛ إن لوحظت فيه النية صار طاعة أيضاً، وبه يحصل شكر نعمة المال.

روى الشيخان، وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِيْ اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُوْمُ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَآناءَ

---

(١) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٢١٢).

النَّهارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وَآناءَ النَّهارِ»[1].

والآناء: الساعات.

ولا يقال: (أنفق) إلا في الخير، كما تقدم.

٧٠ ـ ومنها: الإكثار من ذكر الله تعالى، والرغبة في مجالس الذكر، والتنزه عن مجالس اللهو والظلم وذكر الدُّنيا:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

وروى مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُوْنَ اللهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى: أنه دخل المسجد، فنظر إلى نفرٍ قد اجتمعوا جلوساً، فرجا أن يكونوا على ذكر على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: أنا جهزت غلاماً لي، فنظر

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٧)، ومسلم (٨١٥) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وابن ماجه (٣٧٩١).

إليهم، فقال: سبحان الله! هل تدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل، فإذا بيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، فإذا أنتم أصحاب دنيا، وقام عنهم[1].

وعن سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى قال: قيل لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: إن أبا سعد بن منبه أعتق مئة محرر، فقال: إن مئة محرر من مال رجل لكثير، وإن شئتم أنبأتكم مما هو أفضل من ذلك؛ إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﷻ[2].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع؛ لأن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥][3].

وفي رواية عبدالله في «زوائده»: ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ٥٩)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٦)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٤٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٨٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٨٤).

وأخرجه والده في «المسند» ـ مرفوعاً ـ دون قولهم لمعاذ: ولا الجهاد؟ إلى آخره[1].

والأحاديث والآثار في فضل الذكر لا تحصى.

٧١ ـ ومنها: الإكثار من ذكر الموت، وقصر الأمل:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠].

وروى الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والطَّبراني في «الأوسط»، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه، وأبو نعيم عنه، وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوْا ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ»[2].

زاد ابن حبان، والبيهقي في حديث أبي هريرة، والبزار في حديث

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٧) وقال: حسن غريب، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٠) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وروا الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٦) عن أنس رضي الله تعالى عنه.

أنس: «فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِيْ ضِيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلاَّ وَسَّعَهُ، وَلا ذَكَرَهُ فِيْ سَعَةٍ إِلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ»[1].

وهاذم ـ بالذال المعجمة ـ أي: قاطع.

وروى البخاري، وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كُنْ فِيْ الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ، أَوْ عابِرُ سَبِيْلٍ».

قال: وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[2].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت»، والطبراني في «الصغير» عنه ـ أيضاً ـ قال: أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله! مَنْ أكيسُ الناس، وأحزم الناس؟ قال: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَكْثَرُهُمُ اسْتِعْداداً لِلْمَوْتِ؛ أُوْلَئِكَ الأَكْيَاسُ، ذَهَبُوْا بِشَرَفِ الدُّنْيَا، وَكَرامَةِ الآخِرَةِ»[3].

---

(1) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٩٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦٠) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والبزار في «مسنده» (٦٩٨٧) عن أنس رضي الله تعالى عنه.

(2) رواه البخاري (٦٠٥٣).

(3) ورواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٠٨). وحسن المنذري إسناد الطبراني في =

وروى ابن أبي الدنيا عن السدي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]؛ قال: أيكم أكثر للموت ذكراً، وله أحسن استعداداً، ومنه أشد خوفاً وحذراً[١].

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو العباس الثقفي قال: دخل أبو محمد اليماني على أبي النصر هاشم بن القاسم يعوده، فقال: [من مجزوء الرجز]

أَلْهَى جَهُولاً أَمَلُهْ　　يَمُوتُ مَنْ جا أَجَلُهْ
وَمَنْ دَنا مِنْ حَتْفِهِ　　لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيَلُهْ
وَكَيْفَ يَبْقَى آخِرٌ　　قَدْ ماتَ عَنْهُ أَوَّلُهْ[٢]

وقيل: إن هذه الأبيات وجدت في صخرة منقورة عند قبر إبراهيم عليه السلام، وفيها بيت زائد، وهو: [من مجزوء الرجز]

وَالْعَبْدُ لا يَصْحَبُهُ　　فِيْ الْقَبْرِ إِلاَّ عَمَلُهْ[٣]

= «الترغيب والترهيب» (٤/ ١١٩). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٢٠٢): رواه ابن ماجه مختصراً، وابن أبي الدنيا في «الموت» بكماله بإسناد جيد.

(١) ورواه من طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٨٨).

(٢) ونسب الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص: ١٤٦) هذه الأبيات إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٠) عن وهب بن منبه.

٧٢ ـ ومنها: زيارة القبور للرجال، والسَّلام على سكانها:

روى مسلم عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةِ الْقُبُوْرِ؛ فَزُوْرُوْهَا»[(١)].

ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، وزاد: «فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِيْ الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ»[(٢)].

والحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه، وزاد: «فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلا تَقُوْلُوْا هُجْراً[(٣)]»[(٤)].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان يخرج كلما كان ليلتها من الليل إلى البقيع، فيقول: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ، وَأَتاكُمْ ما تُوْعَدُوْنَ، غَداً مُؤَجَّلُوْنَ، وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُوْنَ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ»[(٥)].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الفضل بن جعفر، ثنا غزوان بن عبد الرحمن بن غزوان، قال: كنت جالساً مع أبي بالبصرة إذ أقبل شيخ على حمار في عنقه حبل ليف، والشيخ حافٍ عليه صوف، حتى وقف علينا،

---

(١) رواه مسلم (٩٧٧).

(٢) رواه ابن ماجه (١٥٧١). وحسن البوصيري إسناده في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٤٢)، وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩٨١).

(٣) أي: كلاماً فاحشاً.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٣٩٣).

(٥) رواه مسلم (٩٧٤).

فسلم على أبي، فأحفل أبي بالمسألة به، وقال: من أين أقبلت؟ فقال: فكرت في هذا العسكر ليلاً، فغدوت عليهم، فقلت: [من مجزوء الكامل]

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ ... وَبَكَتْكَ سَاكِتَةٌ خُفُتْ

وَتَكَلَّمَتْ عَنْ أَعْظُمٍ ... تَبْلَىٰ وَعَنْ صُوَرٍ سُبُتْ

وَأَرَتْكَ قَبْرَكَ فِيْ الْقُبُوْ ... رِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

ثم ولى غير بعيد، ثم أقبل فقال:

وَلَرُبَّمَا انْصَرَفَ الشِّمَا ... تُ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الشُّمُتْ

وهذا الشيخ هو أبو العتاهية، والأبيات معروفة له[1].

٧٣ ـ ومنها: قيام الليل، والتهجد، وهو الصلاة بعد رقدة كما في الحديث:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[المزمل: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾[السجدة: ١٦].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِيْ اللَّيْلِ ساعَةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيْهَا خَيْراً إلاَّ أَعْطاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[2].

---

(١) وانظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٨)، ومسلم (٧٥٧).

وروى الإمام أحمد عن بلال رضي الله تعالى عنه، والترمذي، والحاكم، والبيهقي عنه، وعن أبي أمامة ﷺ، وابن السني عن جابر رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، وابن عساكر عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَىْ اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيْرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن مسلم قال: قيل للحسن رحمه الله تعالى: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره نوراً[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٩) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلا من هذا الوجه من قبل إسناده، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد القرشي، هو محمد بن سعيد الشامي، وهو ابن أبي قيس، وهو محمد ابن حسان، وقد ترك حديثه. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٨٧) عن بلال رضي الله تعالى عنه، والترمذي (٣٥٤٩) وقال: هذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال.

والحاكم في «المستدرك» (١١٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٨٨) عن أبي أمامة ﷺ. والطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٥٤) عن سلمان الفارسي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٤٢)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٨).

وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيْعاً، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ اللهَ كَثِيْراً، وَالذَّاكِرَاتِ»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بحسب الرجل من الخيبة ـ أو قال: من الشر ـ أن يبيت ليلة لا يذكر الله حتَّى يصبح، فيصبح وقد بال الشيطان في أذنه[2].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان[3]، والبيهقي عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أنه قال: «إِنَّ فِيْ الْجَنَّةِ غُرَفاً، يُرَىْ ظاهِرُها مِنْ باطِنِها، وَباطِنُها مِنْ ظاهِرِها؛ أَعَدَّها اللهُ تَعالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ، وَأَلانَ الْكلامَ، وَتابَعَ الصِّيامَ، وَصَلَّىْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ»[4].

وأنشد أبو سعيد في «الحدائق» لبعضهم: [من المنسرح]

طُوْبَىْ لِعَبْدٍ بِعَيْشِهِ قَنِعَا ... فَالْتَحَفَ الزُّهْدَ وَارْتَدَى الْوَرَعا

---

(١) رواه أبو داود (١٤٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٣٥). وصحح النووي إسناده في «خلاصة الأحكام» (١/ ٥٨٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٤٣٥).

(٣) في «م» و«أ»: «أبو حيان».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٢): رواه أحمد ورجاله ثقات، ولهذا الحديث طرق.

وَكَـانَ لِلصَّالِحِيْنَ مُتَّبِـعاً وَعَنْ جَمِيْعِ الْفُضُوْلِ مُنْقَطِعا
راقَـبَ مَـوْلاهُ خائِفـاً وَجِـلاً وَفِـيْ رِضـاهُ وَفَضْلِهِ طَمِعـا
أَيْقَـنَ بِـالْمَوْتِ وَاسْـتَعَدَّ لَـهُ لَمَّـا رَأَىْ شَـيْبَ رَأْسِـهِ سَطَعَا
طَـالَعَ دُنْيـاهُ ثُـمَّ هاجَرَهـا فَلَـمْ يَـصِرْ بِـالْغُرُوْرِ مُنْخَدِعا
صـامَ لِمَـوْلاهُ ثُـمَّ قـامَ لَـهُ قَدْ جَمَعَ الصَّوْمَ وَالْقِيامَ مَعَاً

* تَنْبِيْهٌ:

قيل لعبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: ما نستطيع قيام الليل، قال: أقعدتكم ذنوبكم(١).

وقال الحسن رحمه الله تعالى: إن العبد ليذنب الذَّنب فيحرم به قيام الليل(٢). رواهما ابن أبي الدنيا.

٧٤ ـ ومنها: استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو الخوف من الفتنة في الدين، والوقوع في حرام، أو شبهة:

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «رَجُلٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ، وَمالِهِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»، قال: ثم من؟ قال: «رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِيْ شِعْبٍ مِنَ الشِّعابِ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٤٠٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٤٠٦).

يَعْبُدُ رَبَّهُ»، وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن إسماعيل بن أمية قال: قال عمر رضي الله عنه: إن في العزلة لراحةً من خُلَّاط السوء[2].

وعن حفص بن عاصم قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: خذوا بحظكم من العزلة[3].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «العزلة» عن بكير، أو يعقوب بن الأشج: أن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيـد رضي الله تعالى عنهما: لزما بيوتهما بالعقيق، فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة، ولا لغيرها حتى ماتا بالعقيق[4].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنـه: أنـه قال: والله لوددت أن بيني وبين الناس باباً من حديد؛ لا يكلمني أحد، ولا أكلمه حتَّى ألقى الله عز وجل[5].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣٤)، ومسلم (١٨٨٨).

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٧٧). قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٣١): رجاله ثقات عن عمر أنه قاله، لكن في سنده انقطاع.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٣)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ٥٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ٨٠).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ٧٩).

وعن هشام بن عروة رحمهما الله تعالى قال: لما اتخذ عروة قصره بالعقيق قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله ﷺ، قال: إني لما رأيت مساجدكم لاهية، وأسواقكم غافلة، والفاحشة في فجاجكم فاشية، كان فيما هنا عما أنتم فيه عافية(١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وولده في «زوائده» عن خليد بن عبدالله العصري رحمه الله تعالى قال: المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث: مسجد يعمره، وبيت يستره، أو حاجة من أمر دنياه لا بأس بها(٢).

٧٥ ـ ومنها: التفرغ للعبادة، علماً، وعملاً، ونية:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[الشرح: ٧ ـ ٨].

وروى الحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾[الشورى: ٢٠] الآية، ثم قال: «يَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ: ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِيْ أَمْلأْ صَـدْرَكَ غِنَىً، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لا تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ١١٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٨٠).

(٢) رواه الإمام أحمـد في «الزهد» (ص: ٢٣٧)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٩٥).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» =

وروى الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن أبي الدَّرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَفَرَّغُوْا مِنْ هُمُوْمِ الدُّنْيا ما اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّ مَنْ كانَتِ الدُّنْيَا أَكْثَرَ هَمِّهِ أَفْشا اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَمَنْ كانَتِ الآخِرَةُ أَكْثَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أُمُوْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِيْ قَلْبِهِ، وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَىْ اللهِ ﷻ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ قُلُوْبَ الْمُؤْمِنِيْنَ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوِدِّ، وَالرَّحْمَةِ، وَكانَ اللهُ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ»[1].

وقوله في الحديث: «أكبر همه» بالباء الموحدة.

وفي نسخة صحيحة من «الحلية»: (أكثر) بالمثلثة، وكلاهما صحيح.

وروى أبو نعيم عن أبي موسى الطرسوسي رحمه الله تعالى قال: ما تفرغ عبد لله ساعة، إلا نظر الله إليه بالرحمة[2].

٧٦ ـ ومنها: الاختلاط بالناس لحضور جمعهم وجماعاتهم، وحضور مشاهد الخير، ومجالس الذِّكر معهم، وعيادة مرضاهم،

= (١٠٣٣٩)، وكذا رواه الترمذي (٢٤٦٦) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤١٠٧).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٨): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه محمد بن سعيد بن حسان المصلوب، وهو كذاب.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٠).

وشهود جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وإفشاء السَّلام فيهم، وتشميت عاطسهم، وزيارة صالحيهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر على الأذى.

لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢] وللأحاديث الواردة في فضل ذلك؛ فإن لم يكن بتلك الصفة =وما أعز من يتصف بها في زمانك هذا وأنت بعد تمام عشرة قرون كل قرن مئة عام، وقد عددت عدة أعوام من القرن الحادي عشر من هجرة سيد البشر ﷺ = فليس له أن يختلط بالناس إلا للضرورة التي أشرت إليها.

وعولت في أبيات قلتها قديماً عليها: [من الكامل]

هَـذَا زَمَـانُ الـصَّبْرِ لَـمْ يَعْـرِفْ بِـهِ
وَبِحالِـــهِ إِلاَّ اللَّبِـــيْبُ الْحَـــاذِقُ
خـــانَ الأَمِـــيْنُ بِـــهِ وَخـــانَ الْواثِـــقُ
وَنَـأَىْ الـصَّدِيْقُ بِـهِ وَمـانَ الـصَّادِقُ
فَعَلَيْـــكَ فِيْـــهِ بِعُزْلَـــةٍ مَحْفُوْظَـــةٍ
عَـــنْ كُـــلِّ مـــا لا يَرْتَـضِيْهِ الْخـالِقُ
إِلاَّ لِعِلْـــمٍ أَوْ لِهَـــمٍّ مَعِيْـــشَةٍ
فَـاخْتَرْ لِـصُحْبَتِكَ الَّـذِيْ بِـكَ لائِـقُ

فَلَـئِنْ سَـمِعْتَ وَصِـيَّتِيْ وَنَـصِيْحَتِيْ
فَلأَنْـتَ حَقَّـاً فِـيْ الْقِيامَـةِ سـابِقُ

وقولنا: فاختر لصحبتك الذي بك لائق؛ أي: إنك إذا احتجت إلى الاختلاط بالناس فلا تخالط إلا من يليق بك من المؤمنين دون الفاسقين والمنافقين.

قال رسول الله ﷺ: «لا تُصاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، وَلا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ».

رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الطبراني ـ ومن طريقه أبو نعيم ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «يَا عَلِيُّ! اسْتَكْثِرْ مِنَ الْمَعارِفِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ؛ فَكَمْ مِنْ مَعْرِفَةٍ فِيْ الدُّنْيا بَرَكَةٌ فِيْ الآخِرَة»، فمضى علي، فأقام حيناً لا يلقى أحداً إلا اتخذه للآخرة، ثم جاء من بعد، فقال له رسول الله ﷺ: «ما فَعَلْتَ فِيْما أَمَرْتُكَ؟» قال: قد فعلت يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «اذْهَبْ فَابْلُ أَخْبَارَهُمْ»، فأتى على النبي ﷺ وهو منكس رأسه، فقال له النبي ﷺ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٦٩).

وتبسم: «ما أَحْسِبُ يَا عَلِيُّ ثَبَتَ مَعَكَ إلاَّ أَبْنَاءُ الآخِرَةِ»، فقال له علي: لا والذي بعثك بالحق، فقال له النبي ﷺ: «الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدَوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِيْنَ، يَا عَلِيُّ! أَقْبِلْ عَلَىٰ شَأْنِكَ، وَامْلِكْ لِسانَكَ، وَاعْقِلْ مَنْ تُعَاشِرُ مِنْ أَهْلِ زمَانِكَ، تَكُنْ سالِماً غانِماً»[1].

وقوله: «واعقل من تعاشر»؛ أي: تعرف من تعاشره قبل معاشرته؛ فإن كان من أبناء الآخرة فعاشره، وإلا فلا تحفل به.

أو المعنى: تعرف حال من تعاشره حتى تعاشره بما يليق به من ملاءمة، ومودة، أو مداراة، وحلم، وصبر، واحتمال أذى، وغير ذلك.

وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِيْ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِيْ لا يُخَالِطُ النَّاسَ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه[2].

وروى الأولان، وحسنه الترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، والإمام أحمد، والترمذي، والبيهقي عن معاذ رضي الله تعالى عنه، وابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللهَ ما اسْتَطَعْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٥)، والترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه (٤٠٣٢).

الْحَسَنَةَ تَمْحُها، وَخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

أنشدنا شيخ الإسلام والدي لنفسه عقب إملائه لهذا الحديث:

[من الرمل]

اتَّقِ اللهَ تَعَالَىْ مَا اسْتَطَعْـ
ـتَ وَأَتْبِعْ سَيِّئَاتٍ حَسَنَةْ
خالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنٍ
ذا الْحَدِيْثُ التِّرْمِذِيْ قَدْ حَسَّنَهْ

وله في المعنى ما كتبه لولده الشيخ المحقق العلامة العارف بالله تعالى الفهامة شهاب الدين أحمد رحمه الله تعالى وصية له، وهي من أنفع الوصايا، وأليقها بهذا المقام: [من الكامل]

اسْمَعْ بُنَيَّ وَصِيَّتِيْ وَاعْمَلْ بِهَا
تَبْلُغْ مِنَ الْخَيْرِ الْجَزِيْلَ الْمُنْتَهَىْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٣)، والترمذي (١٩٨٧) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (١٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٢٦) عن أبي ذر.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٨)، والترمذي (١٩٨٧) وقال: قال محمود ـ بن غيلان ـ: والصحيح حديث أبي ذر.
ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٢٧) بلفظ مختلف عن معاذ.

لا تَعْتَمِـــدْ فِــيْ حاجَــةٍ إلاَّ عَلَـــىْ

مَـــوْلَىً تُقَـــدِّسَ مَجْــدَهُ وَتُنَزِّهَـــا

وَارْفَــعْ إِلَــىْ الــرَّحْمَنِ كُــلَّ مُلِمَّــةٍ

وَاخْــضَعْ إِلَيْــهِ تَمَــسْكُناً وَتَأَلُّهَـــا

وَاخْـشَ الْمُهَـيْمِنَ وَأْتِ مـا يَرْضَـىْ بِـهِ

وَاحْــذَرْ تَكُــنْ مِمَّــنْ بِـدُنْيَاهُ الْتَهَــىْ

وَاتْبَـعْ هُــدَىْ خَيْــرِ الأَنــامِ وَهَدْيَــهُ

وَأَطِــعْ أَوَامِــرَهُ وَحُــدْ عَمَّــا نَهَــىْ

وَتَجَنَّــبِ الْمَحْظُــوْرَ جَهْـدَكَ وَاجْتَنِــبْ

مَكْــرُوْهَ أَفْعــالٍ وَإِنْ تَــكُ مُكْرَهــا

وَالْخَلْــقَ خَــالِقْهُمْ عَلَــىْ حَــذَرٍ وَإِنْ

تَصْحَبْ فَأَهْلَ الـدِّيْنِ مِـنْ أَهْـلِ النُّهَـىْ

وَلَـئِنْ جَنَحْــتَ إِلَــىْ اعْتِزالِــكَ عَــنْهُمُ

أُعْطِيْــتَ عِــزّاً مِــنْ إِلَهِــكَ مَــعْ بَهَــا

وَاقْنَــعْ تَكُــنْ حُــرّاً بِدَوْلَتِــهِ زَهَــىْ

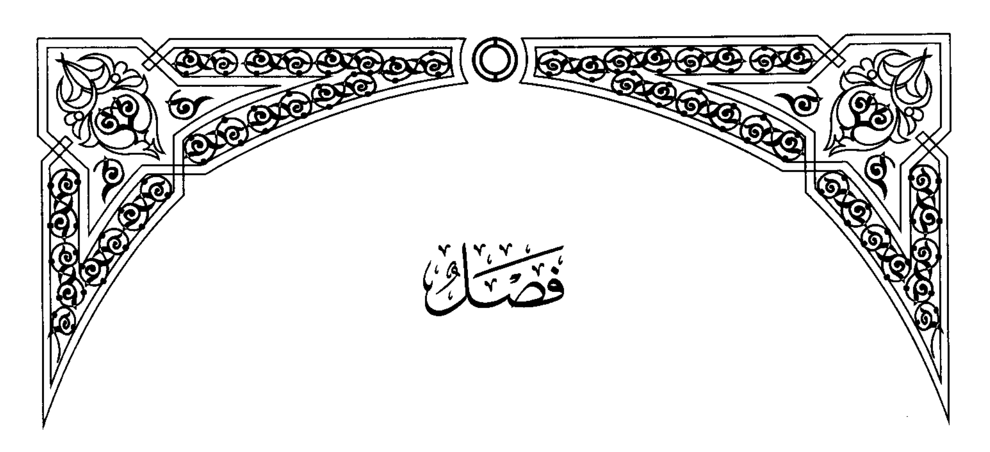
وَاطْمَــعْ تَكُــنْ عَبْــداً بِذِلَّتِــهِ وَهَــىْ

وَإِذا حَصَلْتَ عَلَىْ الْمَـرامِ مِـنَ اللَّهَـىْ
فَاقْـصُرْ فَكـافٍ كُـلُّ مـا سَـدَّ اللَّهـا

وَاحْبِـسْ زِمـامَ الـنَّفْسِ مِـنْ غُلَوائِهَـا
فَـالنَّفْسُ تَطْلُـبُ كُـلَّ شَـيْءٍ مُـشْتَهَى

وَبِقَـدْرِ مـا نالَـتْ تُحَاسَـبُ فِـيْ غَـدٍ
فَـاقْنَعْ بِمـا تُعْطَـى فَـذَلِكَ حَـسْبُها

* * *



وإذا احتجت إلى الاختلاط بالصالحين، توظفت عليك وظائف هي من أخلاق الصَّالحين وصفاتهم، وجميعها داخل في المخالقة المأمور بها في الحديث؛ كالتواضع، وخفض الجناح للمؤمنين، وتحسين الخلق معهم، والحلم عليهم، والتأني، والرفق بهم، وعدم الحنق والغضب منهم إلا إذا انتهكت حرمات الشرع، فيتعين الغضب لله تعالى، والانتصار لدينه لا للنفس، والعفو والإعراض عن الجاهلين، واحتمال الأذى، وإذا كنت والياً على أمر من أمور المسلمين تأكَّدَ في حقك الرفق برعاياهم، والنصيحة لهم، والشفقة عليهم، والتباعد عن عتبهم، والذب عن أعراضهم ودمائهم وأموالهم، والاهتمام بمصالحهم، والحذر من الغفلة عنهم، والإهمال لهم، ومراعاة العدل فيهم، وفيما بينهم، والتحرز عن الظُّلم، ولو في شيء قليل، وإذا اتخذت عليهم وزيراً أو عاملاً أو والياً أو قاضياً، تحرَّيتَ أن يكون عادلاً صالحاً، وحذرته من ظلمهم، وإهمال مصالحهم، والتحجب عنهم، وإذا أمكنك أن تكون مأموراً لا أميراً فهو أحب وأولى.

وإياك من سؤال الإمارة، وطلبها؛ فإنك توكل إليها، كما ورد في

الحديث[1]، وإن قلدتها من غير طلب منك أعنت عليها.

وقد روى ابن أبي الدُّنيا في «العقوبات» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَنْ تَهْلَكَ الرَّعِيَّةُ ـ وَإِنْ كانَتْ ظالِمَةً مُسِيئَةً ـ إِذا كانَتِ الْوُلاةُ هادِيَـةً مَهْدِيَّةً، وَإِنَّمَا تَهْلَكُ إِذا كانَتِ الْوُلاةُ ظَلَمَةً مُسِيْئَةً»[2].

وهذا يستدل له بقوله تعـالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[الإسراء: ١٦]؛ أي: أمرنا زعماءها وأكابرها بالطَّاعة، فعصوا، وفسقوا.

قال عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: إذا لم يل الوالي لله، ولم يؤد المولى ما عليه من حق الله، فاحذروا مكر الله وأخذه، فقد أَحَقَّ الشر عليكم. رواه ابن أبي الدُّنيا أيضاً.

وإذا كنت مولياً فعليك بطاعة ولاة الأمور، ولو كان عبداً حبشياً، في غير معصية الله تعالى، وإياك أن تطيعهم ولو في قليل منها، إلا أن تخاف على نفس أو عرض أو مال.

قال رسول الله ﷺ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيْما أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ» رواه الشيخان عن ابن

---

(١) وهو ما رواه البخاري (٦٧٢٧)، ومسلم (١٦٥٢) عن عبد الرحمن بن سمرة يرفعه: «لا تسأل الإمـارة فإنك إن أعطيتها عن مسألـة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (ص: ٤٩).

عمر رضي الله تعالى عنهما[1].

وقد استوفى النووي رحمه الله تعالى أدلة هذا الفصل في كتابه[2] وغيره، وتقدم الكلام على بعضها، ولعل بقيتها نذكرها ـ أو أكثرها ـ في أثناء كتابنا هذا.

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «المداراة» قال: حدثني محمَّد بن الحسين قال: حدَّثني الأصمعي قال: لما حضرت جدي علي بن الأصمع الوفاة جمع بنيه فقال: أي بَنِيَّ! عاشروا الناس معاشرةً إن غبتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم[3].

وروى أبو نعيم عن محمَّد ابن الحنفية رحمه الله تعالى قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بمعروف من لا يجد من معاشرته بداً، حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً[4].

* * *

(١) روى البخاري (٦٧٢٥)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ له.

(٢) يعني: «رياض الصالحين» (ص: ١٤١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «مداراة الناس» (ص: ٤٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٧٥)، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٨٩).



فَصْلٌ

ومن الوظائف التي تتوظف على من يخالط الناس: استعمال الآداب الشرعية في محالِّها؛ فإنه بذلك يتشبه بالصالحين في مخالطتهم الناس رضي الله عنهم، فعليك أن تتشبه فيها إذا أردت اللحاق بهم، وإلا كنت حاكياً عنهم لا متشبهاً بهم.

وما أحسن ما أنشده القاضي الماوردي في «أدبه» لمحمد بن كناسة:

[من الكامل]

مَا مَنْ رَوَىٰ أَدَباً وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
وَيَكُفَّ عَنْ زَيْغِ الْهَوَىٰ بِأَدِيْبِ
حَتَّىٰ يَكُوْنَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلاً
مِنْ صَالِحٍ فَيَكُوْنَ غَيْرَ مَعِيْبِ
وَلَقَلَّمَا تُغْنِيْ إِصَابَةُ قَائِلٍ
أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيْبِ[1]

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٤).

والأدب عبارة عن حمل النفس على ما يُطلب ويُستحسن شرعاً، وليس المراد به ما استحسنه الأعاجم والمترفون؛ فإن هذا قد يخالف الشريعة والسنة، كاستعمال الأخونة، ورفع الطعام عن الآكلين، وارتفاع الآكل عن الطعام، وقيام الخدمة على الرؤوس وهم يأكلون، وكإطالة الأذيال، وقيامهم بين يدي كبرائهم، وركوعهم لهم إذا دخلوا عليهم، والقيام لهم عند دخولهم وخروجهم، وعند شربهم وعطاسهم دون التلفظ بالتشميت، وتقبيل الأرض بين أيديهم دون الابتداء بالسَّلام المسنون، إلى غير ذلك من آدابهم؛ فليس ذلك من الأدب في شيء، وقد نهينا عن التشبه بالأعاجم، كما سيأتي الكلام على ذلك في القسم الثاني من الكتاب.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في «الرسالة»: حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير، ومقتضاه أنه لو تأدب في حالة، وترك الأدب في حالة لم يكن أديباً حتى يعطي كل حال وكل مقام ما يستحقه من الأدب، كما قيل: [من الطويل]

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ فَصَاحَةٍ
وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيْحِ[1]

قلت: وقد وقعت الإشارة إلى طلب الأدب من العبد في كل حال بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣١٦ ـ ٣١٧).

أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾[البقرة: ٢٣٥]؛ فإنه إذا كان مطلعاً على ما في النفوس، عليماً بما تخفي الصدور، فاطلاعه على الظواهر أظهر.

على أنه قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾[الأعلى: ٧]؛ فأنت في ظاهرك وباطنك بمرأى منه ومسمع، فلا ينبغي لك أن تخل بأدب مطلوب ظهوره على ظاهرك، أو حصوله في باطنك في حال أصلاً، سواء كان الأدب بينك وبينه، أو بينك وبين خلقه، والله الموفق.

وقال أبو الحسين النوري رحمه الله تعالى: من لم يتأدب للوقت، فَوَقْتُهُ مَقْتٌ.

وعقد الجد شيخ الإسلام الجد رضي الله تعالى عنه في «الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد» بقوله: [من الرجز]

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذا أَدَبٍ فِيْ الْوَقْتِ
عادَ عَلَيْهِ وَقْتُهُ بِالْمَقْتِ

فيتعين مطالبة النفس بالأدب في كل حين؛ لأنه قد لا يوافق أخلاقها فيحملها عليه، ولا يسامحها في شيء منه وإن قل؛ فإن الحاجة إلى الأدب شديدة الاهتمام.

ومن ثم قال الإمام عبدالله بن المبارك رضي الله تعالى عنه: نحن

إلى قليل من الأدب، أحوج منا إلى كثير من العلم[1].

وبيانه: أن العلم محبوب للنفس كله، وهي متطلبة إلى التلبس به أبداً، كما قال النبي ﷺ: «مَنْهُومانِ لا يَشْبَعانِ: طالِبُ عِلْمٍ، وَطالِبُ دُنْيا». رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه[2].

بخلاف الأدب؛ فإنه خلاف هوى النفس غالباً، ومن ثم سميت عقوبة العبد على الأدب تأديباً وأدباً.

ثم الأدب لا يتيسر من جهة النفس حتى يعاشر أهل الأدب، ويخالطهم، ويذل لهم، ويغتنم صحبتهم قبل فوات أحيانهم، وتغيب أعيانهم.

ومنذ زمان طويل قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: طلبنا الأدب

---

(١) ذكره القشيري في «رسالته» (ص: ٣١٧)، وورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٤٥).

(٢) كذا عزاه المؤلف إلى أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وإنما رواه الحاكم في «المستدرك» (٣١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٣٨٨) عن ابن مسعود، والبزار في «المسند» (٤٨٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٧٠) عن ابن عباس. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٢٦): رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، والبزار، والطبراني في «الأوسط» من حديث ابن عباس بسند لين.

حين فات المؤدبون. رواه عنه القشيري في «الرسالة»[1].

وحكى عنه فيها تلك المقالة، وذكر فيها ـ أيضاً ـ القصة المعروفة عن الجنيد رضي الله تعالى عنه: أن السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ رحمه الله تعالى استقضاه في حاجة، فقضاها له سريعاً، قال: فلما رجعت إليه ناولني رقعة، وقال: هذا لمكان قضاء حاجتك لي سريعاً، فقرأت الرقعة فإذا فيها: سمعت حادياً يحدو في البادية: [من الرجز]

أَبْكِيْ وَمَا تَدْرِيْنَ مَا يُبْكِيْنِيْ ... أَبْكِيْ حِذَارَ أَنْ تُفَارِقِيْنِي

وَتَقْطَعِيْ حَبْلِيْ وَتَهْجُرِيْنِيْ[2]

وقد أنزل الله تعالى نبيه ﷺ من الأدب بالمنزلة العليا، وخصه منه بالآية الكبرى حتى صار أهلاً لمناجاته، ومشافهته في ليلة الإسراء التي خصه بها دون سائر الأنبياء، ثم حفظ عليه الأدب في تلك الحالة، كما وصفه به في قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧]، ثم أمره بحفظ الأدب في سائر أحيانه بألطف الإشارة في قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩]؛ عبر بالقيام عن مطلق الحركة؛ أي: حين تتحرك في أي أمر كان، وفي أي وقت كان، فاحفظ الأدب فيه؛ فإني مطلع عليك في سائر حركاتك وفي صلاتك.

---

(١) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣١٧)، وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٩).

(٢) انظر «الرسالة» للقشيري (ص: ٣٦٢).

فالأدب الذي يكون به العبد متشبهاً بالصَّالحين هو الأدب الذي أدَّب الله به نبيه ﷺ، وأمره أن يؤدب به النَّاس.

روى العسكري في «أمثاله» عن علي رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي»(١).

ورواه ابن السمعاني من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وزاد فيه: «ثُمَّ أَمَرَنِيْ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[الأعراف: ١٩٩] الآية»(٢).

روى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِيْ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِيْ، وَأَنْ أُوَادِبَكُم»، الحديث(٣).

وروى البيهقي في «الشعب» عن سمُرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كُلُّ مُؤْدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَىْ مآدبه، وأدب اللهِ الْقُرْآنُ فَلا تَهْجُرُوْهُ»(٤).

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٧٥): المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

(٢) رواه ابن السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ١). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٧٣): سنده منقطع، فيه من لم أعرفه.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٨٥).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠١٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٣).

وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يُؤْدِبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»[1].

قلت: الصاع في الحديث مبهم، فيحتمل أن يكون المراد صاعاً من طعام، وهو المتبادر، ويحتمل أن يكون صاعاً من ذهب أو دُرٍّ، والأدب في نفس الأمر أنفس من ذلك، فلا عَدَّ فيه، والله الموفق.

وروينا في «رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري» رحمه الله تعالى عن أبي نصر الطوسي رحمه الله تعالى قال: الناس في الأدب على ثلاث طبقات:

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة، والبلاغة وحفظ العلوم، وأسمار الملوك، وشعر العرب.

وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ العهود، وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوص فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥١) وقال: غريب، وناصح هو أبو العلاء كوفي، ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يُعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه.
قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ٢٤٠): قال أبي: هذا حديث بهذا الإسناد منكر، وناصح ضعيف الحديث.
وقال المزي في «تحفة الأشراف» (٢/ ١٦٠): أصاب ـ الترمذي ـ في قوله: الكوفي، ووهم في قوله: ابن العلاء، إنما ذلك آخر بصري له حديث واحد، وكلاهما ضعيف.

الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب[1].

وقد ذكر الإمام النووي في كتاب الآداب من «رياضه» جملة ينبغي أن نشير إليها، ونأتي مع الاختصار عليها مع ما فتح الله به، وضُمَّ إليها:

١ ـ فمنها: الحياء.

روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ لا يَأْتِيْ إِلاَّ بِخَيْرٍ»[2].

وروى مسلم، وأبو داود عنه ـ أيضاً ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»[3].

وذكر الماوردي عن الرياشي قال: يقال: إن أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه كان يتمثل بهذا الشعر: [من البسيط]

وَحاجَةٍ دُوْنَ أُخْرَىٰ قَدْ سَنَحْتُ لَهَا
جَعَلْتُهَا لِلَّتِيْ أَخْفَيْتُ عُنْوَاناً
إِنِّيْ كَأَنِّيْ أَرَىٰ مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ
وَلا أَمَانَةَ وَسْطَ الْقَوْمِ عُرْيَاناً[4]

---

(١) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣١٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٣٧).

(٣) رواه مسلم (٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٦).

(٤) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٠٨). والبيتان لسَوَّارِ بنِ المُضرِّبِ، كما في «تاج العروس» (٣٥/ ٤١٩).

قال النووي: قال العلماء: حقيقة الحياء خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[1]. انتهى.

قلت: وهذا مفهوم من الحديث: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كلامِ النُّبُوَّةِ الأُوْلَىْ: إِذا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ». رواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، والإمام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه[2].

وأنشدوا في المعنى: [من الوافر]

وَرُبَّ قَبِيْحَةٍ ما حالَ بَيْنِيْ
وَبَيْنَ رُكُوْبِها إِلاَّ الْحَياءُ
وَكانَ هُوَ الدَّواءَ لَها وَلَكِنْ
إِذا ذَهَبَ الْحَياءُ فَلا دَواءُ
إِذا لَمْ تَخْشَ عاقِبَةَ اللَّيالِيْ
وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ ما تَشاءُ
فَلا وَاللهِ ما فِيْ الْعَيْشِ خَيْرٌ
وَلا الدُّنْيا إِذا ذَهَبَ الْحَياءُ

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢١)، والبخاري (٣٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣) عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٣) عن حذيفة رضي الله عنه.

يَعِـيْشُ الْمَـرْءُ مـا اسْـتَحْيَىْ بِخَيْـرٍ
وَيَبْقَـىْ الْعُـوْدُ مـا بَقِـيَ اللِّحَـاءُ

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والأستاذ أبو القاسم القشيري، والحاكم، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «اسْتَحْيُوْا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَياءِ»، قالوا: إنا نستحي يا نبي الله، قال: «لَيْسَ ذاكَ، وَلَكِنَّ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَياءِ فَيَحْفَظُ الرَّأْسَ وَما وَعَىْ، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَما حَوَىْ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىْ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِيْنَةَ الدُّنْيَا؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»(١).

قلت: لم يقبل منهم ﷺ دعوى الحياء، بل بين لهم أن الحياء ليس بالدعوى، بل ببذل المجهود في طلب مرضاة المعبود بالاشتغال به دون الاشتغال بشيء سواه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٢٤٥٨)، والقشيري في «الرسالة» (ص: ٢٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٦١). وقال الترمذي: حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد.
قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٨): أبان والصباح مختلف فيهما، وقد ضعف الصباح برفعه هذا الحديث، وصوابه عن ابن مسعود موقوفاً عليه، ورواه الطبراني من حديث عائشة مرفوعاً.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٤): رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٤٢) وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وهو متروك.

وقال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدَّقاق رحمه الله تعالى يقول: الحياء ترك الدعوى بين يدي الله تعالى[1].

قال: وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الحياء، فقال: رؤية الآلاء، ورؤية التقصير يتولد منهما، حالة تسمى الحياء[2].

أي: حالة تبعث على شكر الآلاء، وتنزيه النفس عن التقصير في حق ذي النعماء.

٢ ـ ومنها: إنجاز الوعد، وحفظ العهد، ويدخل فيه صيانة الأسرار:

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة: ١].

وروى مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: وما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرْ بسر رسول الله ﷺ أحداً.

قال أنس رضي الله تعالى عنه: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت[3].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٥٢).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٥٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤٨٢)، ورواه البخاري (٥٩٣١) مختصراً.

* تَنْبِيهٌ:

إذا كان سر الخلق مأموراً بحفظه العبد، ممنوعاً من إفشائه؛ فما ظنك بسر الحق سبحانه وتعالى؟

فمهما أَسَرَّ الله تعالى إلى عبد من عباده بشيء من أسراره إلهاماً في اليقظة، أو في المنام، أو أطلعه على غيب من غيوبه، فليس له إفشاؤه إلا إذا أذن له في الإفشاء.

وقال أبو بكر الشبلي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة سبحانه وتعالى في المنام، فسألته عن الحسين بن منصور[1] رحمه الله تعالى، فقال: إنه عبد من عبيدي استودعته سراً من أسراري، فأذاعه، ففعلت به ما ترى[2].

وأنشدوا: [من البسيط]

مَنْ سَارَرُوْهُ فَأَبْدَىْ السِّرَّ مُشْتَهِرَا
لَمْ يَأْمَنُوْهُ عَلَىْ الأَسْرارِ ما عاشَا

---

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٠٦): الحسين بن منصور الحلاج، المقتول على الزندقة، ما روى ولله الحمد شيئاً من العلم، وكانت له بداية جيدة وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه، فقتل سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

(٢) ذكره الذهبي في «العبر في خبر من غبر» (٢/ ١٤٩) عن أحمد بن فاتك.

وَجَــانَبُوْهُ فَلَــمْ يَــسْعَدْ بِقُــرْبِهِمُ
وَأَبْــدَلُوْهُ مَكَــانَ الأُنْــسِ إِيْحَاشَــاً

لا يَــصْطَفُوْنَ مُــذِيْعاً بَعْــضَ سِــرِّهِمُ
حاشَــا وِدَادَهُــمُ مِــنْ ذَلِكُــمْ حاشَــا

وتقدم قول الــسهروردي المعروف بالشــاب الظريف رحمـه الله تعالى:

بِالــسِّرِّ إِنْ بــاحُوْا تُبَــاحُ دِمَــاؤُهُمْ
وَكَــذا دِمــاءُ الْبــائِحِيْنَ تُبَــاحُ[1]

وقد أُخِذَ بفتواه، فقتل بحلب في كلام به فَاهَ، وقصة قتله مشهورة، وفي كتب التاريخ مذكورة[2].

٣ ـ ومنها: المحافظة على ما اعتاده من الأوراد:

قـال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[النحل: ٩٢].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَاللهِ! لا تَكُنْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٨/ ١١٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣١٣).

مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُوْمُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى: أن سليمان عليه السَّلام قال لابنه: يا بُنَيَّ! ما أقبح الخطيئةَ مع المسكنة، وأقبح الضلالةَ بعد الهدى، وأقبحُ من ذلك رجل كان عابداً فترك عبادة ربه[2].

قلت: إنما كان حالُهُ أقبحَ لأن العبد إذا أقبل على الله أقبل الله سبحانه وتعالى عليه، فإذا أعرض أعرض عنه، ولا يليق الإعراض إلا عن من يَمَلُّ ويُمَلُّ، وهو سبحانه وتعالى لا يَمَلُّ ولا يُمَلُّ.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٢].

نزلت هذه الآية ـ كما في «الصحيحين» ـ في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه؛ كان ينفق على مِسْطَح بن أُثَاثة لقرابته منه، وفقره، ثم حلف أن لا ينفق على مسطح شيئاً بعد الذي قال لعائشة رضي الله تعالى عنها ما قال، فأنزل الله الآية، فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: بلى إني أحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٠)، والبخاري (١١٠١)، ومسلم (١١٥٩)، والنسائي (١٧٦٣)، وابن ماجه (١٣٣١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤١).

إلى مسطح نفقته، وقال: لا أنزعها عنه أبداً، وكفَّر عن يمينه[1].

وفي ذلك إشارة إلى أن من أخلاق الصَّالحين وآدابهم، الانقياد لأمر الله تعالى، وإيثار أمره على حق النفس، والتكفير عن اليمين إذا كان غيرها خيراً منها.

وقد روى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَىْ يَمِيْنٍ، فَرَأَىْ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِيْنِهِ»[2].

٤ ـ ومنها: الْحِلْم، وكظم الغيظ، واحتمال الأذى، والعفو عن الناس، والصفح الجميل عنهم، والإحسان إليهم، والإعراض عن الجاهلين:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[النور: ٢٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١)، ومسلم (١٦٥٠)، والترمذي (١٥٣٠).

وروى مسلم، والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيْكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(١).

وروى الخطيب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَلِيْمُ سَيِّدٌ فِيْ الدُّنْيَا، وَسَيِّدٌ فِيْ الآخِرَةِ».

وروى أبو نعيم، وغيره عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ قالَ: يا عِيْسَىْ! إِنِّيْ باعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصابَهُمْ ما يُحِبُّوْنَ حَمِدُوْا وَشَكَرُوْا، وَإِنْ أَصابَهُمْ ما يَكْرَهُوْنَ احْتَسَبُوْا وَصَبَرُوْا، وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ، قالَ: يا رَبِّ! كَيْفَ يَكُوْنُ هَذَا وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيْهِمْ مِنْ حِلْمِيْ وَعِلْمِيْ»(٢).

قوله: «وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ»؛ أي: لا حلم تحلم ودعوى، ولا علم تعلم ودعوى، بل حلماً وعلماً مفاضين عليهم من فيض فضل ليس لهم فيه حول ولا قوة.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى

---

(١) رواه مسلم (١٧)، والترمذي (٢٠١١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٧)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٨): ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحسن بن سوار، ويزيد بن ميسرة، وهما ثقتان.

قال: قال الأحنف بن قيس رضي الله تعالى عنه: إني لست بحليم، ولكن أتحالم[1].

٥ ـ ومنها ـ وهو أعم مما قبله ـ: حسن الخلق:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

وروى الإمام أحمد، والنَّسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سئل: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ»[2].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ إِسْلاماً أَحاسِنُكُمْ أَخْلاقاً إِذَا فَقُهُوْا»[3].

وروى ابن ماجه، والحاكم وصححه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٤)، وكذا رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٦٢٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٦).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٥)، وكذا رواه في «صحيحه» (٥٦٨٨) عن عبدالله بن عمرو بلفظ: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً».

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٣).

وروى المستغفري في «مسلسلاته»، وابن عساكر في «تاريخه» عن الحسن بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ إِبْراهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: يا خَلِيْلِي! حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَداخِلَ الأَبْرارِ؛ فَإِنَّ كَلِمَتِيْ سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظِلَّهُ فِيْ عَرْشِيْ، وَأَنْ أُسْكِنَهُ حَظِيْرَةَ قُدُسِيْ، وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوارِيْ».

٦ ـ ومنها: الرفق:

روى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»[2].

ورواه ابن أبي الدُّنيا في «ذم الغضب»، والحكيم الترمذي، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وأبو نعيم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، ولفظه: «يَا عائِشَةُ! إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»، الحديث[3].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ١١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥١)، والترمذي (٢٠١٣) واللفظ له، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٦١)، وأبو نعيم في «حلية =

وروى مسلم عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لها: «يَا عائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِيْ عَلَىْ الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِيْ عَلَىْ الْعُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِيْ عَلَىْ ما سِوَاهُ»[1].

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود عن عبدالله بن مغفل رضي الله تعالى عنه، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، والإمام أحمد، والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والبزار عن أنس رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه كلهم بلفظ: «إِنَّ اللهَ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِيْ عَلَىْ الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِيْ عَلَىْ الْعُنْفِ»[2].

= الأولياء» (٩/ ١٥٩)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩).

(١) رواه مسلم (٢٥٩٣)، ورواه البخاري (٦٥٢٨) مختصراً.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٢)، وأبو داود (٤٨٠٧) عن عبدالله ابن مغفل رضي الله تعالى عنه.

وابن ماجه (٣٦٨٨)، وابن حبان (٥٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤١٥)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٠٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والبزار في «المسند» (٦٥١٩) عن أنس رضي الله تعالى عنه.

والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٧٧)، وفي «مسند الشاميين» (٤٢١) عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه.

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالرِّفْقِ؛ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِيْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زانَهُ، وَلا نُزِعَ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

٧ ـ ومنها: الأناة، والتُّؤَدَةُ:

كما في حديث الأشج السَّابق في الحلم.

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، والطَّبراني عن هود العصري، عن جده ـ واسمه: مزيدة العبدي كما في «صحيح البخاري»[2] ـ قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «إِنَّهُ سَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ فِيْ هَذَا الْوَجْهِ رَكْبٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ»، فقام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتوجه في ذلك الوجه، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فرحب وقرب، وقال: من القوم؟ قالوا: نفر من عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد؟ لتجارة؟ قالوا: لا، قال: فتبيعون سيوفكم هذه؟ قالوا: لا، قال: فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل؟ قالوا: أجل، فمشى يحدثهم حتى إذا نظر إلى رسول الله ﷺ قال: هذا صاحبكم الذي تطلبون، فرمى القوم بأنفسهم عن رحالهم، فمنهم من سعى، ومنهم من هرول، ومنهم من مشى حتى أتوا رسول الله ﷺ، وقعدوا إليه، وبقي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٥٨)، وأبو داود (٤٨٠٨)، ورواه مسلم (٢٥٩٤) مختصراً.

(٢) لم أجده في «صحيح البخاري»، وهو في «الأدب المفرد» له (٥٨٧).

الأشج ـ وهو أصغر القوم ـ، فأناخ الإبل، وعقلها، وجمع متاع القوم، ثم أقبل يمشي على تُؤَدَةٍ حتى أتى النبي ﷺ، فأخذ بيده، فقبلها، فقال له النبي ﷺ: «فِيْكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ»، قال: ما هما يا رسول الله؟ قال: «الأَنَاةُ وَالتُّؤَدَةُ»، فقال: يا نبي الله! أَجَبْلٌ جُبِلْتُ عليه، أو خُلُقٌ مني؟ قال: «بَلْ جَبْلٌ جُبِلْتَ عَلَيْهِ»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله.

وأقبل القوم على تمرات لهم يأكلونها، فجعل النبي ﷺ يحدثهم، يسمي لهم هذا كذا، وهذا كذا، قالوا: أجل يا رسول الله! ما نحن أعلم بأسمائها منك، فقال: «أَجَلْ»، فقالوا لرجل منهم: أطعمنا من القوت الذي بقي في نوطك، فأتاهم بالبَرني، فقال النبي ﷺ: «هَذَا الْبَرْنِيُّ أَمَا إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ تَمْرِكُمْ، دَواءٌ لا داءَ فِيْهِ»(١).

قلت: التُّؤَدَةُ ـ بضم المثناة وفتح الهمزة بعدها ـ التأني، وهو الأناة؛ كذا فسره في «النهاية»، وغيرها من كتب اللغة(٢).

ولكن هذا الحديث يدل أن بينهما فرقاً؛ لأن النبي ﷺ جعلهما خصلتين، ولعل الثاني يرجع إلى صفة القلب، فكأنه يعني الصبر، وترك

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٧) مختصراً، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٤٥) واللفظ له. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٨٨): رواه الطبراني وأبو يعلى ورجالهما ثقات، وفي بعضهم خلاف.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٧٨)، و«لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٧٥) (مادة: أود).

الضجر في الأمور، والتؤدة ترجع إلى عمل الجوارح، وهي فعل الشيء بالْهُوَيْنا من غير إسراع ولا استعجال.

وروى الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الأَناةُ مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ»[1].

وأخرجه البيهقي في «الشعب» بلفظ: «التَّأَنِّيْ» من حديث أنس رضي الله عنه[2].

وروى أبو داود، والحاكم، والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التُّؤَدَةُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلاَّ فِيْ عَمَلِ الآخِرَةِ»[3].

٨ ـ ومنها: قِرَى الضيف، وإكرامه، والبشاشة في وجهه، وطيب الكلام، وطلاقة الوجه عند اللقاء:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٢) وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعفه.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٦٧)، وكذا رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٥٦). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٤): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو داود (٤٨١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤١١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي حديث أبي شريح، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما المتقدم: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». رواه الشيخان[١].

ورواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه.

وروى الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «إِنَّ فِيْ الْجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىْ ظاهِرُها مِنْ باطِنِها، وَباطِنُها مِنْ ظاهِرِها؛ أَعَدَّها اللهُ تَعالَىْ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ، وَأَلانَ الْكلامَ، وَتابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ»[٢].

وروي من حديث أبي مالك وغيره، كما تقدم[٣].

وروى ابن المبارك عن مكحول مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُوْنَ هَيِّنُوْنَ لَيِّنُوْنَ»، الحديث[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٣٠)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٨) وقال: مرسل.

وأوصله البيهقي بابن عمر رضي الله عنهما[1].

وروى مسلم عن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوْفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخاكَ بِوَجْهٍ طَلِيْقٍ»[2].

وكان عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: [من الرجز]

بَنِيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنُ ... وَجْهٌ طَلِيْقٌ وَكَلامٌ لَيِّنُ[3]

رواه الأصبهاني.

٩ ـ ومنها: الوعظ، والاقتصاد فيه، والاستنصات فيه، وتفهمه للسَّامع:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف: ٢٠٤].

وروى الشيخان، وغيرهما عن أبي وائل رحمه الله تعالى قال: كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يذكرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرَّحمن! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم فقال: أما إنه

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٩) وقال: المرسل أصح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦) ولفظه: «بوجه طلق».

(٣) وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٨٠).

يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أَتَخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها[1]؛ أي: يتعهدنا بها مخافة السآمة علينا.

* **تَنْبِيْهٌ:**

وينبغي لمن حضر مجلس الوعظ، أو درس العلم أن ينصت، ويلقي عليه سمعه لما يملى ليفهم، ولا يكثر اللغط في المجلس.

وكذلك لو كان في مجلس مشورة أو مسامرة فيه من هو أولى بمفاتحة الحديث، فوظيفته الإنصات، وعدم اللغط.

وقد أخرج البيهقي، وابن عساكر عن محمَّد بن كعب القرظي مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَجَالَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً فَلَمْ يُنْصِتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، إلاَّ نُزِعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الْبَرَكَةُ»[2].

١٠ ـ ومنها: الخشوع، والخضوع بين يدي الله تعالى، والسكينة، والوقار، خصوصاً في إتيان الصَّلاة، وطلب العلم:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ٤٥ ـ ٤٦]

---

(١) رواه البخاري (٧٠) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢١).

(٢) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص: ٢٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٣٦١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، والخشوع في الصوت والبصر، والخضوع في البدن.

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن الخشوع، فقال: الخشوع في القلب أن تلين كنفك للمرء المسلم، وأن لا تلتفت في صَلاتك[1].

وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»[2].

وروى هو، والبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَوَّذُوْا بِاللهِ مِنْ خُشُوْعِ النِّفَاقِ»، قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟ قال: «خُشُوْعُ الْبَدَنِ، وَنِفَاقُ الْقَلْبِ»[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٢).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٥) وقال: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠)، والبيهقي في =

وروي نحـوه عن أبي الـدرداء رضي الله تعـالى عنـه موقوفـاً عليه[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد وصححه، عن حذيفة ﷺ قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصَّلاة[2].

وروى الطَّبراني في «الكبيـر» عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الْخُشُوْعُ، حَتَّىْ لا تَرَىْ فِيْها خاشِعاً»[3].

وله نحوه من حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه[4].

= «شعب الإيمان» (٦٩٦٧). قال العراقي في «تخريج أحاديـث الإحيـاء» (٢/ ٩٤٢): رواه البيهقي في «الشعب» وفيـه الحارث بن عبيد الأيادي، ضعفه أحمد وابن معين.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٦٦)، ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٠٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٧٩).

(٣) كذا عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٠٤) إلى الطبراني وحسنه، وأصل الحديث عند الترمذي (٢٦٥٣) وحسنه.

(٤) رواه الطبـراني في «المعجم الكبير» (٧١٨٣)، ورواه أيضاً في «المعجم الكبير» (١٨/ ٤٣) عن عوف بن مالك الأشجعي.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ضَمْرة بن حبيب مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الأَمَانَةُ وَالْخُشُوْعُ»(١).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا أُقِيْمَتِ الصَّلاةُ فَلا تَأْتُوْهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوْهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُوْنَ عَلَيْكُمُ السَّكِيْنَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوْا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوْا»(٢).

زاد مسلم في رواية له: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كانَ يَعْمَدُ إِلَىْ الصَّلاةِ فَهُوَ فِيْ صَلاةٍ»(٣).

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والخطيب في «جامعه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُذْهِبُ بَهاءَ الْمُؤْمِنِ»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٩٥).

(٢) رواه البخاري (٨٦٦)، ومسلم (٦٠٢).

(٣) رواه مسلم (٦٠٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٠) عن أبي هريرة.
ورواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٩٤) عن ابن عمر.
وإسنادهما ضعيفان؛ أما حديث أبي هريرة فقد قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/ ٢٦٦): حديث منكر جداً.
وأما حديث ابن عمر فقد قال ابن طاهر المقدسي في «التذكرة في الأحاديث =

وروى أبو القاسم بن بشران في «أماليه» عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُذْهِبُ بَهَاءَ الْوَجْهِ»(١).

والمراد: الإسراع الحثيث لأنه يخل بالوقار.

وقوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣]؛ أي: برفق واقتصاد.

وليس المراد به مشي المتماوتين؛ فرب ماشٍ هوناً رويداً وهو ذئب أطلس.

وقد قيل فيمن هذا حالهم: [من مجزوء الرمل]

كُلُّهُمْ يَمْشِي رُوَيْدَهْ ... كُلُّهُمْ يَطْلُبُ صَيْدَهْ(٢)

وقال الله تعالى حكاية عن لقمان عليه السَّلام: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩]

قوله: ﴿وَٱقْصِدْ﴾؛ أي: اقتصد في مشيك: لا مشي المتماوتين، ولا مشي الجبارين.

= الموضوعة» (ص: ١٥٨): فيه الوليد بن سلمة الطبراني ومحمد بن عمر بن صهبان، كذاب وضعيف.

(١) وكذا رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٥٢) إلا أنه قال: «بماء الوجه».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢١٨)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٦٩).

وقال الله تعـالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء: ٣٧].

وروى الترمذي في «الشمائل»: أن علياً رضي الله تعالى عنه كـان إذا وصف النبي ﷺ قال: كـان إذا مشى تقلَّع، كأنما ينحـط من صَبَب[١].

وفي رواية أخرى: كان إذا مشى تَكَفَّأ تكفـؤاً، كأنما ينحط من صبب[٢][٣].

وفي حديث آخر: كان يمشي هوناً ذريع المشية[٤].

فالتقلع: رفع الرجل بقوة.

والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده.

والهون: الرفق والوقار.

والذريع: الواسع الخطو؛ أي: إن مشيه كان يرفع فيـه رجليـه بسرعـة، ويمد خطوه خلاف مشية المختال، وكل ذلك برفـق، وتثبت دون عَجَلة، كما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[٥].

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١١٣)، وكذا رواه في «سننه» (٣٦٣٨).

(٢) الصبب: ما انحدر من الأرض.

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣١).

(٤) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٨) عن هند بن أبي هالة.

(٥) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٢٩).

وروى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يمشي مشياً يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان[1].

والذي تلخص من الآيات والأحاديث: أن الأدب في المشي الاقتصاد والتوسط بين الإسراع الحثيث، وبين التماوت والاختيال.

وقد يحسن أحد الطرفين كالاختيال في الحرب، وكالإسراع إلى حضور جنائز الصالحين خشية الفوات، كما تقدم أن النبي ﷺ أسرع إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه إسراعاً كلياً.

ومن هذا القبيل قول الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى: [من المنسرح]

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْكِنَانِيْ ... عَنْ أَبِهِ صاحِبِ الْخَطابَهْ

أَسْرِعْ أَخَا الْعِلْمِ فِيْ ثلاثٍ ... الأَكْلِ وَالْمَشْيِ وَالْكِتَابَهْ[2]

وقوله: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان: ١٩]؛ أي: اخفض من صوتك عند الملأ، كما رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى.

والأدب في رفع الصوت أن يقتصر منه على قدر الحاجة في إسماع المخاطب.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٦١).

(٢) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٥٥).

وقد قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله الله للحمير. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

وإذا كان الاقتصاد في قراءة القرآن مقصوداً فكيف بغيره، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ١١٠].

وكذلك يطلب الأدب من المستمع، وقد سبق أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا كانوا بين يديه كأنما على رؤوسهم الطير.

وكذلك من الأدب غض الطرف عن فضول النظر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

وقد أتينا في كتاب «منبر التوحيد في شرح الجوهر الفريد» على آداب الإغضاء بما ليس عليه مزيد.

١١ ـ ومنها: إهداء الهدية، وقبولها، ما لم تكن رشوة، والمكافأة عليها، وإتحاف الصديق والقريب بالشيء، وإعطاء ولده الشيء إذا دخل عليك:

روى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها[2].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٩٠)، وأبو داود (٣٥٣٦)، والترمذي (١٩٥٣)، وكذا رواه البخاري (٢٤٤٥).

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَهَادُوْا؛ إِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ»[1].

وروى ابن عساكر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَهَادُوْا تَحابُّوْا، وَتَصافَحُوْا يَذْهَبِ الْغِلُّ عَنْكُمْ»[2].

وروى الدينوري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ صَبِيُّ جَارِكَ فَضَعِيْ فِيْ يَدِهِ شَيْئاً؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحِقُّ لَكِ الْمَوَدَّةَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ»[3].

١٢ ـ ومنها: إدخال السرور على قلوب المؤمنين، والتودد إليهم، والتردد إلى إخوانه منهم من غير إذلال لنفسه في طلب دنيا:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠].

وروى الطَّبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىْ اللهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخالُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٥)، و(٢/ ٢٦٤)، ورواه الترمذي (٢١٣٠) وقال: غريب.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٢٢٥).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٧٩)، وكذا ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٠٥).

السُّرُوْرِ عَلَىْ الْمُسْلِمِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ـ أَيْ: بَعْدَ الْفَرَائِضِ كَمَا فِيْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ أَنْ تُدْخِلَ عَلَىْ أَخِيْكَ الْمُسْلِمِ سُرُوْراً، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْناً، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزاً»[2].

وروى الطبراني في «مكارم الأخلاق» عن أبي هريرة ـ أيضاً ـ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ بَعْدَ الإِيْمَانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَىْ النَّاسِ»[3].

قلت: ومن شرط التودد إلى الناس أن لا يكون لدنيا، أو لرياء، أو يخص به الأغنياء دون الفقراء، بل إن خُصَّ، فالفقراء والصالحون.

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات: من قرأ كتاب الله فظن أن لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ﷻ، ومن شكا مصيبة، فإنما يشكو ربه ﷻ، ومن أسف على ما في يد غيره، سخط قضاء ربه ﷻ، ومن تضعضع لغني ذهب،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٧٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٣): فيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٩٥)، وكذا رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧٨).

(٣) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٧١).

ثلثا دينـه. رواه أبو نعيم[1].

وروى البيهقي في «الشعب» بإسناد ضعيف، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مَحْزُوْناً عَلَىْ الدُّنْيا أَصْبَحَ سَاخِطاً عَلَىْ ربِّهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُوْ مُصِيْبَةً نَـزَلَتْ بِهِ، فَإِنَّمَا يَشْكُوْ ربَّهُ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَىْ غَنِيٍّ فَتَضَعْضَعَ لَهُ، ذَهَبَ ثُلُثَا دِيْنِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَهُوَ مِمَّنِ اتَّخَذَ آياتِ اللهِ هُزُوَاً»[2].

والحكمة في ذهاب الثلثين أن التضعضع يكون ظاهره باللسان وبالجوارح، وأما القلب فإن أمره خفي.

قلت: فإذا وجد الإنسان من قلبه للغني ضعضعةً فليمسك، وليحذر من النفاق.

١٣ ـ ومنها: التهنئة، والتبشير بالخير لإخوانه المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[الزمر: ١٧ ـ ١٨].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٨)، وكذا رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٤٥). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٤٠) ـ عنه وعن حديث آخر ـ: واهيان جداً، حتى أن ابن الجوزي ذكرهما في الموضوعات.

وقال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾[الحاقة: ٢٤].

وقد ألف السيوطي رحمه الله تعالى جزءاً أسماه «وصول الأماني بأصول التهاني»، فذكر فيه التهنئة بالفضائل العلمية، والمناقب الدينية، والتهنئة بالتوبة، وبالعافية، وبتمام الحج، وكذلك سائر العبادات، والتهنئة بالقدوم من الحج، ومن الغزو، وبالنكاح، وبالمولود، وبدخول الحمام، وبشهر رمضان، وبسائر الأشهر، وبالعيد، وبالثوب الجديد، وبالصباح، والمساء، وذكر أدلة ذلك من الحديث والآثار.

قلت: وفاتَهُ التهنئة بقدوم الغائب، ودليلها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾[يوسف: ٩٦].

ولا يختص ذلك بما ذكر، بل يلحق به التهنئة بعَوْدِ الآبق، والضالَّةِ، وحصول الفرج، وغير ذلك من النعم المقاربة للمعنى.

والمراد بذلك إدخال السرور على قلوب المسلمين، وهو من أخلاق الصالحين، وآدابهم كما سبق.

وروى الطبراني في «معجمه الصغير» بإسناد حسن، وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ لِيَسُرَّهُ، سَرَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١١٧٨). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٤/ ٢٤٠٠): حديث منكر بهذا الإسناد.

١٤ ـ ومنها: تنفيس كروب المسلمين، وقضـاء حوائجهم، وستر عوراتهم، وتعزيتهم في مصائبهم:

روى البخاري، وأبو داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُوْ الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ، وَلا يُسْلِمُهُ، مَنْ كانَ فِيْ حاجَةِ أَخِيْهِ كانَ اللهُ فِيْ حاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(١).

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَزَّىْ مُصَاباً، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ صاحِبِـهِ»(٢).

١٥ ـ ومنها: تنحية الأذى عن طريق المسلمين:

روى مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإِيْمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُوْنَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُها قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْناها إِماطَةُ الأَذَىْ عَنِ الطَّرِيْقِ، وَالْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمانِ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٣١٠)، وأبو داود (٤٨٩٣). وكذا رواه مسلم (٢٥٨٠)، والترمذي (١٤٢٦).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧٣) وقال: هذا حديث غريب وروي موقوفاً، وكـذا رواه ابن ماجه (١٦٠٢). وضعف النووي إسناده في «خلاصة الأحكام» (٢/ ١٠٤٦).

(٣) رواه مسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجـه (٥٧).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِـيْ بِأَعْمالِها حَسَنِها وَسَيِّئِها، فَرَأَيْتُ فِيْ مَحاسِنِ أَعْمالِها الأَذَىْ يُنَحَّىْ عَنِ الطَّرِيْقِ، وَرَأَيْتُ فِيْ سَيِّءِ أَعْمالِها النُّخَامَةَ فِيْ الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ»(١).

١٦ ـ ومنها: كف الإنسان أذاه عن الناس:

روى الطبراني في «الكبير» واللفظ له، وسنده حسن، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي كثير السُّحَيْمِيِّ، عن أبيـه قال: سألت أبـا ذر رضي الله تعالى عنه قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، قال: «يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ»، قلت: يا رسول الله! إن مع الإيمان عملاً، قال: «يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ»، قلت: يا رسول الله! أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوْفِ، وَيَنْهَىْ عَنِ الْمُنْكَرِ»، قلت: أرأيت إن كان عَيِيّاً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: «يَصْنَعُ لأَخْرَقَ»، قلت: أرأيت إن كان أخرق لا يصنع شيئاً؟ قال: «يُعِيْنُ مَغْلُوْباً»، قلت: أرأيت إن كان ضعيفاً؟ قال: «أَلا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُعِيْنَ مَغْلُوْباً؟» قال: «مَا تُرِيْدُ أَنْ يَكُوْنَ فِيْ صاحِبِـكَ مِنْ خَيْـرٍ؟ يُمْسِكُ عَنْ أَذَى النَّـاسِ»، فقلت: يا رسول الله! إذا فعل دخل الجنة؟ قال: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٣٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٨)، ومسلم (٥٥٣)، وابن ماجه (٣٦٨٣).

هَؤُلاءِ إِلاَّ أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّىْ تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[1].

وأخبرني بعض إخواننا الثقات عن أخي الشيخ العارف بالله شهاب الدين أحمد رحمه الله تعالى أنه كان كثيراً ما ينشد:

[من مجزوء الخفيف]

يَـا خَلِيْلَـيَّ عَـدِّيَا عَـنْ حَـدِيْثِ الأَكَـارِمِ
مَـنْ كَفَـىْ النَّـاسَ شَـرَّهُ فَهُـوَ فِـيْ جُـوْدِ حَـاتِمِ

١٧ ـ ومنها: اصطناع المعروف على أنواع؛ كالقرض، وقيادة الأعمى، وإسماع الأصم، ومساعدة المسلم على حمل حاجته، وقضائها، وتحميل دابته، وإمساك الركاب له، ونحو ذلك، وقد تقدم منه كثير:

روى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه، ومسلم، وأبو داود عن حذيفة رضي الله تعالى عنه، والإمام أحمد عنهما، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ»[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٢).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٤)، وكذا الترمذي (١٩٧٠) عن جابر رضي الله تعالى عنه.
ومسلم (١٠٠٥)، وأبو داود (٤٩٤٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٨) عن حذيفة رضي الله تعالى عنه.
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٥٧) عن ابن عباس.

وروى الطبراني عن ابن مسعود[1] رضي الله تعالى عنه، والخطيب في «الجامع» عن جابر رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَنَعْتَهُ إِلَىٰ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيْرٍ فَهُوَ صَدَقَةٌ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ عَلَىٰ بابِها: الصَّدَقَـةُ بِعَشَرَةٍ، وَالْقَرْضُ بِثَمانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيْلُ! كَيْفَ صارَتِ الصَّدَقَةُ بِعَشَرَةٍ، وَالْقَرْضُ بِثَمانِيَةَ عَشَرَ؟ قالَ: لأَنَّ الصَّدَقَـةَ تَقَعُ فِيْ يَدِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيْرِ، وَالْقَرْضُ لا يَقَعُ إِلاَّ فِيْ يَدِ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ»[3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»[4].

وهما من حديث أبي قتادة: «مَنْ نَـفَّسَ عَنْ غَرِيْمِهِ، أَوْ مَحَا عَنْهُ، كانَ فِيْ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[5].

---

(١) في «أ»: «عن أبي مسعود».

(٢) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٣٨) عن ابن مسعود، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٨٥) عن جابر.

(٣) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٦) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» وقال: فيه عتبة بن حميد، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٧)، ومسلم (٣٠٠٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٠٠)، ومسلم (١٥٦٣) بلفظ مختلف.

وروى أبو داود، والحاكم وصححه، عن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِنْ رَجُلٍ يَعُوْدُ مَرِيْضاً مُمْسِياً، إلاَّ خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ حَتَّىْ يُصْبِحَ، وَمَنْ أَتاهُ مُصْبِحاً خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ حَتَّىْ يُمْسِيَ»(١).

وأخرجه الترمذي وحسنه، وابن جرير وصححه بلفظ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَعُوْدُ مُسْلِماً غُدْوَةً، إلاَّ صَلَّىْ عَلَيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُمْسِيَ، وَإِنْ عادَهُ عَشِيَّةً، إلاَّ صَلَّىْ عَلَيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُصْبِحَ، وَكانَ لَهُ خَرِيْفٌ فِيْ الْجَنَّةِ»(٢).

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، وآخرون عن أُبي بن كعب ﷺ: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ تَبِعَ جَنازَةً حَتَّىْ يُصَلَّىْ عَلَيْهَا، وَيُفْرَغَ مِنْها، فَلَهُ قِيْراطانِ، وَمَنْ تَبِعَها حَتَّىْ يُصَلَّىْ عَلَيْها، فَلَهُ قِيْراطٌ، وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَثْقَلُ فِيْ مِيْزانِهِ مِنْ أُحُدٍ»(٣).

وعند البخاري من حديث أبي هريرة، ومسلم من حديث ثوبان نحوه(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٣٠٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٦٤). ورواه الترمذي أيضاً (٩٦٩) بلفظ قريب.

(٢) رواه الترمذي (٩٦٩) وقال: حسن غريب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٣١)، وابن ماجه (١٥٤١).

(٤) رواه البخاري (١٢٦٠) وكذا رواه مسلم (٩٤٥) عن أبي هريرة، ورواه مسلم (٩٤٦) عن ثوبان.

وروى الدارقطني، والخطيب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَفَّنَ مَيْتاً، كانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْهُ حَسَنَةٌ»(١).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حفَرَ قَبْراً، بَنَىْ اللهُ لَهُ بَيْتاً فِيْ الْجَنَّةِ»، الحديث.

وفيه: «وَمَنْ كَفَلَ يَتِيْماً أَوْ أَرْمَلَةً، أَظَلَّهُ اللهُ فِيْ ظِلِّهِ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ»(٢).

وروى الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكافِلُ الْيَتِيْمِ فِيْ الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وأشار بأصبعيه(٣).

وروى الطبراني في «الكبير» عن صفوان بن عَسَّال رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ زارَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ خاضَ فِيْ رِياضِ الرَّحْمَةِ حَتَّىْ يَرْجِعَ، وَمَنْ عادَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ خاضَ فِيْ رِياضِ الْجَنَّةِ حَتَّىْ يَرْجِعَ»(٤).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٣). قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ٨٣): الظاهر أن هذا حديث موضوع.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٢٩٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١): فيه الخليل بن مرة، وفيه كلام.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣)، والبخاري (٥٦٥٩)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٩١٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٨٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩٨): وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، وهو ضعيف.

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقالَ نادِماً بَيْعَتَهُ، أَقالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[1].

وفي رواية: «مَنْ أَقَالَ مسلماً عثرته أَقَالَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2].

وهو عند أبي داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه بلفظ: «مَنْ أَقالَ مُسْلِماً، أَقالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[3].

وروى الحاكم، وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً، لَمْ يَزَلْ فِيْ سِتْرِ اللهِ ما دامَ عَلَيْهِ خَيْطٌ أَوْ سِلْكٌ»[4].

وأخرجه ابن النجار نحوه، وقال: «كانَ فِيْ حِفْظِ اللهِ ما بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ».

وهو عند الترمذي وحسنه، ولفظه: «ما مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً، إِلاَّ كانَ فِيْ حِفْظِ اللهِ ما دامَ عَلَيْهِ»[5].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَسَا مُؤْمِناً عَلَىْ عُرْيٍ، كَساهُ اللهُ

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٢٩).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٣٠).

(٣) رواه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢٩١).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٤٢٢).

(٥) رواه الترمذي (٢٤٨٤) وحسنه.

تَعَـالَىْ مِنْ إِسْـتَبْرَقِ الْجَـنَّةِ»[1].

وروى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَسَا وَلِيّاً لِلَّهِ ثَوْباً، كَساهُ اللهُ مِنْ أَخْضَرِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَطْعَمَهُ عَلَىٰ جُوْعٍ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمارِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَقاهُ عَلَىْ ظَمَأٍ، سَقاهُ اللهُ مِنْ الرَّحِيْقِ الْمَخْتُوْمِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2].

وروى الطَّبراني في «الصغير» عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَخُوْهُ الْمُسْلِمُ فَيُلْقِيْ لَهُ وِسادَةً إِكْراماً لَهُ وَإِعْظاماً لَهُ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ»[3].

وروى الإمام أحمد عن البراء رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَـانِ فَيُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَىْ صاحِبِـهِ، وَيَأْخُـذُ بِيَدِهِ، لا يَأْخُذُه بيدِه إِلاَّ لِلَّهِ، فَلا يَفْتَرِقانِ حَتَّىْ يُغْفَرَ لَهُمَا»[4].

وروى هو، والترمذي وحسنه، وابن ماجه بلفظ: «ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٢٤٧)، وكذا رواه أبو داود (١٦٨٢)، والترمذي (٢٤٤٩) وقال: حديث غريب، وقد روي هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفاً، وهو أصح عندنا وأشبه.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٧٦١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٤): وفيه عمران بن خالد الخزاعي، وهو ضعيف.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٩).

يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصافَحَانِ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا»[1].

وروى الحاكم في «تاريخه» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ لِضَيْفٍ ذَبِيْحَةً، كانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي عن أبي هريرة، والحاكم، والإمام أحمد، والطبراني عن أبي موسى، والطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْها عُضْواً مِنْ أَعْضائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّىْ يُعْتِقَ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[3].

وروى الإمام عبدالله [بن المبارك] عن عبدالله بن زحر، عن بعض أصحابه مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقَرَّ بِعَيْنِ مُؤْمِنٍ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٣)، والترمذي (٢٧٢٧) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٠٣)، وكذا رواه أبو داود (٥٢١٢).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٥٠٦). وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٥٢٤)، وقال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤١٧): منكر.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٧)، والبخاري (٦٣٣٧)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١) عن أبي هريرة.
والحاكم في «المستدرك» (٢٨٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٤)، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٣) إلى الطبراني عن أبي موسى.
والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٨٣٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

أَقَـرَّ اللهُ بِعَيْنِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[١].

وروى الديـلمي عـن أنـس رضـي الله تعـالى عنـه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مَعَ أَخٍ لَـهُ فِيْ طَرِيْقٍ مُوْحِشَةٍ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً»[٢].

وروى الخطيب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قادَ أَعْمَىْ أَرْبَعِيْنَ خُطْوَةً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِـهِ»[٣].

وفي الباب عن ابن عباس، وعن أنس، وعن جابر، وعن أبي هريرة.

قال السُّيوطي: وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»[٤]، ولم يُصِبْ.

وروى الطبراني في «الأوسط»، والخطيب في «مكارم الأخلاق»، والخلعي في «فوائـده» عن عائـشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ رَبَّىْ صَغِـيْراً حَتَّىْ يَقُـوْلَ: لا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، لَـمْ يُحَاسِبْهُ اللهُ»[٥].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٣٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٤٩١).

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢١٤).

(٤) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٩٢).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٦٥).

قال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٩٨): منكـر بهـذا الإسناد، وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٩٤): لا يصح عن رسول الله ﷺ.

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «السنن» عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيْهِ، كانَ لَهُ حِجاباً مِنَ النَّارِ»[1].

وأخرجه الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، وابن أبي الدُّنيا في «ذم الغيبة»، ولفظه: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيْهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2].

وروى أبو الغنائم النرسي في كتاب «قضاء الحوائج» عن علي رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَادِيَةَ ماءٍ - يعني: السيل، ونحوه - أَوْ عادِيَةَ نارٍ - يعني: الحريق - فَلَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ»[3].

وروى الإمام مالك في «الموطأ»، وغيره عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال له: «يا أَبا أَيُّوبَ! أَلا أَدُلُّكَ عَلَىْ صَدَقَةٍ يَرْضَىْ اللهُ وَرَسُوْلُهُ مَوْضِعَها؟» قال: قلت: بلى، قال: «تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذا تَفاسَدُوْا، وَتُقَرِّبُ بَيْنَهُمْ إذا تَبَاعَدُوْا»[4].

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٩٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٠)، والترمذي (١٩٣١) وحسنه، وابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» (ص: ١١٩).

(٣) رواه أبو الغنائم النرسي في كتاب «ثواب قضاء حوائج الإخوان» (ص: ٦٢).

(٤) ورواه الطيالسي في «مسنده» (٥٩٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٩٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧٩): رواه الطبراني، وعبدالله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِغاثَةَ اللَّهْفانِ»(١).

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْلِغُوْا حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ إِبْلاغَ حَاجَتِهِ؛ فَمَنْ أَبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ إِبْلاغَهَا، ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ عَلَىْ الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(٢).

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن جابر بن سليم الهجيمي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقِ اللهَ، وَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوْفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِيْ إِناءِ الْمُسْتَسْقِيْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىْ أَخاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ»، الحديث(٣).

وروى البخاري في «تاريخه»، والبيهقي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَغاثَ مَلْهُوْفاً كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلاثاً وَسَبْعِيْنَ مَغْفِرَةً؛

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٦٠). قال ابن طاهر المقدسي في «التذكرة في الأحاديث الموضوعة» (ص: ١٠٧): فيه محمد بن يونس الكديمي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٥٥) عن الحسن بن علي، عن هند بن أبي هالة من حديثه الطويل في وصف النبي ﷺ.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٢١)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٩١).

وَاحِدَةٌ فِيْها صَلاحُ أَمْرِهِ كُلِّهِ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُوْنَ لَهُ دَرَجاتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(١).

وروى الشيخان، وأبو داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم، ويحنكهم، ويدعو لهم(٢).

وروى البخاري، وأبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعُوْنَ خَصْلَةً أَعْلاها مِنِيحَةُ الْعَنْزِ(٣)؛ لا يَعْمَلُ عَبْدٌ بِخَصْلَةٍ مِنْها رَجاءَ ثَوابِها، وَتَصْدِيْقَ مَوْعُوْدِها، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ تَعالَىْ بِها الْجَنَّةَ»(٤).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيْحَةً غَدَتْ بِصَدَقَةٍ، وَراحَتْ بِصَدَقَةٍ، صَبُوْحُها، وَغَبُوْقُها»(٥).

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن البراء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٥٠) وقال: لا يتابع عليه، وكان شعبة يتكلم في زياد، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧٠) وقال: وتفرد به زياد بن أبي حسان.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٤)، ومسلم (٢١٤٧)، وأبو داود (١٦٨٣).

(٣) المنيحة: هي الناقة أو الشاة يعطيها الرجل رجلاً آخر يحلبها، وينتفع بلبنها، ثم يعيدها إليه. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١/ ٤٢٣).

(٤) رواه البخاري (٢٤٨٨)، وأبو داود (٥١٠٦).

(٥) رواه مسلم (١٠٢٠).

قال: «مَنْ مَنَحَ مَنِيْحَةَ وَرِقٍ، أَوْ مَنِيْحَةَ لَبَنٍ، أَوْ هَدَىٰ زُقاقاً، فَهُوَ كَعِتْقِ نَسْمَةٍ»[1].

وروى الترمذي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ؛ رِفْقٌ بِالضَّعِيْفِ، وَشَفَقَةٌ عَلَىٰ الْوالِدَيْنِ، وَالإِحْسانُ إِلَىٰ الْمَمْلُوْكِ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن خالد بن زيد بن جارية[3] رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ: مَنْ أَدَّىٰ الزَّكاةَ، وَقَرَىٰ الضَّيْفَ، وَأَعْطَىٰ فِيْ النَّائِبَةِ»[4].

وفي «الأوسط» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دِرْهَمٌ أُعْطِيْهِ فِيْ عَقْلٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِئَةٍ فِيْ غَيْرِهِ»[5].

وروى مالك في «الموطأ» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال:

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٤)، والترمذي (١٩٥٧) وقال: حسن صحيح غريب.

(2) رواه الترمذي (٢٤٩٤) وقال: حسن غريب.

(3) في «أ»: «حارثة».

(4) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٨): وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، وهو ضعيف.

(5) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٩٢): فيه عبد الصمد بن عبد الأعلى، قال الذهبي: فيه جهالة.

قال رسول الله ﷺ: «ما وَقَىٰ بِهِ الْمُؤْمِنُ عِرْضَهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»[1].

وروى ابن ماجه عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْقَوْمِ خادِمُهُمْ»[2]. وأخرجه الحاكم[3].

وروي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الْقَوْمِ فِيْ السَّفَرِ خادِمُهُمْ؛ فَمَنْ سَبَقَهُمْ لِخِدْمَةٍ لَمْ يَسْبِقُوْهُ بِعَمَلٍ إِلاَّ شَهَادَةً»[4].

وروى ابن زَنْجويه في «فضائل الأعمال» عن الحسن مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «عَوْنُ الْعَبْدِ أَخاهُ يَوْماً خَيْرٌ مِنِ اعْتِكافِهِ شَهْراً».

وروى مسلم، وابن ماجه عن أبي الدَّرداء ﷺ، والإمام أحمد عنه، وعن أم الدرداء رضي الله تعالى عنها، وأخرج حديثها الطَّبراني في «الكبير»، وابن حبان في «صحيحه» قالا: قال رسول الله ﷺ: «دُعاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجابٌ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ؛ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ كُلَّما دَعا

---

(١) ورواه الطيالسي في «المسند» (١٧١٣)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣١١).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٩٦): قد عزاه الديلمي للترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة فوهِمَ.

(٣) رواه من طريق الحاكم في «التاريخ»: البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٠٧) عن سهل بن سعد.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٠٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٤٧٤).

لأَخِيْهِ بِخَيْرٍ قالَ الْمَلَكُ: آمِيْنَ، وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ»[1].

فهذه جملة صالحة من أنواع المعروف، أوردتها هنا ترغيباً فيها؛ فإنها أخلاق ربانية، وآداب رحمانية، ذووها في الدنيا محمودون، وفي الآخرة مثابون مكرمون.

روى ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ جَعَلَ لِلْمَعْرُوْفِ وُجُوْهاً مِنْ خَلْقِهِ، حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوْفَ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَوَجَّهَ طُلاَّبَ الْمَعْرُوْفِ إِلَيْهِمْ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِمْ إِعْطاءَهُ كَمَا يَسَّرَ الْغَيْثَ إِلَىْ الأَرْضِ الْجَدْبَةِ لِيُحْيِيَهَا، وَيُحْيِيَ بِها أَهْلَها، وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْمَعْرُوْفِ أَعْداءَ مِنْ خَلْقِهِ، بَغَّضَ إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوْفَ، وَبَغَّضَ إِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ إِعْطاءَهُ، كَمَا يَحْظُرُ الْغَيْثَ عَنِ الأَرْضِ الْجَدْبَةِ فَيُهْلِكَهَا، وَيُهْلِكَ بِهِ أَهْلَها، وَمَا يَعْفُوْ أَكْثَرُ»[2].

وروى الحاكم في «المستدرك» عن عليٍّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:

---

(1) رواه مسلم (٢٧٣٢)، وابن ماجه (٢٨٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٢)، وكذا أبو داود (١٥٣٤) عن أبي الدَّرداء ﷺ.

والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٥١)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٨٩) عنه وعن أم الدرداء رضي الله تعالى عنها.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٢٣). قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥١٠): حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

«اطْلُبُوْا الْمَعْرُوْفَ مِنْ رُحَماءِ أُمَّتِيْ تَعِيْشُوْا فِيْ أَكْنافِهِمْ، وَلا تَطْلُبُوْهُ مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوْبُهُمْ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، يَا عَلِيُّ! إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْمَعْرُوْفَ، وَخَلَقَ لَهُ أَهْلاً، فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ طُلاَّبَهُ كَمَا وَجَّهَ الْمَاءَ فِيْ الأَرْضِ الْجَدْبَةِ لِتَحْيَا بِهِ، وَيَحْيَا بِهِ أَهْلُهَا؛ إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الآخِرَةِ»(١).

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الآخِرَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُوْلاً الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ»(٢).

وعن سلمان، وعن قبيصة بن برمة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الآخِرَةِ وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِيْ الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِيْ الآخِرَةِ»(٣).

وأخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة، والخطيب عن علي، وأبي

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٨) وصححه، وتعقبه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٠٢) وقال: وليس كما قال.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٣): وفيه من لم أعرفه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١١٢) عن سلمان، و(١٨/ ٣٧٥) عن قبيصة بن برمة، و(١١٠٧٨) عن ابن عباس. وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ٢٦٣).

الدَّرداء رضي الله تعالى عنهم[1].

وروى الحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْـرُوْفِ تَقِيْ مَصـارِعَ السُّـوْءِ وَالآفَـاتِ وَالْهَلَكـاتِ؛ وَأَهْـلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الآخِرَةِ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والقضاعي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «فِعْلُ الْمَعْرُوْفِ يَقِيْ مَصارِعَ السُّوْءِ»[3].

وروى أبو الشيخ في «الثواب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الْمَعْـرُوْفِ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّـةِ، وَهُـوَ يَدْفَـعُ مَصارِعَ السُّوْءِ»[4].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتِتْمامُ الْمَعْرُوْفِ أَفْضَلُ مِنِ ابْتِدائِهِ»[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٩) عن أبي هريرة، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٤) عن علي، و(١٠/ ٤٢٠) عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنهم.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٩).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠١).

(٤) قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٢٧٤): وفيه محمد بن القاسم الأزدي، قال الذهبي في «الضعفاء»: كذبه أحمد.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٤٣٢)، وكذا عزاه إليـه الهيثمي في =

وأخرجه القضاعي بلفظ: «خَيْرٌ»[1].

وروى أبو نعيم عن يحيى بن الفرات قال: قال جعفر بن محمَّد ـ يعني: الصادق ـ لسفيان، يعني: الثوري رحمهم الله تعالى: لا يتم المعروف إلا بثلاثة أشياء: تعجيله، وتصغيره، وستره[2].

وهذا الذي ذكرناه في المعروف ليس إطالة لأنه أنواع كلها من آداب الصَّالحين، وقد أتينا هنا على غالبها.

١٨ ـ ومنها: وداع الصاحب عند فراقه لسفر، أو غيره، والدعاء له، وطلب الدعاء منه:

روى الترمذي وصححه عن سالم بن عبدالله بن عمر: أن أباه رضي الله تعالى عنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: أُدْنُ مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: أستودعُ اللهَ دينَك، وأمانتك، وخواتيم عملك[3].

وروى ابن عساكر في «تاريخه» عن زيد بن أرقم ﷺ: أن النبي ﷺ

= «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٢) وقال: فيه عبدالرحمن بن قيس الضبي، وهو متروك.

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٦٩)، ورواه أيضاً باللفظ السابق (١٢٦٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٤٣) وقال: حسن صحيح غريب،

قال: «إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ سَفَرٍ فَلْيُوَدِّعْ إِخْوانَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ جاعِلٌ لَهُ فِيْ دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ»[1].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خَرَجْتَ إِلَىٰ سَفَرٍ فَقُلْ لِمَنْ تُخَلِّفُهُ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ الَّذِيْ لا تَضِيْعُ وَدائِعُهُ»[2].

وروى أبو داود، والترمذي وصححه، عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ بعمرة، فأذن، وقال: «لا تَنْسَانَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكِ»، فقال: كلمة ما سرني أن لي بها الدنيا[3].

وفي رواية: «أَشْرِكْنا يَا أُخَيَّ فِيْ دُعَائِكَ»[4].

١٩ ـ ومنها: الاستخارة، والمشاورة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]؛ أي: يتشاورون فيـه.

وحديث الاستخارة مشهور[5].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٣٧٢)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٣)، وابن ماجه (٢٨٢٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٤٢).

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢) وصححه.

(٤) رواه أبو داود (١٤٩٨).

(٥) رواه البخاري (١١٠٩)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وروى الطبراني في «الكبير» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خابَ مَنِ اسْتَخارَ، وَلا نَدِمَ مَنِ اسْتَشارَ، وَلا عالَ مَنِ اقْتَصَدَ»[1].

* تَنْبِيهٌ:

إذا استشار فينبغي أن يستشير الحكماء، وذوي الرأي الرصين من أهل العلم والدين، فإذا أشير عليه بشيء فليقبل.

وإذا استشار من لا حزم له، ولا رأي كالنِّساء[2]، فلا ينبغي له الموافقة، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه: شاوروهنَّ، وخالفوهنَّ[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٢٧)، وفي «المعجم الصغير» (٩٨٠). وكذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٦) إلى الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» وقال: من طريق عبد السلام بن عبد القدوس، وكلاهما ضعيف جداً.

(٢) قد تكون من النساء من هي أفضل رأياً من كثير من الرجال، كيف، وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة في صلح الحديبية، كما رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥٨١) وغيره.
قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٤/ ٥٨): وأما مشاورة رسول الله ﷺ أم سلمة وقبول قولها، ففيه دليل على جواز العمل بمشاورة النساء، ووهَنٌ لما يقال: شاوروهن وخالفوهن.

(٣) قال علي القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص: ١١٣): لا يثبت بهذا اللفظ.

وإذا استخار فانشرح صدره لشيء فذلك علامة الخيرة، فليقبل، ولا يتهم مولاه سبحانه وتعالى، فقد روي: أن موسى عليه السلام قال: يا رب! من أبغض خلقك إليك؟ قال: من يتهمني، قال: ومن يتهمك يا رب؟ قال: امرؤٌ استخارني في أمر، فإذا أعطيته ما فيه خير دينه ودنياه اتهمني، فظن أني منعته ما سألني بخلاً[1].

وأنشدوا: [من البسيط]

الْحَمْـــدُ لِلَّـــهِ نِعْـــمَ الْقَـــادِرُ اللهُ
الْخَيْـــرُ أَجْمَـــعُ فِيْمـــا اخْتـــارَهُ اللهُ
لِلَّـهِ فِـيْ الْخَلْـقِ مـا اخْتـارَتْ مَـشِيْئَتُهُ
مـا الْخَيْـرُ إِلاَّ الَّـذِيْ قَـدْ خـارَهُ اللهُ

٢٠ ـ ومنها: الذهاب إلى العيد والحج والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر؛ لتكثر مواضع العبادة، وتشهد بها ملائكة الطريقين، وتتبرك بالطائع بقاعهما، أو لغير ذلك.

روى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريقين[2]؛ أي: ذهب في طريق، ورجع في أخرى.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٢) عن محمد بن كعب القرظي.
(٢) رواه البخاري (٩٤٣) بلفظ: «خالف الطريق».

٢١ ـ ومنها: تقدم اليمين فيما هو من باب التكريم، واليسار في ضد ذلك:

فالأول: كالطهارة، واللبس، والأكل، والشرب، والسواك، ودخول المسجد، والمسكن، وكل مكان مبارك ومعظم، والاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والركن اليماني، والأخذ والإعطاء، والخروج من الخلاء، وكل مكان مستخبث كالحمام، وبيت القهوة، والأسواق، وبيوت الظلمة.

والثاني: كالامتخاط، والبصق، ودخول الخلاء، وكل مكان مستخبث كما مثلناه، وخلع الثوب والخفين والنعلين، والاستنجاء، وكل مستقذر.

روى الشيخان، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله؛ في طهوره، وترجله، وتنعله[١].

وروى أبو داود بسند صحيح عنها قالت: كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى[٢].

وقال عثمان رضي الله تعالى عنه: ما تغنيت، ولا تمنيت[٣]،

---

(١) رواه البخاري (١٦٦)، ومسلم (٢٦٨) واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود (٣٣)، وصححه النووي في «رياض الصالحين» (ص: ١٥٥).

(٣) تغنيت: المراد منه الغناء المعروف. وتمنيت: أي ما كذبت، وهو من الأمنية بمعنى الكذب. انظر: «شرح سنن ابن ماجه» للسيوطي (ص: ٢٧).

ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ[1].

٢٢ ـ ومنها: المحافظة على آداب الوضوء، والطهارة، ودخول الخلاء؛ فإنه من تمام الطهارة التي هي من سِيما الصالحين، وكذلك المحافظة على آداب دخول المسجد، وآداب الصلاة، وهي مذكورة في كتب الفقه، وغيرها؛ فإن هذا كله من تمام الصلاة التي هي عماد الدين.

وروى الشيخان عن عثمان رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيُتِمُّ الطَّهارَةَ الَّتِيْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْـهِ، فَيُصَلِّيْ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، إِلاَّ كانَتْ كَفَّاراتٍ لِما بَيْنَها»[2].

وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ ما افْتَرَضَ اللهُ عَلَىْ النَّاسِ مِنْ دِيْنِهِمُ الصَّلاةُ، وَآخِرَ ما يَبْقَىْ الصَّلاةُ، وَأَوَّلَ ما يُحاسَبُ بِهِ الصَّلاةُ؛ يَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ: انْظُرُوْا إِلَىْ صلاةِ عَبْدِيْ فَإِنْ كانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تامَّةً، وَإِنْ كانَتْ ناقِصَةً يَقُوْلُ: انْظُرُوْا هَلْ لِعَبْدِيْ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيْضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ»، الحديث[3].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣١١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٩٥٨).

(٢) رواه البخاري (١٥٨)، ومسلم (٢٣١) واللفظ له.

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٢٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٨٨): وفيه يزيد الرقاشي ضعفه شعبة وغيره، ووثقه ابن معين وابن عدي.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها. رواه ابن جرير(١).

قال أنس رضي الله تعالى عنه: الأدب في العمل علامة قبول العمل.

٢٣ ـ ومنها: المحافظة على آداب الطعام والشراب، كالتسمية في أولهما، والحمد بعدهما، ومدح الطعام، وعدم تعييبه، بل إما يأكل منه، أو يتركه، والأكل مما يليه إلا في الفاكهة، ونحوها، وترك القِران بين تمرتين، ونحوهما إن أكل مع جماعة إلا بإذنهم، وترك الأكل من جوانب القَصعة، ووسطها، وترك الاتكاء عند الأكل، والأكل بثلاث أصابع، ولعق الأصابع قبل مسحها، أو إلعاقها، ولعق القَصعة، وأكل اللقمة التي تسقط منه، وتكثير الأيدي على الطعام، والاجتماع عليه، والتنفس في الشرب خارج الإناء ثلاثاً، وتركه في الإناء، وإدارة الإناء على اليمين، والتنزه عن الشرب من فم القِربة، ونحوها، وعن الشرب قائماً، وعن النفخ في الشراب، إلى غير ذلك من الآداب المقررة في محلها في هذا الباب(٢).

وكذلك المحافظة على آداب اللباس كإيثار البياض، وترك الترفع في اللباس، وإيثار التوسط فيه دون أن يقتصر على ما يزري به من غير حاجة، ولا مقصود شرعي، أو يتوسع فيه إلى حد الإسراف والخيلاء،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ١٥٣).

وكالتجنب عن لباس الحرير وافتراشه إلا لضرورة شرعية، وكالبداءة باليمين لبساً، وباليسار نزعاً، والتصدق بالْخَلِقِ، وغير ذلك حسبما هو مقرر في محله[1].

وكذلك المحافظة على آداب النوم، والتسمية، ونفض الفراش، وملازمة الذكر الوارد ثَمَّةَ، والاضطجاع على الشق الأيمن، وإلى القبلة، والتنزه عن النوم على الوجه، إلى غير ذلك[2].

وكذلك آداب السفر كإعداد الزاد، والرفيق، وتقدم النية الصالحة، ورد المظالم، والودائع، والرفق بالدابة، وبالرفيق، إلى غير ذلك[3].

وقد استوفينا الكلام على هذه الآداب في كتابنا المسمى «منبر التوحيد»، فينبغي مراجعة ذلك منه لمن أراد الاستيفاء والتحرير.

٢٤ ـ ومن الآداب: إفشاء السلام، والبداءة به، وتسليم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، وتسليمه إذا دخل بيته على زوجته، ومحارمه، وأجنبية لا يخاف الفتنة بسلامه عليها، وإلا قال: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، وترك السلام على الكافر، واستحباب الاستئذان، وما يقوم مقامه من قرع الباب بقدر الحاجة، وقول: «فلان» لمن استأذن فقيل له: «من أنت؟» ولا يقول:

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٧٠).

(٣) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٩٢).

«أنا»، وتشميت العاطس إذا حمد الله تعالى، وقول العاطس لمن شمته: «يهديكم الله، ويصلح بالكم»، وإبرار القسم بغير معصية، والمصافحة عند اللقاء، وبشاشة الوجه، وتقبيل يد الصالح إكراماً، والولد الصغير شفقة، ومعانقة القادم من سفره، وترك الانحناء ونحوه من آداب الأعاجم؛ كالقيام إلا لأهل العلم، ونحوهم، أو عند خوف الحقد، وتكدر القلوب، فلا بأس بذلك[1].

وعيادة المريض، والدعاء له، ووضع اليد عليه، وتشهيته، وطلب الدعاء منه، والسؤال عن حاله من أهله، وأصحابه، ووصيتهم به، وبالصبر على ما يشق من حاله، وعدم إطالة الجلوس عنده إلا لمن يستأنس به، أو يقوم بشأنه، وترك الأكل عنده إلا إذا شق عليه الترك[2].

وتلقين المحتضر كلمة الشهادة، وعدم الإلحاح عليه في ذلك، وقراءة سورة (يس) عنده، أو ما تيسر من القرآن، والدعاء للميت عند تغميضه بالمغفرة، ورفع الدرجة، والفسح في القبر، وتنويره عليه، وترك الندب، والنياحة، واللطم، ونحوها مما هو منهي عنه، ولا بأس بالبكاء الخالي عن ذلك، والكف عما يرى من الميت من مكروه، والصلاة عليه، وتشييعه، وحضور دفنه، ومنع النساء من اتباع الجنازة، وتكثير سواد المصلين عليها، وتكميل صفوفهم ثلاثة، والإسراع بالجنازة، وترك اتباعها بنار، وتعجيل قضاء الدين عن الميت، والمبادرة إلى

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٧٤).

(٢) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٨١).

تجهيزه، والموعظة عند القبر، والدعاء للميت بعد دفنه، والقعود عند قبره ساعة للدعـاء لـه، والاستغفار، والقراءة، وسؤال التثبيت لـه، والصدقة عن الميت، والترحم عليه، والثناء عليه إن كان ممن يثنى عليه، والكف عن مساوئه إن كانت.

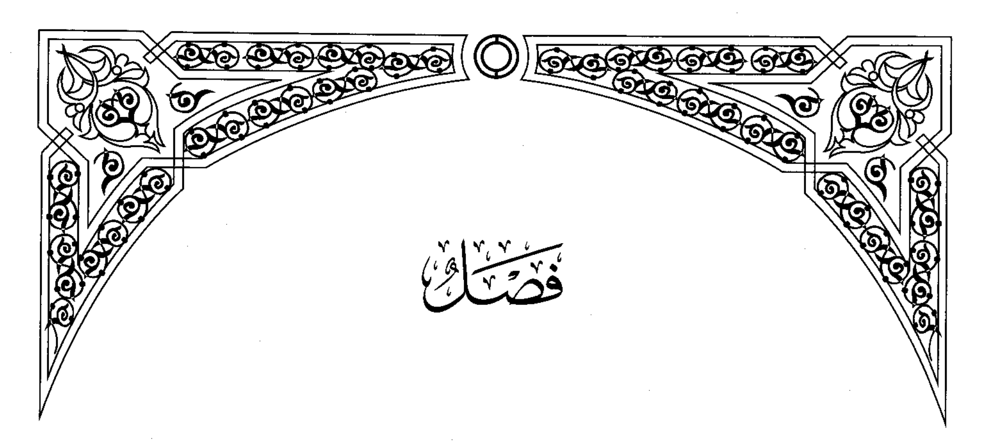
وزيارة المقابر، والسلام على أهلها، والبكاء، والخوف عند المرور بقبـور الظالمين، ومصارعهم، والافتقار إلى الله تعالى، والحذر من الغفلة عن ذلك[1].

وما ورد في هذه الآداب من الترغيـب والفضل مبين في «رياض الصالحين»، وغيره من الكتب الموضوعة لذلك، والله الموفق.

* * *

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (ص: ١٨٤).



ومن أعمال الصالحين المواظبة على الفضائل، والتنزه عن الرذائل.

والفضيلة ـ كما قال الراغب في كتاب «الذريعة إلى محاسن الشريعة» ـ: اسم لما يحصل به للإنسان مزية على غيره، وهو اسم لما يتوصل به إلى السعادة، وضدها الرذيلة[1].

ثم الفضيلة ـ وإن كانت بمحض التوفيق، والتفضل ـ فإن الله تعالى أمرنا بتطلبها، والسعي في تحصيلها، والتعرض لنفحاته سبحانه وتعالى.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[النساء: ٣٢].

قال مجاهد، وسعيد بن جبير رحمهما الله تعالى: ليس بعرض الدنيا. رواهما ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

---

(١) وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٤٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٣٦).

أي: ليس المأمور بسؤاله، وطلبه من فضل الله تعالى بعرض من أعراض الدنيا، بل هو ما كان من كمال النفوس وفضائلها.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء ﷺ قال: التمسوا الخير دهركم كله. الحديث موقوف على أبي الدرداء[1].

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج»، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطْلُبُوْا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوْا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ ﷻ نفَحاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيْبُ بِها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وَاسْأَلُوْا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْراتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعاتِكُمْ»[2].

ورواه البيهقي - أيضاً - من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِيْ أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ، فَتَعَرَّضُوْا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٩٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٢٨) عن أبي هريرة، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٩٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٢١).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٢٣).

لَهُ، لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيْبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْها»(1).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمَ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوْقَهُ»(2).

والتحري القصد والاجتهاد في تحصيل الشيء.

وقد أثنى وفد الجن الذين وفدوا إلى رسول الله ﷺ، وأثنى الله عليهم، وحكى عنهم ما تكلموا به من الحكمة، ورأوه من الصواب على المسلمين منهم بقولهم: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[الجن: ١٤]، فيجب على الإنسان أن يتحرى تزكية نفسه، وتطهيرها عن القبائح والرذائل، ويجتهد في تحليتها بأنواع المكارم والفضائل ليحصل لها الفلاح، ويستكمل لها الصلاح.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[الأعلى: ١٤ ـ ١٧].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣١): فيه من لم أعرفهم ومن عرفتهم وثقوا.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الحلم» (ص: ٤٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن السبب المانع للناس من تزكية النفوس، وتكميلها بالفضائل إنما هو إيثار الحياة الدنيا، ومحبتها، وهم واهمون في ذلك؛ فإن الآخرة خير وأبقى، فأخذوا الفاني، وتركوا الباقي.

قال عرفجة الثقفي رحمه الله تعالى: استقرأت ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١]، فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[الأعلى: ١٦] ترك القراءة، وأقبل على أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها، ونساءها، وطعامها، وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل. رواه الطبراني، والبيهقي في «الشعب»[1].

وقال قتادة في الآية: اختار الناس العاجلة إلا من عصم الله. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

وعصمة الله تعالى للعبد توفيقه إلى الطاعة، وتكريه المعصية إليه، وتهيئة أسباب الطاعة له، والحيلولة بينه وبين المعصية.

ومن هيأ الله تعالى له الأسباب الموصلة إلى اكتساب الفضيلة من صحة وقوة وفراغ وطول عمر وأمن ونحوها، ولم يستعمل تلك الأسباب في اكتساب تلك الأكساب، فقد بدل نعمة الله كفراً، واستوجب

---

(١) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٤٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٣٦).

في ذات الله ومن أجله ذماً وهجراً؛ لأن الانضمام إليه قد يكون سبباً للاتصاف بما هو عليه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[إبراهيم: ٢٨].

وقد قيل: [من الوافر]

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوْبِ النَّاسِ عَيْباً
كَنَقْصِ الْقَادِرِيْنَ عَلَىْ الْكَمَالِ

قد ذكر النووي رحمه الله تعالى في «رياضه» جملاً من الفضائل، وذكر براهينها من الكتاب، والسنة، والدلائل، ولم نوسع العبارة هنا فيها؛ لأن كل مؤمن يعلمها ـ أو أكثرها ـ من الدين بالضرورة، ويستحسن من نفسه التجنب عن منافيها، ولعل كتابنا لا يخلو من أكثر أدلتها في مواضعها، فينبغي الإشارة إليها باختصار لتنبيه مُراجعها.

فمنها: تلاوة القرآن العظيم، وتعهده، والحذر من تعرضه للنسيان، وتجويده، وتحسين الصوت به، وتدبره، والاستماع إلى تلاوته، والمحافظة على أوراده، والاجتماع على قراءته، واغتنام مجالسه، والمحافظة على الوضوء، والطهارة، وإسباغ الوضوء، وتجديده، والحرص على الأغسال المسنونة، والمشي إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، والأذان حسبة، والاستماع إليه، والقول مثلما يقول المؤذن، والحرص على حضور الجماعات، وتحصيل تكبيرة

الإحرام مع الإمام، والصف الأول، وإتمام الصف، وتسوية الصفوف، والتراص فيها، والصلاة في أوائل الأوقات، والمداومة عليها، وعلى رواتبها، ونوافلها، والإكثار من النوافل، وعدم إخلاء البيت منها، والتبكير إلى حضور الجمعة، والاغتسال لها، وللعيدين، والتطيب، والتزين بالبياض في الجمعة، وفي كل وقت إلا العيدين فبأحسن الثياب، وصلاة الكسوف والخسوف، والاستسقاء إن احتيج إليه، والاستصحاء كذلك، وسجود الشكر لهجوم نعمة، أو اندفاع نقمة، أو رؤية مبتلى مع الإظهار لمن بَلِيَّتُه في دينه، والإخفاء عمَّن بَلِيَّتُه في بدنه ونحوه، وعدم إخلاء الليل من القيام، ولو ركعتين، وتأخير الوتر إن لم يخف فواته، والسواك عرضاً بكل خشن طاهر إلا الأصبع وما يضر ـ وخصوصاً بالأراك، وخصوصاً عند القيام من النوم، وإلى الصلاة، وعند تغير الفم ـ، وسائر خصال الفطرة كالختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وإخراج الزكاة، وإظهارها، وإخفاء صدقة التطوع، وترك المن بالصدقة، والهبة، وتقديم الأقارب والجيران والأتقياء بالصدقة، وصيام رمضان، والأيام الفاضلة كالأشهر الحرم ـ خصوصاً عشر ذي الحجة، والمحرم الأولين، وشعبان، وست من شوال، والأيام البيض، والخميس، والاثنين ـ والتنزه عن الصوم في الأيام المنهي عن الصوم فيها كالعيدين، وأيام التشريق، وعن إفراد الجمعة بصيام، وليلتها بقيام، وعن تقديم رمضان بصوم يوم، أو أكثر بعد نصف شعبان إلا لمن وصَلَه بما قبله، أو وافق عادة له، والسحور، واستحباب الفطر، والسحور على تمر، أو لبن، أو

ماء على هذا الترتيب، والدعاء عند الفطر، وتفطير الصائم، وتعجيل الفطر، وتأخير السحور، وحفظ الصائم للسان، وجوارحه عن الفحش، وعن سائر المخالفات، والاعتكاف، والحج، والعمرة، والتطوع بهما، والجهاد، وإعانة المجاهدين، وخلفهم في أهليهم بخير، والعتق، والإحسان إلى المملوك، وقيامه بحق الله تعالى، وحق مواليه، والسماحة في البيع، والشراء، والأخذ، والعطاء، وحسن القضاء، والاقتضاء، وإرجاح الكيل، والوزن، والذرع، وإنظار الموسر والمعسر، والوضع عنه، والإكباب على طلب العلم، وتحسين النية فيه، والبداءة بالأهم منه، وكثرة الحمد، والشكر، والذكر على أنواعه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ـ وخصوصاً عند ذكره ـ وعلى آله وصحبه بالتبعية له، وعلى سائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام، والترضي عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وسائر العلماء، والترحم عليهم ـ وخصوصاً عند ذكرهم ـ والجلوس في حِلَقِ العلم والذكر، وملازمة الأذكار الواردة في الصباح والمساء، وعند النوم واليقظة، والطعام والشراب، والسفر، والمرض، وأعقاب الصلوات، وعند الأمور العارضة كالرياح، والرعد، ونزول الغيث، وغير ذلك، والدعاء لأخيه بظهر الغيب، ولسائر المؤمنين والمسلمين، والإكثار من الدعاء في سائر مهماته، وإكرام العلماء والصالحين، وحفظ حقوقهم، والإيمان بكرامات الأولياء، وترك الإنكار عليهم، والتجنب عن أذيتهم وعداوتهم، وعن سائر الأمور المنهي عنها كالغيبة والنميمة، وإفساد ذات البين، والسعاية، والكذب، وشهادة الزور، ولعن إنسان بعينه، ولعن الدابة، وسب المؤمن،

والأموات، والقذف، والفحش، والبذاء، وتقرير البدع، وسائر فضول الكلام، والإيذاء، والتباغض، والتقاطع، والتشاتم، والحسد، والحقد، والتجسس، وسوء الظن بمن ظاهره الخير، واحتقار المسلم، وإظهار الشماتة به، والطعن في الأنساب الثابتة بظاهر الشرع، والانتساب لغير الموالي، والغش، والخديعة، والغدر، والمن بالصنيعة، والبغي، والهجر فوق ثلاث إلا لموجب، وتناجي اثنين دون الثالث، وتعذيب العبد، والمرأة، والولد، وغيرهم، والدابة، والتعذيب بالنار، ومطل الغني، والعود في الهبة، والدعوى بغير حق، وجحد الحق، وأكل مال اليتيم، والربا، والبيوع المنهي عنها، وتعاطي العقود الفاسدة، وأكل أموال الناس بالباطل من غصب، أو سرقة، أو رشوة، أو نحوها، وحُلوان الكاهن، ومهر البغي، وكسب المغني، وثمن الكلب، وثمن الخمر، وعصرها، واعتصارها، وشربها، وإدارتها، وأكل كل شيء محرم كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، والبرش، وكل مسكن، أو مخدر، والنظر إلى المرأة الأجنبية، والأمرد الحسن، والخلوة بالأجنبية، والنظر إلى عورة غيره بغير ضرورة التداوي، ونحوه، وتشبه الرجال بالنساء، وعكسه، والتشبه بالشيطان وبالكفار ـ وسيأتي الكلام عن ذلك ـ والاستنجاء باليمين، والاستجمار بشيء محترم، والبول، والتغوط في طريق الناس، ومتحدَثهم، وفي الأسراب، والمياه، وتحت المثمرة، واستقبال القبلة، والشمس والقمر ببول أو غائط، والتضمخ بالنجاسة، والمشي في نعل واحدة، والتكلف، والنياحة، ولطم الخدود، ونحوه، وإتيان الكاهن، والمُنجِّم، والعرَّاف، وتصديقهم، والتطير، وتصوير

الحيوان، واللعب بالنرد، وسائر الألعاب، وضرب الملاهي، واستماعها، وصناعة آلاتها، والقمار، والمكس، والغلول، واتخاذ الكلب إلا لصيد أو زرع أو حراسة، وتعلق الحروز، والتمائم، أو نحو ذلك، وركوب الجلالة، والبصق في المسجد، والخصومة فيه، ودخول من أكل ثوماً أو نحوه إليه، ودخول حائض ونحوها إليه إن خافت تلويثه، ومكثها، ومكث الجنب فيه، ومس المصحف، وحمله لهما، أو لمحدث غير متوضئ، أو متيمم، والحلف بغير الله، واليمين الفاجرة، والحلف على البيع ـ وإن كان صادقاً ـ وسؤال غير الجنة بوجه الله تعالى، وقول: «شَاهٍ شَاهْ»، ونحوه للسلطان، ومخاطبة الفاسق بِـ: «يا سيدي»، ونحوه إلا إن خاف على نفس، أو مال، أو عرض، وسب الحمير والريح والديك، وقول: «مُطِرنا بِنَوء كذا»، والتقعر في الكلام، وقوله لمسلم: «يا كافر»، وقول: «خبثت نفسي»، و: «هلك الناس»، وتسمية العنب كرماً، ووصف محاسن امرأة إلى رجل بغير ضرورة، والاعتداء في الدعاء، وقول: «اللهم اغفر لي إن شئت»، وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحديث بعد عشاء الآخرة، والنوم قبلها، وامتناع المرأة من فراش زوجها، وصومها تطوعاً بغير إذنه، وخروجها من بيتها بلا إذنه، وإلى سفر بغير محرم، أو نسوة ثقات، والبخل بالنفقة على الزوجة، وعلى العيال، ومضارة الزوجة بغير حق، ورفع المأموم رأسه قبل الإمام، والاختصار في الصلاة، والصلاة بحضرة الطعام إلا أن يتضيق الوقت، وصلاة الحاقن، أو الحازق، أو الحافز، ورفع البصر إلى السماء وهو في الصلاة، والالتفات فيها، والصلاة إلى

القبور، وفي المقبرة، والمجزرة، ومعاطن الإبل، والحمام، والتخطي والمرور بين يدي المصلى، والوصال في الصوم، ومنع الزكاة ـ ولو درهماً ـ وترك الحج مع الاستطاعة، وسائر محرمات الإحرام، والجلوس على القبر، وتجصيصه، والبكاء عليه، وإباق العبد، وتخبيبه على سيده، وكذلك المرأة على زوجها، والولد على وليه، والشفاعة في الحدود، وتفضيل بعض الأولاد على بعض، وإحدى الزوجتين على الأخرى في القسم، أو في النفقة، لا في الوطء، ولا في الحب، والإحداد فوق ثلاث إلا لامرأة على زوجها فأربعة أشهر وعشراً، وإضاعة المال، والبيع على بيع غيره، وشراؤه على شرائه، وسومه على سومه، وخطبته على خطبته، والنَّجش؛ وهو الزيادة في الثمن لا بقصد الشراء، والاحتكار، والتسعير، وبيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان، وبيع العنب لمن يعصره خمراً، والأمرد لمن غلب على ظنه أنه يلوط به، والقيادة، والدياثة، وترويع المسلم، والإشارة إليه بسلاح، وضربه بلا حق، والاستهزاء به، ومحاكاته، وتعييره بذنب قد تاب منه، أو بعيب في بدنه، أو بفقره، وإفلاسه، أو بأسلافه، والخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر، ورد الريحان إلا لعذر، ورد كل شيء كره الشرع رده، والمدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة، والخروج من بلد وقع فيها الوباء، أو الدخول إليها، والسحر، والكَهانة، والتنجيم، والمسافرة بالمصحف إلى بلاد العدو، واتخاذ آنية الذهب، والفضة، واستعمالها، ولبس الرجل ثوباً مزعفراً، أو معصفراً، أو ما كُلُّهُ أو أكثره حرير، وصمت يوم إلى الليل، ومعاصي القلب كالرياء، والعُجْب، والكبر، والفخر،

والخيلاء، والتعزز بغير الله، والأمن من مكر الله، واليأس من رحمه الله، وتقنيط غيـره من رحمة الله، وتزكيـة النفس، وسائر ما نهى الله تعالى عنه.

فهذه الأمور كلها منهي عنها جميعاً إلا أن منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، ومن محرمها ما هو كبيرة، ومنه ما هو صغيـرة، ولكن لما كان شأن الصالحين التنزه عن كل منهي عنه مطلقاً ـ ولو كان خلاف الأولى فضلاً عن أن يكون مكروهاً أو محرماً ـ أوردناها هكذا مسرودة، وهي مفصلة في محالِّها من كتب العلم.

على أن الكلام على معظمها، أو كلها سيأتي في القسم الثاني من كتابنا هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ مبيناً؛ لأن النهي عنها يندرج في النهي عن التشبه بالشيطان، أو بالكفار، أو بالفساق، أو بالبهائم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* تَنْبِيْهٌ:

متى عمل العبد أعمال الصالحين فمن شرط إلحاقه بهم أن لا يرى لنفسه في عمله حولاً ولا قوة، وأن لا يثبت لنفسه بذلك وصفاً ولا حالاً، بل من شرطه اتهام نفسه وإن كان ظاهر حاله حسناً، ألا ترى أن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما كان عليه من العفة والصبر والاحتمال، واتباع ملة آبائه الكرام يقول: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾[يوسف: ٥٣].

وقد روى أبـو نعيم عن عـوف قال: قيل لأبي السـوار العدوي رحمه الله تعالى: أَكُلُّ حالك صالح؟ قال: ليت عشره يصلح[1].

وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى قال: لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء[2].

وعنه قال: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شـر منـه فهو متكبر[3].

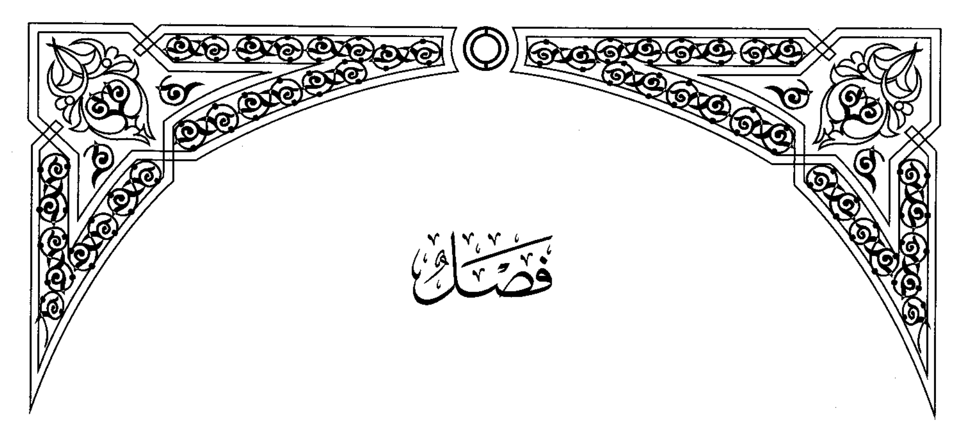
فالإزراء بالنفس آخر أخلاق الصالحين، فافهم!

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٥٠)، وكذا رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣١٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦).



إذا تشبه العبد بالصالحين، وتحلى بحليتهم، وكان منهم، استفاد بصلاحه فوائد:

* **الفائدة الأولى: ولاية الله تعالى:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦].

وهذه الولاية ولاية خاصة أخص من ولاية المؤمنين المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد: ١١].

قال أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائقه»: سئل جعفر هو الصادق رحمه الله تعالى عن الحكمة في قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ مع أنه يتولى العالمين؟ فقال: التولي على قسمين: تولي إقامة وإبداء، وتولي عناية ورعاية لإقامة الحق.

وقال الواسطي: يتولى الصالحين بالوقاية، ويتولى الفاسقين بالغواية[1].

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (١/ ٢٦٠).

قلت: أو بالهداية إلى التوبة إذا كانوا ممن سبقت لهم الحسنى.

وإطلاق التولي للفاسقين الهالكين على ضرب من المجاز، والتهكم بهم كما في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران: ٢١]؛ من حيث إنه تولى غوايتهم وهلاكهم.

وعندي: إنه لا ينبغي أن يقال في هذا: تولي.

وما أحسن قول الشيخ رضي الدين؛ جدي رحمه الله تعالى: [من الوافر]

تَوَلَّنِيْ بِمَا يُرْضِيْكَ عَنِّيْ
وَصَيِّرْنِيْ وَلِيَّاً يَا وَلِيُّ
وَقَدْ فَوَّضْتُ فَارْضَ عَلَيَّ رَبِّيْ
فَإِنِّيْ بِالَّذِيْ تَرْضَىْ رَضِيُّ

وقوله: «تولاني» أصله: «تتولاني»، أو: «أنت تتولاني» خبر فيه معنى الطلب.

*** الفائدة الثانية: ولاية النبي ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤].

روى الطبراني في «الكبير»، وابن مردويه في «التفسير» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «صالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ

أَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما»[1].

أي: وأمثالهما؛ فإن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المراد: صالحو الأمة كلهم[2].

وقال جماعة منهم: و(صالح المؤمنين) أصله: (صالحو المؤمنين)، وإنما حذفت الواو في الخط تخفيفاً، كما حذفت في اللفظ لالتقاء الساكنين، ونظير ذلك قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق: ١٨] حذفت الواو من (ندعو) خطًّا، كما حذفت منه لفظاً، وهذا القياس ظاهر لا شبهة فيه[3].

*** الفائدة الثالثة: فوز العبد بهذه المرتبة العظيمة التي محلها في القرآن العظيم بين جبريل وبقية الملائكة عليهم السلام بعد الاقتران باسم الله تعالى في هذه الآية بعينها في قوله تعالى:** ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤]، فبالصلاح يلحق العبد بالملائكة الكرام، ويصلح أن يقرن ذكره بالملك العلام.

ولقد جاء تقريب الحياء من الله تعالى، ومن ملائكته بالحياء من الصالحين، وفي ذلك من التنويه بقدر الصالحين ما لا يخفى.

فروى ابن عدي في كتاب «الكامل» عن أبي أمامة رضي الله تعالى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٧٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): فيه عبدالرحيم بن زيد العمي، وهو متروك.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٨٩).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٣٢).

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْياءَكَ مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صالِحِيْ عَشِيْرَتِك»(١).

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ مِنْ مَلَكَيْهِ اللَّذَيْنِ مَعَهُ، كَمَا يَسْتَحْيِيْ أَحَدُكُمْ مِنْ رَجُلَيْنِ صالِحَيْنِ مِنْ جِيْرانِهِ وَهُما مَعَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ»(٢).

* **الفائدة الرابعة: الدخول في رحمة الله تعالى:**

قال الله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٨٦].

وهي رحمة خاصة ـ أيضاً ـ كما قلنا في الولاية، وهي الرحمة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧] الآية.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٣٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣٩) وقال: إسناده ضعيف، وله شاهد ضعيف.

* **الفائدة الخامسة: حفظ العبد في نفسه، وأولاده، وأهله، وعشيرته، وجيرانه:**

تقدم في صدر الكتاب في الحديث الوارد في الدعاء عند النوم: «إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْها بِما تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ»[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[الكهف: ٨٢].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر عنهما صلاحاً. رواه الإمام عبدالله بن المبارك، والإمام أحمد؛ كلاهما في «الزهد»، وغيرهما، وصححه الحاكم[2].

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء[3].

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وعترته، وعشيرته، وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. رواه ابن المبارك، وابن أبي شيبة[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٦/ ٦) عن جعفر بن محمد.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤١٥).

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده، وولد ولده، ويحفظه في دويرته والدويرات حوله، فما يزالون في ستر من الله وعافية. رواه ابن أبي حاتم.

وقال كعب: إن الله يخلف العبد المؤمن في ولده ثمانين عاماً. رواه الإمام أحمد في «الزهد».

بل روى الطبراني في «معجمه الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيْرانِهِ الْبَلاءَ»[1].

وروى ابن المبارك عن خيثمة رحمه الله تعالى قال: إن الله تعالى ليطرد بالرجل الشيطان من الآدر[2].

أي: لصلاحه، وكثرة ذكره لله ﷻ، وتلاوته القرآن.

وأنشد أبو القاسم إسحاق الختلي في كتاب «الديباج» عن محمد ابن يزيد لمحمود الوراق رحمه الله تعالى: [من الطويل]

رَأَيْتُ صَلاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ
وَيُعْدِيْهِمُ داءُ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٤): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٠٢٠).

وَيَـشْرُفُ فِـيْ الـدُّنْيَا بِفَـضْلِ صـلاحِهِ
وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِيْ الأَهْـلِ وَالْوَلَـدْ

وفي قوله: (ويعديهم) إشارة إلى أنه كما يحفظ بصلاحه في ولده، ويصلح الولد بصلاحه، كذلك يفسد الولد، ويضيع بفساده.

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: يقول الله تعالى: اتقوا غضبي؛ فإن غضبي يدرك إلى ثلاثة آباء، وأحبوا رضائي؛ فإن رضائي يدرك في الأَمَةِ.

وقال أيضاً: إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: إني إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي ناهب، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد[1]. رواهما الإمام أحمد في «الزهد».

* **تَنْبِـيْهانِ:**

الأَوَّلُ: تبين بذلك أن العبد إذا تشبه بالصالحين، وتحرى أن يكون منهم، كان بذلك محسناً إلى ولده وأهله وعشيرته وجيرانه، فله بذلك خير متعدٍّ إليهم، وثواب واصل إليه بسبب ما أحسن، وتفضل عليهم.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: إني أصلي فأذكر ولدي، فأزيد في صلاتي[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٢).

(٢) ذكره البغوي في «التفسير» (٣/ ١٧٧).

التَّنْبِيهُ الثَّانِيْ: ما ذكرناه من حفظ العبد الصالح في الأهل والولد معناه أنها كرامة يكرم بها الصالح بمشيئة الله تعالى، وقد لا يكرم بعض الصالحين بهذه الكرامة إشارة إلى أنه لا يجب على الله تعالى شيء، وأنه سبحانه وتعالى له الاختيار فيما يتفضل به على عباده، وأنه سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي المتفضل بحفظ الولد وإصلاحه، وليس لصلاح أبيه تأثير في الحقيقة، وإنما جعل الله تعالى صلاحه سبباً لتوفيق ولده في الغالب، وقد لا يجعله سبباً لذلك ليسلم الصالحون من الشرك الحاصل باعتقاد تأثير صلاحهم في توفيق أولادهم وأهليهم، ولئلا يتكلوا في إصلاح أولادهم على صلاح أنفسهم، فيتركوهم من التأديب والتعليم، أو يتكل الأولاد على صلاح آبائهم، ويتوانوا عن الجِد والاجتهاد في التعلم والتأدب، وليعلم الصالحون وأولادهم وأهلوهم أن الخير الواصل إلى الأولاد والأهلين إنما موصله إليهم على الحقيقة هو الله تعالى، والآباء والأهلون وسائط.

كما قال الإمام مالك رضي الله تعالى عنه: الأدب أدب الله، لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله، لا خير الآباء والأمهات[1].

قصة نوح عليه السلام وابنه وامرأته، وقصه لوط عليه السلام وامرأته اعتباراً لهذه الحقيقة، حيث قال في قصة نوح وابنه: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[هود: ٤٦]؛ أي: إنه ذو عمل

---

(١) رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص: ٢٤٢).

غير صالح بدليل قراءة يعقوب والكسائي: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ﴾[هود: ٤٦] ﴿إنه عَمِلَ غيرَ صالح﴾ بكسر الميم، وفتح اللام من (عمل)، والراء من (غير)، [ويحتمل][(١)] أن يكون معناه: أنه ينتجه عمل غير صالح كأن انتقل من صلب أبيه وهو ناسٍ لذكر الله تعالى لأن النسيان يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف: ٢٤]، وأطلق على مثل ذلك أنه عمل غير صالح بالنسبة إلى مقام الأنبياء عليهم السلام، وعلوِّ مرتبتهم.

وما أحسن قولَ الشيخ العارف بالله تعالى العلامة قطب الدين القسطلاني رحمه الله تعالى: [من الطويل]

إِذَا طابَ أَصْلُ الْمَرْءِ طابَتْ فُرُوْعُهُ
وَمِنْ عَجَبٍ جاءَتْ يَدُ الشَّوْكِ بِالْوَرْدِ
وَقَدْ يَخْبُثُ الْفَرْعُ الَّذِيْ طابَ أَصْلُهُ
لِيَظْهَرَ صُنْعُ اللهِ فِيْ الْعَكْسِ وَالطَّرْدِ[(٢)]

[وقال الله تعالى][(٣)] في قصة نوح ولوط عليهما السلام، وامرأتيهما[(٤)]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ

(١) بياض في «أ»، والمثبت من «م» و«ت».
(٢) وانظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٤٤).
(٣) غير واضحة في «أ»، والمثبت من «م» و«ت».
(٤) في «أ» بعد هذا: «فأهله وأهله»، وفي «ت»: «وأهله وأهله»، وهي غير واضحة في «م».

لُوطٍۢ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[التحريم: ١٠].

وخيانتهما لم تكن في الفراش، ولكن في الدين.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما بغت امرأة نبي قط. رواه ابن المنذر[١].

وقال الضحاك: إنما كانت خيانتهما النميمة[٢]. رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتهما. رواه عبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «الصمت»، و«المفسرون»، وصححه الحاكم[٣].

فتأمل في هاتين المرأتين الخائنتين، كيف لم ينتفعا بصلاح بَعْلَيهما، كما لم ينتفع كنعان بن نوح بصلاح أبيه، بل هلكوا مع الهالكين!

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾[التحريم: ١٠] الآية:

---

(١) وكذا رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٥١).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٢٠)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٦٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٣).

لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً، وامرأة فرعـون لـم يضرها كفـر فرعون. رواه عبد الرزاق وغيره[1].

قلت: ولو كان ظلمهما لأنفسهما لكان ربما سومحتا بصلاح زوجيهما، بل كان ظلمهما للزوجين بسبب الإيذاء، فكفَرتـا نعمـةَ الله عليهما في زوجيهما، وضيعتا حق الزوجية، وحق النبوة، كذلك يخشى على الولد إذا ضيع حق الأبوة، وعق والديه، والأزواج إذا كفرن العشير، فافهم!

[وكذلك][2]: إن الاعتبار في عكس ما تقدم كما أشار إليه القطب في قوله:

وَمِـنْ عَجَـبٍ جـاءَتْ يَـدُ الـشَّوْكِ بِـالْوَرْدِ

كما ولد آزر إبراهيم عليه السلام، وولـد أبو جهل، والوليـد، وعبدالله بن أبي، عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعبدالله بن عبدالله بن أُبَيٍّ، فلم يضر إبراهيم، وعكرمة، وخالداً، وعبدالله كفر آبائهم لما أراد الله تعالى سعادتهم.

وقد يشير إلى ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[الروم: ١٩]؛ يعني: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

---

(١) رواه عبـد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٠٣)، وكذا الطبـري في «التفسير» (٢٨/ ١٧١).

(٢) ما بين معكوفتين غير واضح في «أ» و«ت».

المؤمن عبدٌ حيُّ الفؤاد، والكافر عبدٌ ميتُ الفؤاد، كما أخرجه ابن جرير، عن الحسن رحمه الله تعالى[1].

وقد روي هذا التفسير عن سلمان الفارسي، وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما[2].

وروى عبد الرزاق، وابن سعد في «طبقاته»، وآخرون عن الزهري في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[الروم: ١٩]؛ قال: دخل رسول الله ﷺ على بعض نسائه فإذا هو بامرأة حسنة الهيئة فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالت: إحدى خالاتك، فقال: «إِنَّ خالاتِي بِهَذِهِ الأَرْضِ لَغَرَائِبُ؛ وَأَيُّ خالاتِيْ هَذِهِ؟» قالوا: خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث، فقال: «سُبْحانَ اللهِ الَّذِيْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ»، وكانت امرأة صالحة رضي الله تعالى عنها، وكان أبوها كافراً[3].

وكذلك النظر في آسية بنت مزاحم امرأة فرعون؛ لم يضرها عشرة فرعون مع مباينتها له بصلاحها وكفره حتى أنقذها الله تعالى من فرعون بنفارها عنه، وطلبها من ربها النجاة منه.

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٣٥٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ١٧٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١١٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٤٨)

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التحريم: ١١].

وقد أكرمها الله تعالى بأن جعلها زوجة النبي ﷺ في الجنة، كما روى الطبراني ذلك في حديث عن رسول الله ﷺ(١).

*** الفائدة السادسة: إن العبد الصالح إذا استرعي على رعية أعانه الله تعالى على رعايتها، ووفقها لطاعته.**

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور: ٥٥].

والاستخلاف أعم أن يكون بالخلافة العظمى، أو بغيرها كاستخلاف العالم في التعليم، ومن هنا حسنت أيام الخلفاء الراشدين لصلاحهم، وكان سفيان الثوري يعد منهم عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه.

وقد روى الدينوري في «المجالسة» عن حماد بن زيد، عن موسى ابن أعين الراعي، قال: كانت الغنم والأُسد والوحش ترعى في خلافة

---

(١) روى الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٠٦) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «أشعرت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون».

قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٣٣٢): فيه يونس بن شعيب، قال ابن عدي: هذا الحديث هو الذي أنكره عليه البخاري، وقال العقيلي: مجهول وحديثه غير محفوظ، وذكره الدولابي في الضعفاء.

عمر بن العزيز رضي الله تعالى عنه في موضع واحد، قال: فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظن الرجل [الصالح][1] إلا هلك، قال: فحسبنا، فوجدناه قد مات في تلك الليلة[2].

وروى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى: سألت ربي ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة، فرأيت كأن قائلاً يقول: يا عبد الواحد! رفيقك في الجنة ميمونة السوداء، فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل فلان بالكوفة، قال: فخرجت إلى الكوفة، فسألت عنها، فقيل: هي مجنونة بين ظهرانينا، ترعى غنيمات لنا، فقلت: أريد أن أراها، فقالوا: اخرج إلى الجَبَّانة، فخرجت وإذا بها قائمة تصلي، وإذا بين يديها عكازة لها، فإذا عليها جبة من صوف عليها مكتوب: لا تباع، ولا تشترى، وإذا الغنم مع الذئاب؛ لا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تفزع من الذئاب، فلما رأتني أوجزت في صلاتها، ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هاهنا، وإنما الموعد ثَمَّ، فقلت لها: رحمك الله! وما يعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف؟ فقلت لها: عظيني، فقالت: يا عجباً من واعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد! إنك لو وضعت معايير القسط على

---

(١) زيادة من «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٤٠).

جوارحك لخبرتك بمكتوم ما فيها، يا ابن زيد! إنه بلغني: ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة، ثم أنشأَتْ تقول:

يَا وَاعِظاً قَامَ لاحْتِسابِ ... يَزْجُرُ قَوْماً عَنِ الذُّنُوْبِ
تَنْهَىْ وَأَنْتَ السَّقِيْمُ حَقَّاً ... هَذا مِنَ الْمُنْكَرِ الْعَجِيْبِ
لَوْ كُنْتَ أَصْلَحْتَ قَبْلَ هَذَا ... غَيَّكَ أَوْ تُبْتَ مِنْ قَرِيْبِ
كانَ لِمَا قُلْتَ يا حَبِيْبِيْ ... مَوْقِعُ صِدْقٍ مِنَ الْقُلُوْبِ
تَنْهَىْ عَنِ الْغَيِّ وَالتَّمَادِيْ ... وَأَنْتَ فِيْ النَّهْيِ كَالْمُرِيْبِ

قال: فقلت لها: إني أرى هذه الذئاب مع الغنم؛ لا الغنم تفزع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغنم، فأيش هذا؟ فقالت: إليك عني؛ فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي، فأصلحَ ما بين الذئاب والغنم[1].

*** الفائدة السابعة: إدخال السرور على قلوب الأبوين والأقارب في قبورهم بصلاح الولد والقريب؛ لأن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الأموات في البرزخ.**

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «المنامات»، وغيره عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره لتقر بذلك عينه[2].

وروى الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ١٩).

أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ؛ فَإِنْ كانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوْا بِـهِ، وَإِنْ كانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوْا: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُمْ حَتَّىٰ تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا»(١).

وقلت في المعنى: [من السريع]

أَصْـلِحْ أَخِـيْ الأَعْمَـالَ لا تَتْـرُكَنْ
خَيْـرَاتِ أَعْمالِـكَ مَرْفُوْضَـةْ

فَـإِنَّ أَعْمَالَـكَ يَـا سَـيِّدِيْ
فِـيْ الْبَـرْزَخِ الْعُلْـوِيِّ مَعْرُوْضَـةْ

عَلَـىْ أَهَالِيْـكَ الَّـذِيْنَ اغْتَـدَتْ
أَرْواحُهُـمْ بِـالْمَوْتِ مَقْبُوْضَـةْ

إِنْ كـانَ خَيْـراً سُـرَّتِ الـرُّوْحُ أَوْ
شَـرّاً تَكُـنْ بِـالْهَمِّ مَقْبُوْضَـةْ

لَكِنَّهَـا تَـدْعُوْ بِحُـسْنِ الْهُـدَىْ
وَدَعْـوَةُ الـصَّالِحِ مَمْحُوْضَـةْ

جَـاءَتْ رِوايَـاتٌ بِهَـذا وَلَـمْ
تَكُـنْ بِـشَيْءٍ قَـطُّ مَنْقُوْضَـةْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٢٩): رواه أحمد وفيه رجل لم يسم.

وروى ابن أبي الدنيا عن صدقة بن سليمان الجعفري قال: كانت فيَّ شرَّة سمجة، فمات أبي، فأُبْتُ، وندمت على ما فرطت، قال: ثم زللت - أيضاً - زلة، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بُنَيَّ! ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علي، فنشبهها بأعمال الصالحين، فلما كانت هذه المرة استحييت حياء شديداً، فلا تخزني فيمن حولي من الأموات.

قال خالد بن عمرو القرشي - الراوي عنه -: فكان بعد ذلك قد خشع، ونسك، فكنت أسمعه يقول في دعائه في السحر - وكان لي جاراً بالكوفة -: أسألك إنابة لا رجعة فيها، ولا حَوَرَ يا مصلح الصالحين، وهادي الضالين، وراحم المذنبين(1).

*** الفائدة الثامنة: أن الصالحين لا تقوم عليهم الساعة، ولا يقاسون أهوال قيامها، ويثبتهم الله في القبور، وينجيهم على الصراط.**

روى الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُوْمُ السَّاعَةُ إلاَّ عَلَىْ شِرَارِ النَّاسِ»(2).

وروى الإمام أحمد، والبخاري عن مِرداس الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُوْنَ الأَوَّلُ فَالأَوّلُ، وَتَبْقَىْ حُفالَةٌ كَحُفَالَةِ(3) الشَّعِيْرِ وَالتَّمْرِ، لا يُبَالِيْ اللهُ بِهِمْ بَالَةً»(4).

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٢٠).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٤)، ومسلم (٢٩٤٩).

(3) قال البخاري في «الصحيح»: يقال: حُفَالَةٌ، وَحُثَالَةٌ.

(4) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٣)، والبخاري (٦٠٧٠).

وروى أبو بكر بن مردويه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧]؛ قال: ذلك في القبر؛ إن كان صالحاً وفق، وإن كان لا خير فيه وُجِد أبله[١].

وأصله في الكتب الستة مرفوعاً، ولفظه: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِيْ الْقَبْرِ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[إبراهيم: ٢٧] الآية»[٢].

وروى الحاكم وصححه، عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقة أمةً أمةً، ونبياً نبياً، حتى يكون أحمد، وأمته آخر الأمم مركزاً، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي منادٍ: أين أحمد وأمته؟ فيقوم، فتتبعه أمته؛ برُّها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه، فتتلقاهم الملائكة عليهم السلام تبوئهم منازلهم في الجنة على يمينك، على يسارك، على يسارك، على يمينك، حتى ينتهيَ إلى ربه، فيلقى له كرسي عن يمين الله، ثم ينادي منادٍ: أين عيسى وأمته؟ فيقوم، فتتبعه أمته؛ برُّها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٦) إلى ابن مردويه.

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٨٧١)، وأبو داود (٤٧٥٠)، والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي (٢٠٥٦)، وابن ماجه (٤٢٦٩).

ويمين، وينجو النبي عليه السلام والصالحون، ثم تتبعهم الأنبياء حتى يكون آخرهم نوح عليه السلام[1].

* تَنْبِيهٌ:

ذهاب الصالحين قبل قيام الساعة فيه راحة لهم، وجنة لهم عما بين يدي الساعة من الأهوال، لكن فيه فوات خيرهم لمن يبقى بعدهم، ومن ثَمَّ كان يقول عبدالله بن غالب الحاني رحمه الله تعالى: اللهم إني أشكو إليك سفه أحلامنا، ونقص علمنا، واقتراب آجالنا، وذهاب الصالحين منا. أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار، عنه[2].

* تَنْبِيهٌ آخَرُ:

لا يعارض ما سبق ما رواه الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نومه وهو محمرٌّ وجهه، وهو يقول: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؛ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» ـ وحلَّق بأصبعيه الإبهام، والتي تليها ـ قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[3].

فإن هذا فيما يعرض للناس بسبب ذنوبهم، وسكوت الصالحين

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٤٧).

(٣) رواه البخاري (٣١٦٨)، ومسلم (٢٨٨٠).

عن الإنكار عليهم من نحو طاعون، أو غلاء، ومجاعة، أو غرق، أو فتنة، وملحمة، فيكون البلاء رحمة للصالحين، وطهرة لهم، وليس ذلك في أهوال يوم القيامة؛ فإنها لا تقوم على من يقول: «الله، الله»، وإنما تقوم على شرار الخلق، كما ثبت في الأخبار الصحيحة الصريحة[1].

ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ حين قالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم، فقال: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ إِذا أَنْزَلَ سَطْوَتَهُ بِأَهْلِ نِقْمَتِهِ وَفِيْهِمُ الصَّالِحُوْنَ فَيُصَابُوْنَ مَعَهُمْ، ثُمَّ يُبْعَثُوْنَ عَلَىْ نِيَّاتِهِمْ». رواه ابن حبان في «صحيحه»[2].

وروى الطبراني، وأبو نعيم عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا ظَهَرَ السُّوْءُ فِيْ الأَرْضِ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ بَأْسَهُ بِأَهْلِ الأَرْضِ»، قالت: قلت: يا رسول الله! وإن كان فيهم صالحون؟ قال: «نَعَمْ، وَإِنْ كانَ فِيْهِمْ صالِحُوْنَ؛ يُصِيْبُهُمْ ما أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَرْجِعُوْنَ إِلَىْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىْ»[3].

ورواه الدينوري في «المجالسة»، ولفظه: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِيْ فِيْ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٩٨٩).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٣١٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٨٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢١٨).

أُمَّتِيْ، أَصَابَهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ أَجْمَعِيْنَ»، قالت أم سلمة: قلت: وفي الناس إذ ذاك قوم صالحون؟ قال: «نَعَمْ، يُصِيْبُهُمْ ما أَصابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيْرُوْنَ إِلَىْ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ»[1].

وأخرجه الإمام أحمد بسندين، أحدهما صحيح[2].

*** الفائدة التاسعة: النعيم في القبر، والسلامة من فتنته، وذب الأعمال الصالحة عن العبد الصالح فيه:**

روى ابن أبي الدنيا عن ثابت البُنَاني رحمه الله تعالى قال: إذا مات العبد الصالح فوضع في قبره، أتي بفراش من الجنة، وقيل له: نم هنيئاً لك قرة العين، فرضي الله عنه، قال: ويفسح له في قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، فينظر إلى حسنها، ويجد ريحها، وتحتوشه أعماله الصالحة ـ الصيام والصلاة ـ فيقول له: نحن أنصبناك، وأظمأناك، وأسهرناك؛ فنحن اليوم لك بحيث تحب، نحن أُنَآسُكَ حتى تصير إلى منزلك من الجنة.

وفي هذا الباب آثار أخرى، ولها شواهد من الحديث الصحيح.

وقال إبراهيم بن بشار: كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ينشد: [من السريع]

مَـا أَحَـدٌ أَكْـرَمُ مِـنْ مُفْـرَدٍ فِـيْ قَبْـرِهِ أَعْمَالُـه تُؤْنِـسُهْ

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٦٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٠٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٨): رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح.

مُـنَعَّمُ الْجُثْمَـانِ فِـيْ رَوْضَـةٍ زَيَّنَهـا اللهُ فَهِـيَ مَجْلِـسُهْ[1]

*** الفائدة العاشرة: تنعم الصالح في الدنيا بمعرفة الله تعالى، وفي الآخرة برؤيته سبحانه، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.**

روى أبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً فِيْ الأَرْضِ، وَأَحَبُّ آنِيَـةِ اللهِ إِلَيْهِ ما رَقَّ وَصَفَا، وَآنِيَةُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ قُلُوْبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ»[2].

والمراد أن قلوب الصالحين آنية وأوعية لمعرفة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦].

الذين أحسنوا: هم الصالحون.

والحسنى المعدة لهم: الجنة.

والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.

وتفسير الزيادة بالنظر إليه سبحانه ثابت في «صحيح مسلم»، وغيره[3].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه عن أبي

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ١١)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (ص: ٢٦٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٧).

(٣) انظر: «صحيح مسلم» (ص: ١٦٣).

هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَىْ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِيْنَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَىْ قَلْبِ بَشَرٍ»[1].

زاد في رواية: «ذُخْراً بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ»[2]؛ أي: غير ما أطلعكم عليه.

قال أبو هريرة: مصداق ذلك في كتاب الله.

وفي رواية: ثم قرأ أبو هريرة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧][3].

وروى مسلم، وجماعة نحوه من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه[4].

قيل لمحمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى في ذلك، فقال: إنهم أخفوا عملاً، وأخفى الله لهم ثواباً، فقدموا على الله فقرَّت تلك الأعين. رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وغيرهما[5].

وقال جابر بن زيد رحمه الله تعالى: قلت لابن عباس رضي الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٨)، والبخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (٢٨٢٤)، والترمذي (٣١٩٧)، وابن ماجه (٤٣٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٢)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٣) رواه البخاري (٤٥٠٢).

(٤) رواه مسلم (٢٨٢٥).

(٥) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥١) إلى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد.

تعالى عنهما: أفرأيت قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]؟ قال: هو العبد يعمل سراً أسره إلى الله تعالى لم يعمل به للناس، فأسر الله له قرة أعين. رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي[١].

ولا شك أن الصالحين يصلحون السرائر قبل إصلاح الظواهر، ولولا حسن سرائرهم لم تحسن ظواهرهم، فعمل السر له الثواب السر الذي لم يطلع عليه نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

وروى الإمام أحمد، والبزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «فِيْ رَمَضانَ[٢] يُزَيِّنُ اللهُ تَعَالَىْ كُـلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يَقُوْلُ: يُوْشِكُ عِبَـادِيَ الصَّالِحُوْنَ أَنْ يُلْقُوْا عَنْهُمُ الْمُؤْنَـةَ، وَيَصِيْرُوْا إِلَيْكِ»[٣].

وروى الأصبهاني عن عوسجة قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى! لو رأت عينك ما أعددت لعبادي الصالحين،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢٠).

(٢) اختصر المصنف الحديث، ولفظ الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٢): «أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال في رمضان».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٢)، والبزار في «المسند» (٨٥٧١) وقال: فيه هشام بن زياد، أبو المقدام، قد حدث عنه جماعة من أهل العلم، وليس بالقوي في الحديث.

لذاب قلبك، وزهقت نفسك اشتياقاً إليه[1].

* **الفائدة الحادية عشرة: أن الصلاح يكسب العبد الشرف في الدنيا والآخرة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَنْسابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسُبَّةٍ[2] عَلَىْ أَحَدٍ مِنْكُمْ، كُلُّكُمْ بَنُوْ آدمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَؤُوْهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَىْ أَحَدٍ فَضْلٌ إِلاَّ بِدِيْنٍ وَتَقْوَى، إِنَّ اللهَ لا يَسْأَلُكُمْ عَنْ أَحْسابِكُمْ وَعَنْ أَنْسابِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»[3].

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت»: ثنا خالد بن خداش، قال: قال لي فضيل بن عياض رحمه الله تعالى: ممن أنت؟، قلت: مهلبي، قال: إن كنت رجلاً صالحاً فأنت الشريف كل الشريف، وإن كنت رجل

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤١٩).

(٢) في «م» و«أ»: «بمسبة».

(٣) تبع المصنفُ السيوطيَّ في عزوه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٩). والحديث بهذا المتن هو مجموع روايتين: الأولى: رواها الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٨)، والثانية: رواها الطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٤٠).

سوء فأنت الوضيع كل الوضيع[1].

* **الفائدة الثانية عشرة: مقارنة الصالحين في الجنة، ومرافقتهم[2]؛** كما يؤخذ من الآية المتقدمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[النساء: ٦٩] الآية.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[الحجر: ٤٧].

وروى ابن أبي شيبة عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سئل عمر رضي الله تعالى عنه: [عن قول الله][3]: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[التكوير: ٧]؛ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار[4].

وروى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «وَما أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟» فقال: حب الله ورسوله، قال: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً من قول النبي ﷺ: «فَإِنَّكَ

---

(١) وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٦).

(٢) في «أ»: «وموافقتهم».

(٣) بياض في «أ».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٢).

مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قال أنس: فأنا أحب الله، ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم[1].

وهذا الحديث عند البخاري، وغيره، وهو ثابت من حديث ابن مسعود، وأبي موسى، وأبي ذر، كما تقدم في صدر الكتاب.

وروى الترمذي عن أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَلَهُ ما اكْتَسَبَ»[2].

وفي هذا اللفظ إشارة إلى أن العبد الصالح يستوفي في ثواب كسبه، ثم يلحق بإخوانه ممن هو فوقه في الرتبة.

*** الفائدة الثالثة عشرة: أن الله تعالى يلحق بالعبد الصالح في رتبته من هو دونه في الرتبة من ولد، أو والد، أو زوج، ويلحق العبد الصالح ممن هو فوقه به بمن ذكر ليتم بذلك سرورهم.**

قال الله تعالى حكاية عن حملة العرش ومن حوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[غافر: ٧ ـ ٨].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٩) واللفظ له، وكذا رواه البخاري (٣٤٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٦) وحسنه.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ١٩ ـ ٢٢].

قال القاضي البيضاوي ﷺ في هذه الآية: والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم ـ وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم ـ تبعاً لهم، وتعظيماً لشأنهم.

قال: وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة، وأن الموصوفين بتلك الصفات مقترن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنفسهم.

قال: والتقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانتساب لا ينفع[1].

قلت: ومن هنا أثنى الله تعالى على الداعي بصلاح النفس والذرية؛ فإن صلاح الولد زيادة في صلاح الوالد لأنه كسبه، فقال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾[الأحقاف: ١٥].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٣٢٧).

قال مجاهد رحمـه الله تعالى: اجعلهم صالحين، كما رواه ابن المنذر عنه[1].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[الأحقاف: ١٦].

وقد روى ابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فأسلم والداه جميعاً، وأخواته، وولده كلهم[2].

* تَنْبِيْهٌ:

روى أبو داود، والنحاس؛ كلاهمـا في «الناسخ والمنسـوخ»، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[النجم: ٣٩]؛ قال: فأنزل الله تعالى بعـد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾[الطور: ٢١]، فأدخل الله تعالى الأبناء الجنة بصلاح الآباء[3].

وروى البزار عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّـةَ

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤٣) إلى ابن المنذر، ولفظه: اجعلهم لي صالحين.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤٣) إلى ابن مردويه.

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠).

الْمُؤْمِنِ إِلَيْهِ فِيْ دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كانُوْا دُوْنَهُ فِيْ الْعَمَلِ؛ لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ»، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[الطور: ٢١]؛ قال: «وَما نَقَصْنَا الآبَاءَ مِمَّا أَعْطَيْنَا الْبَنِيْنَ»[١].

وروى سعيد بن منصور، والحاكم، والبيهقي نحوه موقوفاً[٢].

* **تَتِمَّةٌ:**

روى أبو نعيم عن جعفر قال: سألت سعيد بن جبير رحمه الله تعالى عن أولاد المؤمنين، قال: هم تبع خير آبائهم؛ فإن كان الأب خيراً من الأم فهو مع الأب، وإن كانت الأم خيراً من الأب فهو مع الأم[٣].

قلت: ويؤيده أن الولد يلحق أشرف أبويه في الدنيا في الدِّين.

* **فائِدَةٌ:**

مقتضى ما ذكرناه أن فاطمة ـ رضي الله عنها، وكذلك إخوتها ـ مع أبيهم ﷺ، فمقامها أرفع من مقام بعلها.

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤) إلى البزار. وقال: وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٦٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٢).

وقد سئل والدي رحمه الله تعالى: إن علياً رضي الله تعالى عنه إذا أراد الاجتماع بها في الجنة كيف يكون اجتماعه بها وهي في رتبة أبيها؟ فقال: يرفع عليٌّ إلى مقامها رضي الله تعالى عنهما، ولا تنخفض إلى مقامه.

قلت: ومقام الحسن والحسين مع جدهما، وأمهما، وعليٌّ رضي الله عنهم يلحق بهم، وهذا هو الكرم، والفضل الذي ليس بعده فضل.

*** الفائدة الرابعة عشرة: أن الصالحين تفتخر بهم البقاع، وإذا ماتوا بكت عليهم مجالسهم من الأرض، ومهابط أرزاقهم من السماء، ومصاعد أعمالهم منها، وتهتف الهواتف بموتهم، ويندبهم الصالحون حزناً عليهم.**

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد»، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ صَبَاحٍ وَلا رَواحٍ إلاَّ وَبِقَاعُ الأَرْضِ يُنَادِيْ بَعْضُها بَعْضاً: يا جَارَةُ! هَلْ مَرَّ بِكِ الْيَوْمَ عَبْدٌ صالِحٌ صَلَّىْ عَلَيْكِ، أَوْ ذَكَرَ اللهَ؟ فَإِنْ قالَتْ: (نعَمْ) رَأَتْ أَنَّ لَهَا فَضْلاً، وَقالَ اللهُ تَعَالَىْ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[الدخان: ٢٩]»(١).

روى ابن المبارك عن علي رضي الله تعالى عنه قال: إذا مات

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٣) لكنه وقفه على أنس، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٤).

العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[الدخان: ٢٩][1].

وروى الترمذي، وابن أبي الدنيا في كتاب «الموت»، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم، والخطيب، والثعلبي في «تفسيره»، عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ إلاَّ لَهُ فِيْ السَّماءِ بابانِ؛ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِزْقُهُ، وَبابٌ يَدْخُلُ فِيْهِ عَمَلُهُ وَكَلامُهُ، فَإِذا ماتَ فَقَداهُ، وَبَكَيا عَلَيْهِ»، وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾[الدخان: ٢٩][2].

وذلك أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً يبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح، فتفقدهم، وتبكي عليهم.

وروى الإمام عبد بن حميد عن وهب رحمه الله تعالى قال: إن الأرض لتحزن على العبد الصالح أربعين صباحاً[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٥٥) وقال: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي، يضعفان في الحديث. ورواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٣٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٨٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥٣)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٣).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٢) إلى عبد بن حميد.

وعن مجاهد: إن العالم إذا مات بكت الأرض عليه أربعين صباحاً[1].

وروى ابن المبارك، وابن أبي الدنيا عن عطاء الخراساني رحمه الله تعالى قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت[2].

وروى الدينوري عن المدائني قال: لما قتل أهل الحرة، هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة، وابن الزبير رضي الله تعالى عنه يسمع: [من مجزوء الكامل المرفل]

قُتِلَ الْخِيَارُ بَنُوْ الْخِيَا ... رِ ذَوُوْ الْمَهَابَةِ وَالسَّمَاحِ
وَالصَّائِمُوْنَ الْقَائِمُوْ ... نَ الْقَانِتُوْنَ أُوْلُو الصَّلاحِ
اَلْمُهْتَدُوْنَ الْمُتَّقُوْ ... نَ السَّابِقُوْنَ إِلَىْ الْفَلاحِ
مَاذا بِوَاقِمَ وَالْبَقِيْـ ... ـعِ مِنَ الْجَحَاجِحِ وَالصِّبَاحِ
وَبِقَاعِ يَثْرِبَ وَيْحَهُنَّ ... مِنَ النَّوَادبِ وَالصِّيَاحِ

فقال ابن الزبير رضي الله تعالى عنه لأصحابه: يا هؤلاء! قد قتل أصحابكم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون[3].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٢) إلى عبد بن حميد، ورواه الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٢٥) لكنه قال: «المؤمن» بدل «العالم».
(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١١٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٣) إلى ابن أبي الدنيا.
(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٥٧).

وقال ابن أبي الدنيا في «الهواتف»: ثنا أبو زيد النميري، حدثني أبو غسان محمد بن يحيى الكناني، حدثني بعض آل الزبير قال: «لما قتل أهل الحرة...»، فذكره[1].

* **الفائدة الخامسة عشرة: الحياة الطيبة:**

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الحياة الطيبة الرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا، وإذا صار إلى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل. رواه عبد الرزاق، والمفسرون[2].

وفي لفظ: حياة طيبة: الكسب الطيب، والعمل الصالح. رواه ابن أبي حاتم.

وفي لفظ عنه ـ أيضاً ـ: الحياة الطيبة: القنوع. رواه الحاكم، وصححه البيهقي، وآخرون[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٦٤).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٦٤) إلى عبد الرزاق، ورواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٧٠).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٤٧).

وقيل: الحياة الطيبة: الرضا.

وقيل: التسليم.

وقيل: معرفة الله تعالى.

وقيل: حلاوة الطاعة.

وقيل: الافتقار إلى الله تعالى، والاستغناء به[1].

فعلى هذه الأقوال فالحياة الطيبة في الدنيا.

وقال السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمه الله تعالى: في القبر[2].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن أنه قال في الآية: ما تطيب الحياة إلا في الجنة[3].

* **الفائدة السادسة عشرة: ما تضمنه قوله تعالى:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور: ٥٥].

فإنَّ الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، ولأمته، أو له ولمن معه.

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٤٨٩). فقد ذكر تسعة أقوال.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٠/ ٩١).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٦٥) إلى ابن أبي شيبة، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٧١).

والأول أرجح[1].

ولا يخفى ما في هذه الآية الجليلة من الفوائد العظيمة المختصة بالصالحين من الاستخلاف في الأرض مع التمكين في الدين المرضي عند الله، ومن تبديلهم الأمن بعد الخوف، وهو شامل للأمن من الأعداء في الدنيا، ومن النار في الآخرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢].

ثم الصالحون في هذا بخلاف غيرهم؛ فإن الفسقة والفجرة قد يستخلفون في الأرض، ويكون ذلك استدراجاً لهم واستزلالاً، ثم هم إن أمنوا من أعدائهم في الدنيا بسبب القوة والمنعة والتمكين على الوجه المذكور، أو على وجه تأييد الدين ـ وإن كانوا فجرة ـ كما روى الطبراني في «الكبير» عن عمرو بن مقرن رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّيْنَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ الإِسْلامَ بِرِجالٍ ما هُمْ مِنْ أَهْلِهِ»[3].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٥٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٦٢٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٩).

(٣) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٠٢) إلى الطبراني، وقال: فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف.

رسول الله ﷺ قال: «قُمْ يا فُلانُ فَأَذِّنْ: أَنَّـهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ الدِّيْنَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(١).

وروى الإمام أحمد ورجاله ثقات، والطبراني عن أبي بكرة رضي الله عنه، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن أنس رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّيْنَ بِأَقْوامٍ لا خَلاقَ لَهُمْ»(٢).

فهؤلاء لا يأمنون يوم القيامة من الأهوال والأنكال بسبب الظلم والجور والفساد في الأرض، والمعصية، وارتكاب الخطايا، واتباع الشهوات، بخلاف الصالحين.

وقد علم من ذلك أن الصالحين يصلح الله لهم دنياهم وآخرتهم، بخلاف غيرهم، وكفى بهذه فائدة!

* **الفائدة السابعة عشرة: أن الله تعالى يلقي محبة الصالحين في قلوب الخلق إلا من شذ منهم:**

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه: ٣٩].

قال سَلَمة بن كُهَيل رحمه الله تعالى: حببتك إلى عبادي. رواه

---

(١) رواه البخاري (٣٩٦٧) واللفظ له، وكذا رواه مسلم (١١١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٥).

ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥١٧) عن أنس رضي الله تعالى عنه

ابن أبي حاتم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦].

وفي «صحيح مسلم» عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة، فمر عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وهو على الموسم، فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبه! إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس. قال: بأبيك أنت! لسمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعا جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنِّيْ أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، قالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنادِيْ فِيْ السَّماءِ، فَيَقُوْلُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقَبُوْلُ فِيْ الأَرْضِ.

وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً دَعا جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ، قالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنادِيْ فِيْ أَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوْهُ، قالَ: فَيُبْغِضُوْنَهُ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْبَغْضاءُ فِيْ الأَرْضِ». والحديث عند البخاري، والترمذي، وغيرهما(١).

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: إن العبد إذا عمل بطاعة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧). وأصل الحديث دون القصة: رواه البخاري (٣٠٣٧)، والترمذي (٣١٦١) عن أبي هريرة ﷺ.

الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغضه الله إلى عباده. رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»(1).

*** الفائدة الثامنة عشرة: هداية الصالحين في الدنيا إلى عمل الخير، وفي الآخرة إلى مستقراتهم من الجنة بحيث إنهم أعرف بمنازلهم ثَمَّ منهم بمجالسهم في الدنيا، وإعطاؤهم الأنوار ليهتدوا بها.**

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾[يونس: ٩]؛ أي: في الدنيا إلى طرق الخير، وفي الجنة إلى مساكنهم في الجنة، وما فيه نجاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[محمد: ٦].

*** الفائدة التاسعة عشرة: أن الصالحين يرفعون إلى جنة الفردوس، والدرجات العلى، وشجرة طوبى.**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣/ ٨١)، وكذا رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٥).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلا الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنهارُ الْجَنَّةِ»(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥ ـ ٧٦].

وروى الترمذي، والحاكم، والبيهقي عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ وَالفِرْدَوْسُ أَعْلاها دَرَجَةً»(٢).

وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾؛ العدن: الإقامة، وليست مغايرة للفردوس، بل جنات عدن صفة صالحة للفردوس، وغيرها.

وروى ابن المبارك، وأبو نعيم عن عون بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: إن الله ليدخل خلقاً الجنة فيعطيهم حتى يملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: يا ربنا! إخواننا كنا معهم فبم فضلتهم علينا؟ فيقال: هيهات هيهات! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمؤون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويسبحون حين تختصمون(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٧).

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[الرعد: ٢٩].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما خلق الله الجنة، وفرغ منها، قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، وذلك حين أعجبته. رواه ابن جرير(١).

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! طوبى لمن رآك، وآمن بك، قال: «طُوْبَىْ لِمَنْ رآنِيْ، وَآمَنَ بِيْ، ثُمَّ طُوْبَىْ، ثُمَّ طُوْبَىْ، ثُمَّ طُوْبَىْ لِمَنْ آمَنَ بِيْ، وَلَمْ يَرَنِيْ»، قال رجل: وما طوبى؟ قال: «شَجَرَةٌ فِيْ الْجَنَّةِ مَسِيْرَةَ مِئَةِ عامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمامِها»(٢).

* **الفائدة التي بها تمام عشرون فائدة: الفلاح**؛ وهو الفوز بالخير في الدنيا؛ ومنه استجابة الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[الشورى: ٢٦]؛ أي: يعطيهم ما سألوا، ويزيدهم من فضله زيادة لم يسألوها.

وفي الآخرة؛ وهو شامل لكل خير اخْتُصَّ به الصالحون.

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١٤٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤١٣).

وفسر الأكثرون الفلاح بالمكث في الخير، والإقامة في الخير والخلود، فيكون مخصوصاً بالآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١].

وذكر في الآيتين أوصاف الصالحين.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[القصص: ٦٧].

وقد سبق الكلام في الفلاح.

* **تَنْبِيهٌ لَطِيفٌ:**

روى الدينوري عن العتابي قال: مررت بدير، فإذا راهب ينادي، فرفعت رأسي إليه، فقال لي: ويحك! هب أن المسيء قد عفي عنه، أليس قد فاته ثواب الصالحين؟[1]

قلت: وفي كتاب الله ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾[غافر: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٧٤).

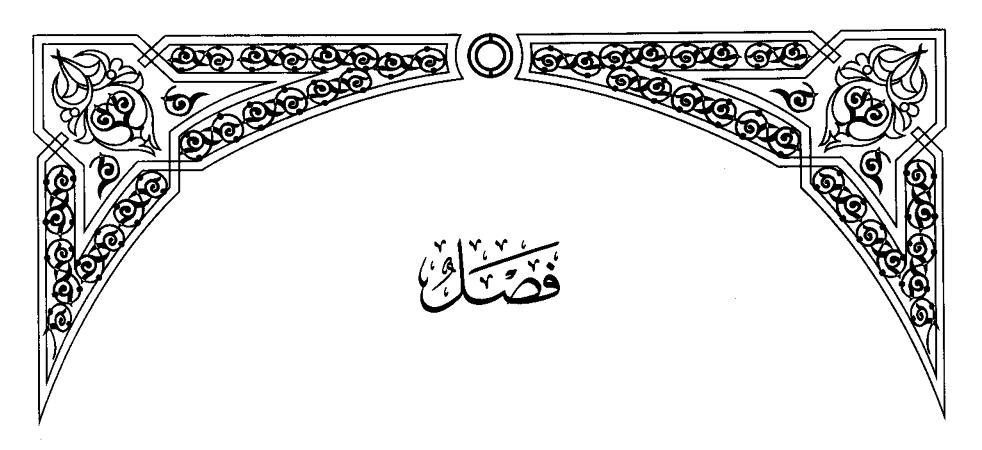
﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وفي هذه الآية اعتبار عظيم، وتفرقة ظاهرة بين الفريقين، ومن عمل عمل المجترحين، وأراد ثواب الصالحين، فهو في حمق مبين.

وقال مسروق: قرأ تميم الدَّاري سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الجاثية: ٢١] الآية، لم يزل يكررها، ويبكي حتى أصبح. رواه ابن المبارك، وابن أبي شيبة، والطبراني، وآخرون[1].

* * *

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٠).



فصل

كما ينبغي للإنسان أن يتشبه بالصالحين، ينبغي لـه أن يسأل الله تعالى أن يلحقه بهم، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الشعراء: ٨٣].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

وروى ابن أبي شيبة عن إسماعيل بن [أبي] خالد رحمه الله تعالى قال: ذكر عن بعض الأنبياء عليهم السلام: اللهم لا تكلفني طلب ما لم تقدره لي، وما قدرت لي من رزق فأتني به في ستر منك وعافية، وأصلحني بما أصلحت به الصالحين؛ فإنما أَصْلَحَ الصالحين أنت(١).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «التوبة» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى: أنه كان يقول: اللهم إن الصالحين أصلحتهم، فأصلحنا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧١).

حتى نكون صالحين[1].

وروى أبو نعيم: أن معاوية بن قُرَّة رحمه الله تعالى كان يقول: اللهم إن الصالحين أنت أصلحتهم، ورزقتهم، يعملون بطاعتك، فرضيت عنهم، اللهم كما أصلحتهم ورزقتهم فرضيت عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك، وارض عنا[2].

وقال رجل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: زودني دعوة؛ فإني أريد الخروج إلى طرسوس، فقال: قل: يا دليل الحيارى! دلني على طريق الصالحين، واجعلني من الصالحين[3].

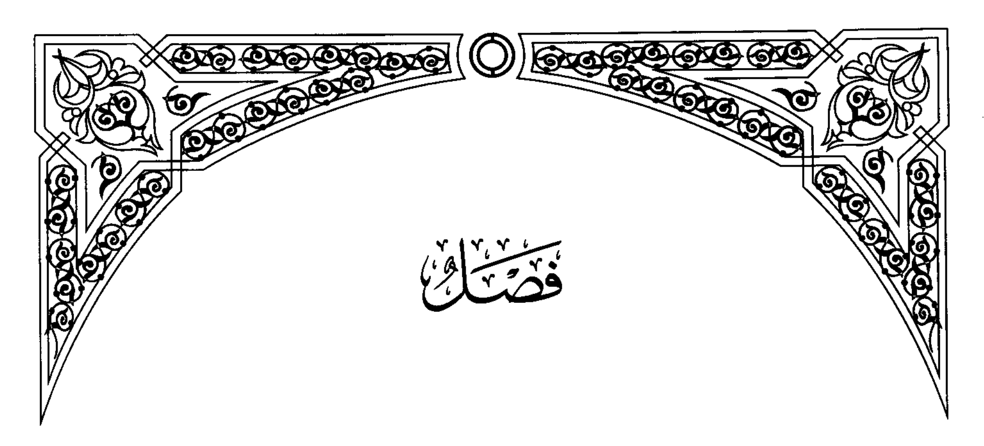
* * *

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (ص: ١٢٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٩).

(٣) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (ص: ٢٣٣).



فصل

وكذلك يستحب له زيارة الصالحين، وعيادتهم، والتردد إليهم ليكون معهم بالمحبة، كما سبق، ويجب عليه احترامهم وإجلالهم.

روى الإمام أحمد، وغيره، وصححه الحاكم، عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُوْلُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِيْ لِلَّذِيْنَ يَتَزَاوَرُوْنَ مِنْ أَجْلِيْ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِيْ لِلَّذِيْنَ يَتَحابُّوْنَ مِنْ أَجْلِيْ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِيْ لِلَّذِيْنَ يَتَبَاذَلُوْنَ مِنْ أَجْلِيْ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِيْ لِلَّذِيْنَ يَتَناصَرُوْنَ مِنْ أَجْلِيْ»(١).

وروى الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عادَ مَرِيْضاً، أَوْ زارَ أَخاً لَهُ فِيْ اللهِ، ناداهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ: طِبْتَ، وَطابَ مَمْشاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً»(٢).

وروى مسلم عن أنس قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٨) واللفظ له، وحسنه، وابن ماجه (١٤٤٣).

رسـول الله ﷺ: انطلق بنـا إلى أم أيمن نزورهـا كمـا كـان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهوا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ قالت: إني لا أبكي لأني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

قال حجة الإسلام في «الإحياء»: ودخل رجل على داود الطائي رحمه الله تعالى فقال له: ما حاجتك؟ قال: زيارتك، قال: أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت، ولكن انظر ماذا ينزل بي إذا قيل لي: من أنت فتُزار؟ من الزهاد أنت؟ لا والله، من الصالحين أنت؟ لا والله، من العبَّاد أنت؟ لا والله، ثم أقبل ينوح على نفسه، ويقول: كنت في الشبيبة فاسقاً، فلما شخت صرت مرائياً، والله لَلمرائي شر من الفاسق[2].

واعلم أن الصالحين ـ وإن أزروا بأنفسهم، ووضعوا من مقامهم ـ فإنما يزيدهم ذلك مهابة في قلوب المؤمنين، ووقاراً في صدور المحبين.

وفي الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيْرَنا، وَيَرْحَمْ صَغِيْرَنَا». رواه الإمام أحمد، والحاكم عن عبادة بن الصامت[3].

وفي لفظ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيْرَنا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيْرِنا فَلَيْسَ مِنَّا».

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦١).

(٣) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٥/ ٣٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وإسناده حسن.

رواه أبو داود، والحاكم وصححه، من حديث ابن عمرو[1].

وفي لفظ عنه أيضاً أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيْرَنا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيْرِنا»[2].

وفي لفظ عن أنس ـ صححه الترمذي ـ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيْرَنا، وَيُوَقِّرْ كَبِيْرَنا»[3].

وليس المراد بالكبير من كان من المترفين، أو من الظلمة المتمردين، بل من كان من العلماء العاملين، أو الحكام العادلين، أو العباد الصالحين، أو ذوي الأسنان من المسلمين.

وروى الأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن أبي بكر بن عثمان قال: كتب أبو عثمان إلى محمد بن الفضل رحمة الله عليهما: سألتَ ما علامة الشقاوة؟ فهي ثلاثة أشياء: يرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق محبة الصالحين ولا يحترمهم[4].

* * *

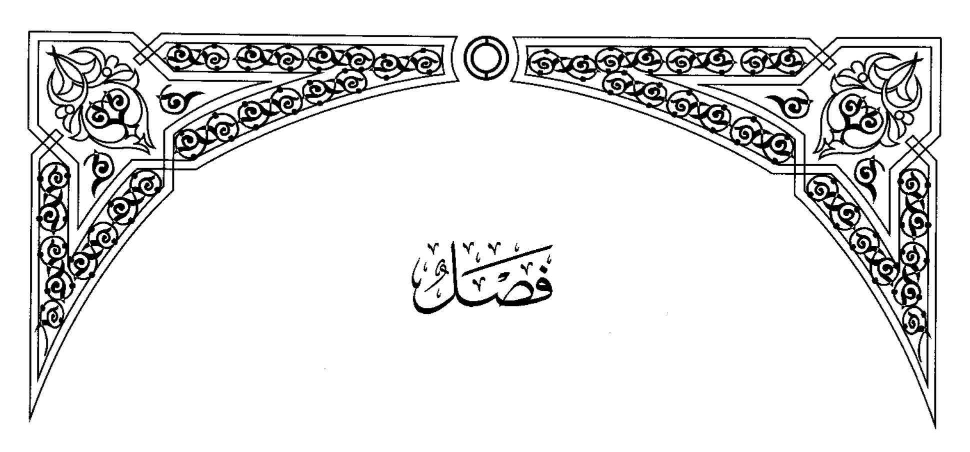
---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٥) إلا أنه قال: «ويعرف حق كبيرنا»، ورواه الترمذي (١٩٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٩).

(٣) رواه الترمذي (١٩١٩) وقال: هذا حديث غريب، وزربي ـ راوي الحديث ـ له أحاديث مناكير عن أنس بن مالك وغيره.

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٥٦).



وكذلك ينبغي له أن يخالط الصالحين، ويعاشرهم، ويخدمهم، ويقضي حوائجهم، ويعاونهم؛ لأن ذلك يدعو إلى محبتهم، والتشبه بهم، وطلب اللحاق بهم، والحشر معهم، وسريان طباعهم إليه بمخالطتهم، كما تقدم التنبيه على ذلك، وإلى حلول نظرهم عليه، ودعائهم له، ولأن من جالسهم فقد جالس الله ﷻ لأنهم جلساؤه.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، فَجَعَلَ يَسْأَلُ؟ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَتَىْ راهِباً فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ تَوْبَةٌ؟ فقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، فَخَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَىْ قَرْيَةٍ فِيْها قَوْمٌ صالِحُونَ، فَلَمَّا كانَ فِيْ بَعْضِ الطَّرِيْقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَناءَ بِصَدْرِهِ، فَأَحَفَّتْ بِهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلائِكَةُ الْعَذابِ، وَكانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»(١).

وقوله: «فَناءَ بِصَدْرِهِ»؛ أي: مال بصدره إلى جهة القرية الصالحة، فأدركه الموت على هذه الحالة.

---

(١) تقدم تخريجه.

فانظر كيف جعل من أهل القرية الصالحة بعزمه على مخالطتهم، والكينونة معهم، فما ظنك بمن يخالطهم؟

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي جحيفة ﷺ قال: قال رسول الله: «جَالِسُوْا الْكُبَراءَ، وَسائِلُوْا الْعُلَماءَ، وَخالِطُوْا الْحُكَماءَ»[1].

ومن فهم أن الكبراء في الحديث غير أهل الدين والتقوى فقد أخطأ الفهم.

وفي «الأوسط» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: يا رَبِّ! أَخْبِرْنِيْ بِأَكْرَمِ خَلْقِكَ عَلَيْكَ، قالَ: الَّذِيْ يُسَارِعُ إِلَىْ هَوَايَ إِسْراعَ النَّسْرِ إِلَىْ هَواهُ، وَالَّذِيْ يَأْلَفُ عِبادِيَ الصَّالِحِيْنَ كَمَا يَأْلَفُ الظَّبْيُ النَّاسَ، وَالَّذِيْ يَغْضَبُ إِذا انْتُهِكَتْ مَحارِمِيْ كَغَضَبِ النَّمِرِ لِنَفْسِهِ، لا يُبالِيْ قَلَّ النَّاسُ إِذا غَضِبَ أَمْ كَثُرُوْا»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن معاوية بن قرة قال: قال لقمان لابنه عليهما السلام: يا بني! جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٣٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥): رواه الطبراني في «الكبير» من طريقين أحدهما هذه، والأخرى موقوفة، وفيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي، وهو منكر الحديث، والموقوف صحيح الإسناد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٦): وفيه محمد بن عبدالله بن يحيى بن عروة، وهو متروك.

تصيب بمجالستهم خيراً، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة فتصيبك معهم.

يا بني! لا تجالس الأشرار؛ فإنك لا يصيبك من مجالستهم خير، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبة فتصيبك معهم[1].

وذكر الحافظ ابن سيد الناس في «منح المدح» عن بعض أهل الأخبار: أن لبيد بن ربيعة العامري رضي الله تعالى عنه لم يقل الشعر في الإسلام إلا قوله: [من الكامل]

مَـا عَاتَـبَ الْمَـرْءَ الْكَـرِيْمَ كَنَفْسِهِ
وَالْمَـرْءُ يُـصْلِحُهُ الْقَـرِيْنُ الـصَّالِحُ

وروى أبو نعيم عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى: أنه قال: جالسوا أهل الدين، فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات؛ فإنهم لا يرفثون في مجالسهم[2].

وروى هو، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى: أنه قال: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في الرفيق الصالح؛ إن نسيت ذكَّرك، وإن ذكرت أعانك[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٩)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٣١٥).

وروى ابن باكويه الشيرازي في «الألقاب» عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النون رحمه الله تعالى وقت مفارقتي له: مَنْ أُجَالِسُ؟ قال: عليك بصحبة من يذكِّرك بالله رؤيته، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في علمك منطقه، ويزهِّدك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره عن أبي غالب قال: في وصية عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين! تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالمقت لهم، والتمسوا رضاه بسخطهم، قالوا: يا نبي الله! من نجالس؟ قال: جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقه، ومن يذكِّركم بالله رؤيته، ويزهِّدكم في ديناكم عمله[١].

وعن قيس بن عباد: أن داود عليه السلام كان يدعوه: يا ماراه؛ أي: يا رباه! أسألك جليساً إذا ذكرتك أعانني، وإذا نسيتك يذكرني، يا ماراه! أعوذ بك من جليس [إذا ذكرتك لم يعني وإذا نسيتك لم يذكرني][٢]، يا ماراه! إذا مررت بقوم يذكرونك فأردت أن أجاوزهم فاكسر رجلي التي تليهم حتى أجلس فأذكرك معهم[٣].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن: أن داود عليه السلام قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٤).

(٢) بياض في «أ».

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٨).

اللهم إني أسألك من الإخوان والأصحاب والجيران والجلساء من إن نسيت ذكروني، وإن ذكرت أعانوني، وأعوذ بك من الأصحاب والإخوان والجيران والجلساء من إن نسيت لم يذكروني، وإن ذكرت لم يعينوني[1].

وروى ابن لال عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جُلَساءُ اللهِ غَداً أَهْلُ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ فِيْ الدُّنْيا»[2].

ومجالستهم له تعالى يوم القيامة على مجالستهم له في الدُّنيا؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل؛ لأنَّ الصَّالحين لا تخلو مجالستهم عن ذكر الله تعالى.

وقد ورد أن الله تعالى قال: «أَنا جَلِيْسُ مَنْ ذَكَرَنِيْ»[3].

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «يَقُوْلُ اللهُ ﷻ أَنا مَعَ عَبْدِيْ إِذا هُوَ ذَكَرَنِيْ، وَتَحَرَّكَتْ بِيْ شَفَتاهُ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه[4].

فمن جالس الصالحين فهو من جلساء الله تعالى، وأي خير أعظم من ذلك؟!

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٧٦).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨) إلى ابن لال.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وقال شيخ الإسلام الجدُّ رحمه الله تعالى: [من الوافر]

جُلُوْسُكَ مَعْ رِجالِ اللهِ يُلْهِيْ
عَنِ الدُّنْيا وَعَنْ أَهْلٍ وَشُغْلِ

فَجَالِسْهُمْ تَنَلْ خَيْراً كَثِيْراً
وتُعْطَىْ كُلَّ أَفْضالٍ وَفَضْلِ

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المنامات» عن بعض أصحاب مالك بن دينار: أنه رأى مالكاً رضي الله تعالى عنه في النوم، فقال له: ما صنع الله بك؟ قال: خيراً، لم نر مثل العمل الصالح، لم نر مثل الصحابة الصالحين، لم نر مثل السلف الصالح، لم نر مثل مجالس الصالحين[1].

وروى أبو نعيم، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن عون بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: كان رجل يجالس قوماً، فترك مجالستهم، فأتي في منامه، فقيل له: تركت مجالستهم؟ لقد غفر لهم بعدك سبعين مرة[2].

وذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن أبي الخير الأقطع رحمه الله تعالى قال: ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ١٠٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٢)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٠٢).

الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين[1].

وروى أبو نعيم عن أبي السائب: أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إني قد اتخذت من أهل الأرض خليلاً قال: فقال: يا رب! أعلمني من هو حتى أكون له عبداً حتى نموت[2].

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت مضاء ـ يعني: ابن عيسى ـ، وأبا صفوان بن عواء رحمهما الله تعالى يقولان: من أحب رجلاً لله، وقصر في حقه، فهو كاذب في حبه، وإذا أراد الله بالشاب خيراً وفق له رجلاً صالحاً[3].

وعن قتادة قال: يا ابن آدم! لا تعتبر الناس بأموالهم ولا أولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح، وإذا رأيت عبداً صالحاً يعمل فيما بينه وبين الله خيراً، ففي ذلك فسارع، وفي ذلك فنافس ما استطعت إليه، ولا قوة إلا بالله[4].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالى قال: تَنَقَّوا الإخوان؛ فإذا وجدتم من يعينكم على الآخرة فتمسكوا به[5].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٧٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٥).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٦).

(٥) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٥٩).

وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال: كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً، وكنت أرى الأخ من إخواني فأصافحه، فما يفارق كفي كفه حتى أجد طعم ذلك في قلبي[1].

وروى البيهقي في «الشعب» عن جعفر بن محمد ـ وهو الصادق رحمه الله تعالى ـ قال: المروءة مروءتان: مروءة في السفر، ومروءة في الحضر، فأما مروءة الحضر فقراءة القرآن، والنظر في الكتب، وحضور المساجد، ومجالسة أهل الخير، وأما مروءة السفر فبذل الزاد، وقلة الخلاف على من يصحبك، والمزاح في غير ما يسخط الله، وإذا فارقتهم أن تنشر عنهم الجميل[2].

[وروى الحاكم في «المستدرك» عن عبيدالله بن الحارث الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من سَعادَةِ المرءِ في الدُّنيا: الجارُ الصَّالحُ، والمنزِلُ الواسِعُ، والمركَبُ الهَنِيءُ»[3].

وروى الدِّينوري في «المجالسة» من طريق آل البيت عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ: «أربعُ خصالٍ من سعادةِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٧٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٧٥).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣٠٦). ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠٧) كلاهما من حديث نافع بن عبد الحارث.

المرءِ؛ أن تكونَ زوجتُه صالحةً، وأولادُه أبراراً، وخلطاؤه صَالحين، ومعيشتُه في بَلدِه»[1].

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن عبدالله بن الحكم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.

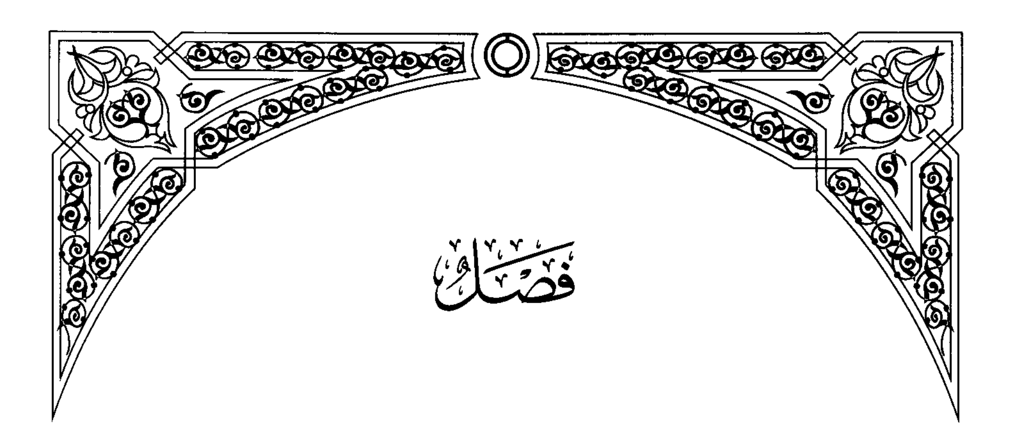
* تنبيه: ولا ينبغي لمن صحب الصالحين أن يأمَنَ مكر الله تعالى بسبب صحبتهم ولا يغترَّ بها، كما قال حاتم الأصم رحمه الله تعالى: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة ولقي آدم فيها ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبُّده لقي ما لقي، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن الاسم الأعظم فانظر ماذا لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر [منزلة] من المصطفى ﷺ، لم ينتفع بلقائه أقاربه ولا أعداؤه[2].

* * *

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٩١) وإسناده ضعيف جداً.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٨٥).



فصل

إنما نص رسول الله ﷺ في حديث علي رضي الله تعالى عنه على المرأة الصالحة في الخلطاء الصالحين، فإن الاختلاط بها من سريان طباع كل منهما إلى الآخر، وأشد في جلب المودة والمحبة.

ولذلك كان داود عليه السلام يقول: اللهم لا تجعل لي أهلَ سُوءٍ فأكون رجلَ سوء. رواه الإمامان عبدالله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل كلاهما في «الزهد» عن عُبيد بن عمير[1].

ومن ثَمَّ قيل: المرء على دين زوجته.

وعلله أقضى القضاة الماوردي في «أدب الدين والدنيا» لما يستلزمه الميل إليها من المتابعة، ويجتذبه الحب لها من الموافقة، فلا يجد إلى المخالفة سبيلاً، ولا إلى المباينة والمشاقة طريقاً، وأنشد قول خالد بن يزيد بن معاوية لزوجته:

فإنْ تُسلمي نُسْلِمْ وإن تتنصَّري ... يَخُطُّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا[1]

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٢٣).

وقد وقعت الموافقة بين الزوجين في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم: ٢١].

وكان الاعتناء بصلاح الزوجة لذلك أهم من الاعتناء بصلاح غيرها من الخُلطاء، ومن ثمة كان النبي ﷺ يقول: «ما استفاد المؤمنُ بعدَ تقوى اللهِ خيراً من زوجةٍ صَالحةٍ، إنْ أمرَها أطاعتْهُ، وإن نظر إليها سَرَّته، وإنْ أقسمَ عليها أبرَّته، وإنْ غابَ عنها نصحته في نفسِها ومالِه»، رواه ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه[٢].

وأثنى الله على زكريا عليه السلام بصلاح الزوجة قال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[الروم: ٢١].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان في لسان امرأة زكريَّا عليه السلام طولٌ فأصلحه اللهُ تعالى. صححه الحاكم[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى: كان في خلقها سوء، وفي لسانها طول، وهو البذاء، فأصلح الله ذلك منها[٤].

---

(١) انظر «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ١٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٧)، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٤٦).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٥٣).

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى: كان في خلقها شيء[1]][2].

رواهما ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عساكر.

ولا شك أن حسن الخلق، وطيب اللسان من تمام الصلاح، بل هما معظمه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما استفاد رجل بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حسنة الخلق، وَدُودٍ وَلُودٍ، وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شراً من امرأة سيئة الخلق، حديدة اللسان. رواه ابن أبي شيبة[3].

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن أبي معبد الخزاعي: أنه قيل له: يا أبا معبد! أي النساء أحب إليك؟ قال: أحب النساء إلي من ولدت في نعمة، ثم أصابتها حاجة، فمعها ذل الحاجة، ومعها أخلاق النعمة، لا قارنة فتحن، ولا [. . . .][4] فتمجن، بهية من بعيد، مليحة من بعيد.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٥٣).

(٢) من قوله: «وروى الحاكم في المستدرك» (ص: ٤٧٦) إلى هنا، سقط من «أ» بمقدار لوحة كاملة، والاستدراك من النسخة «م» و«ت».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٤٢).

(٤) كلمة غير واضحة في «م» و«أ»، وموضعها بياض في «ت».

ومما ورد في الترغيب في تزوج المرأة الصالحة: ما ذكره في «الإحياء» عن محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[البقرة: ٢٠١]؛ قال: المرأة الصالحة[1].

وأخرجه ابن أبي حاتم في الآية إلا أنه قال: المرأة الصالحة من الحسنات[2].

وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل: ٩٧]؛ الزوجة الصالحة[3].

وروى مسلم، والنسائي، وابن ماجه واللفظ له، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَلَيْسَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ»[4].

وروى الإمام أحمد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثٌ؛ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شَقْوَةِ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣١)، وذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٠٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٥٨).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣١)، وذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٠٥).

(٤) رواه مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٣٢٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٥).

ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ السُّوْءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوْءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوْءُ»[1].

ورواه ابن حبان في «صحيحه» إلا أنه قال: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْواسِعُ، وَالْجارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيْءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْمَرْأَةُ السُّوْءُ، وَالْجـارُ السُّوْءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوْءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ»[2].

وروى الحاكم ـ وأشار المنذري إلى صحة إسناده، عن محمد بن سعد؛ يعني: ابن أبي وقاص، عن أبيه ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ مِنَ السَّعادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ تَراهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيْبُ فَتَأْمَنُهَا عَلَىْ نَفْسِها وَمالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ فَطِنَةً، فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ واسِعَةً كَثِيْرَةَ الْمَرافِقِ.

وَثَلاثَةٌ مِنَ الشَّقاءِ: الْمَرْأَةُ تَراهَا فَتَسُوْءُكَ، وَتَحْمِلُ لِسانَها عَلَيْكَ، وَإِنْ غِبْتَ لَمْ تَأْمَنْها عَلَىْ نَفْسِها وَمالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ قَطُوْفاً؛ إِنْ ضَرَبْتَها أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَها لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ ضَيِّقَةً قَلِيْلَةَ الْمَرافِقِ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٦٨). وصحح المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٨).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣٢).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٤) وقال: تفرد به محمد بن بكير عن خالد، فإن كان حفظه فإنه صحيح على شرط الشيخين. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٩): محمد هذا صدوق وثقه غير واحد.

وروى الطبراني في «الأوسط»، والحاكم وصححه، عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صالِحَةً فَقَدْ أَعانَهُ عَلَىْ شَطْرِ دِيْنِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِيْ الشَّطْرِ الثَّانِيْ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله تعالى قال: مثل المرأة الصالحة عند الرجل الصالح مثل التاج الْمُخَوَّصِ بالذهب على رأس الملك، ومثل المرأة السوء عند الرجل الصالح مثل الحمل الثقيل على الرجل الكبير[2].

والمراد بالمرأة الصالحة: أن تكون صالحة للدين والدنيا؛ وإن كانت صلاحية الدين أهم لقوله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمالِها، وَلِحَسَبِها، وَلِجَمالِها، وَلِدِيْنِها؛ فَاظْفَرْ بِذاتِ الدِّيْنِ تَرِبَتْ يَداكَ». رواه الستة إلا الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[3].

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، وأبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَىْ إِحْدَىْ خِصالٍ: لِجَمالِها، وَمالِها،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨١). قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١١٧): رواه الحاكم وسنده ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٤٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٧)، والنسائي (٣٢٣٠)، وابن ماجه (١٨٥٨).

وَخُلُقِها، وَدِيْنِها؛ فَعَلَيْكَ بِذاتِ الدِّيْنِ تَرِبَتْ يَمِيْنُكَ»[1].

أي: إن لم تظفر بذات الدين، أو: إن ظفرت بها فأعرضت عنها لذات مال، أو حسب، أو جمال.

فإن من تزوج امرأة لمالها فقد لا يكون معها مال يستفيده، أو معها ولكن لم تعطه، فتنقلب المودة نفرة، والألفة فرقة، والرحمة عذاباً، أو يستفيد منها مالاً إلا أنها تمتن عليه، فيثقل عليه ذلك، وقد تتيه بالمال عليه، وتزدريه.

ومن تزوج امرأة لحسبها فقد تتيه به عليه، وتزدريه، فلا ينال من حسبها إلا خلاف ما أراد.

ومن تزوج امرأة لجمالها فقد تجده غير لائق بها، فتمقته، أو تلتفت إلى غيره، فينقلب المقصود من النكاح إلى ضده.

وقد أوضح رسول الله ﷺ ذلك بقوله: «مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِعِزِّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاَّ ذُلاًّ، وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِمالِها لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاَّ فَقْراً، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِحَسَبِها لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاَّ دَناءَةً، وَمَنْ تَزَوَّجَها لَمْ يَتَزَوَّجْها إِلاَّ لِيَغُضَّ بَصَرَهُ، وَيُحَصِّنَ فَرْجَهُ، وَيَصِلَ رَحِمَهُ، كانَ ذَلِكَ سُنَّةً، وَبارَكَ اللهُ لَهُ فِيْها، وَبارَكَ لَها فِيْهِ». رواه ابن النجار في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٨٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٠١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣٧).

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٤٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٤): فيه عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب، وهو ضعيف.

وفي «سنن ابن ماجه» عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزَوَّجُوْا النِّساءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَىْ حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلا تزَوَّجُوْهُنَّ لأَمْوالِهِنَّ فَعَسَىْ أَمْوالُهُنَّ أَنْ يُطْغِيهِنَّ، وَلَكِنْ تزَوَّجُوْهُنَّ عَلَىْ الدِّيْنِ، وَلأَمَةٌ خَرْساءُ سَوْداءُ ذَاتُ دِيْنٍ أَفْضَلُ»[1].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[النساء: ٣٤].

قال قتادة: قانتات؛ أي: مطيعات لله، ولأزواجهن حافظات، قال: لما استودعهن الله من حقه، ولغيب أزواجهن. رواه ابن جرير، وغيره[2].

وروى هو، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النِّساءِ الَّتِيْ إِذا نَظَرْتَ إِلَيْها سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطاعَتْكَ، وَإِذا غِبْتَ عَنْها حَفِظَتْكَ فِيْ مالِكَ وَنَفْسِها»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾[النساء: ٣٤][3].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٩). وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٥٩).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٦٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨٢).

وروى أبو داود، وغيره، وصححه الحاكم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾[التوبة: ٣٤] كَبُرَ ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يستطيع أحد منا أن يكنز لولده مالاً يبقى بعده، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أنا أفرج عنكم، فانطلق عمر، وأتبعه ثوبان، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله! إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية، فقال: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكاةَ إِلاَّ لِيَطِيْبَ بِها ما بَقِيَ مِنْ أَمْوالِكُمْ، وَإِنَّما فَرَضَ الْمَوارِيْثَ مِنْ أَمْوالٍ تَبْقَىْ بَعْدَكُمْ»، فكَبَّرَ عمر رضي الله تعالى عنه، ثم قال له النبي ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ ما يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِيْ إذا نَظَرَ إِلَيْها سَرَّتْهُ، وَإِذا أَمَرَها أَطاعَتْهُ، وَإِذا غابَ عَنْها حَفِظَتْهُ»[١].

وروى الدارقطني، وغيره عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية، قال أصحاب رسول الله ﷺ: نزل اليوم في الكنز ما نزل، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! ما نكنز اليوم؟ قال: «لِساناً ذاكِراً، وَقَلْباً شاكِراً، وَزَوْجَةً صالِحَةً تُعِيْنُ أَحَدَكُمْ عَلَىْ إِيْمانِهِ»[٢].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٨١). وصحح النووي إسناده في «خلاصة الأحكام» (٢/ ١٠٧٦).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٨) إلى الدارقطني في «الأفراد»، وروى الإمام أحمد نحوه في «المسند» (٥/ ٢٧٨) عن ثوبان إلا أنه لم يسم أبا بكر، بل قال: فقال بعض أصحابه.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الرجل أحق ما يعتني به وبتحصيله صلاح نفسه، ثم صلاح أهلـه، كما قال تعـالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[التحريم: ٦].

وروى البيهقي عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «النِّسَاءُ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَصْنافٍ، صِنفٌ كَالْوِعاءِ تَحْمَلُ، وَتَضَعُ، وَصِنْفٌ [كالعر ـ وهو الجرب ـ][(١)]، وَصِنْفٌ وَدُوْدٌ وَلُوْدٌ، تُعِيْنُ زَوْجَها عَلَىٰ إِيْمانِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْكَنْزِ»[(٢)].

وروى الطبراني بسند صحيح، عن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله تعالى قال: قال داود النبي عليـه السلام: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع تحصد، ومثل المرأة الصالحة لبعلها كالملك المتوج بالْمُخَوَّصِ بالذهب؛ كلما رآها قرت بها عيناه، ومثل المرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير[(٣)].

وسبق عن عبد الرحمن من قوله قريبٌ من معناه.

ثم صلاحية المرأة للدنيا أعم من أن تكون [إلى] دنياه أو دنياها.

ـ **فمن صلاحيتها لدنياه**: أن تكون حافظة لماله، ولنفسها، محافظة

---

(١) في «م» و«أ»: «كالبعير الجرب»، والمثبت من «شعب الإيمان» للبيهقي (٨٧٢٦). وانظر: «لسان العرب» لابن منظور (٤/ ٥٥٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٢٦).

(٣) عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٤) إلى الطبراني وقال: ورجالـه رجال الصحيح.

على زينتها، وحسن تبعلها له؛ فإن ذلك يتم به تحصينه بها، وإعفافه عن الحرام.

وقد روى البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله تعالى عنها: أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، واعلمْ ـ نفسي لك الفداء ـ أنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا، أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي؛ إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا ـ معشرَ النساء ـ محصورات، مقصورات، قواعد بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم ـ معشرَ الرجال ـ فضلتم علينا بالجمعة، والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً، أو معتمراً، أو مرابطاً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، ورمينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هَلْ سَمِعْتُمْ مَقالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مُساءَلَتِها فِيْ أَمْرِ دِيْنِها مِنْ هَـذِهِ؟» فقالوا: يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها، ثم قال: «انْصَرِفِيْ أَيَّتُها الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِيْ مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّساءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْداكُنَّ لِزَوْجِها، وَطَلَبَها لِمَرْضاتِـهِ، وَاتِّباعَها مُوافَقَتَهُ، يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ»، فأدبرت المرأة وهي تهلل، وتكبر استبشاراً[1].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٤٣).

ـ **ومن صلاحيتها لدنياها:** أن لا تكون مبذرة ولا مسرفة فيما تملك؛ فإنها إذا فرطت بما عندها لا تأمن غائلة الشَّرَه التي جبلت عليه النساء، فيدعوها ذلك إلى الحزن والكآبة، فتكدر عيش بعلها، وتكلفه ما لا يطيق، أو ما لا تسمح نفسه بـه، فيقع بينهما الشقاق، ويؤول بها الحال إلى كفرانه، وهو يخالف الصلاح، ولذلك قال علي رضي الله عنه: شر خصال الرجال خير خصال النساء: البخل، والزهو، والجبن[1].

وإنما مدح ذلك منها لأن البخل يدعوها إلى حفظ مالها، ومال البعل، وتأمن بذلك من غائلة الشر، والكفران، والزهو يدعوها إلى الاستنكاف عن معاشرة من لا يليق بها، وأن تكلم كل أحد بكلام مريب، والجبن يدعوها إلى الخوف من الزوج والأهل، فلا تخرج من بيتها، وإن خرجت فلا تخرج إلا بعد الاستئذان، والتحفظ، وعدم التبرج، والتبهرج، وتتقي مواطن التهم، وتهاب كل شيء[2].

ـ **ومن صلاحيتها لدين زوجها:** أن تحرص على قضاء وطره، وأن تبادر إليه مهما طلبها، ولا تمنعه، ولا تُسَوِّفُهُ؛ فإن ذلك يضطره إلى مواقعة الحرام، أو يكدر عليه عيشه، ويشغله بمعاناة الشهوة، ومدافعة الغُلْمة[3] عن كثير من أشغال دنياه وآخرتـه، وربما حقد عليها بسبب ذلك، ووقع بينهما الشقاق.

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٨).

(٣) الغُلمة: الشهوة.

وقد روى الترمذي وحسنه، والنسائي عن طَلْق بن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِحاجَتِهِ فَلْتَجِئْهُ وَإِنْ كانَتْ عَلَى التَّنُّوْرِ»[1].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَمْنَعِ امْرَأَةٌ زَوْجَها وَلَوْ كانَتْ عَلَىْ ظَهْرِ قَتَبٍ»[2].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىْ فِراشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبانَ، لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّىْ تُصْبِحَ»[3].

- **ومن صلاحيتها لدينه - أيضاً -**: أن لا تكلفه التوسع في النفقة فوق وسعته، فتلجئه بذلك إلى ركوب كل صعب وذَلول.

وقد حكي: أن بعض السلف كان إذا خرج بكرة النهار لمعاشه، تعلقت بأذياله بنت له صغيرة تقول: الله الله يا أبتي! اتق الله فينا، أطعمنا خبز الشعير، وجريش الملح، ولا تدخل علينا حراماً، ولا شبهة[4].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صالِحُ نِساءِ قُرَيْشٍ؛ أَحْناهُ عَلَىْ وَلَدٍ فِيْ

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٠) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٧١).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٥٢).

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦).

(٤) ذكر الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٥٨) نحوه.

صِغَرِهِ، وَأَرْعاهُ عَلَىْ زَوْجٍ فِيْ ذاتِ يَدِهِ»[1].

تضمن الحديث وصف الصالحات بالحنو على الأولاد، والقناعة باليسير من الأزواج.

ـ ومن صلاحيتها للزوج ـ أيضاً ـ: أن لا تعيِّره بزوج لها قبله، ولا بأبيها، ولا بأخيها، ولا بأحد من أقاربها، ولا بجاره، ولا بغير ذلك، ولو بالتعريض؛ فإن ذلك مكدر عليها وعليه.

وكذلك لا تقول له: ما رأيت منك خيراً، أو: أي خير رأيت منك؟ أو: ما الذي صنعته معي؟ فإن ذلك من كفران العشير.

وكذلك شكايته، وذمه إلى أهلها، وغيرهم من غير ضرورة.

روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: مر بنا رسول الله ﷺ ونحن في نسوة، فسلم علينا، فقال: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرانَ الْمُنْعِمِيْنَ»، قلنا: يا رسول الله! وما كفران المنعمين؟ قال: «لَعَلَّ إِحْداكُنَّ تَطُوْلُ أَيْمَتُها بَيْنَ أَبَوَيْها، وَتَعْنُسُ، فَيَرْزُقُها اللهُ زَوْجاً، وَيَرْزُقُها مِنْهُ مالاً وَوَلَداً، فَتَغْضَبُ الْغَضْبَةَ، فَتَقُوْلُ: ما رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٥٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٢)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١١): رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف وقد وثق.

وروى هو، وابن ماجه، والبيهقي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ـ ومعها ابن لها [تحمله، وبيدها آخر، قال: ولا أعلمه إلا قال وهي حامل][1] ـ فقال رسول الله ﷺ: «حامِلاتٌ والِداتٌ رَحِيماتٌ، لَوْلا ما يَأْتِيْنَ إِلَىْ أَزْواجِهِنَّ لَدَخَلَ مُصَلِّياتُهُنَّ الْجَنَّةَ»[2].

وروى البزار، والحاكم وصححه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىْ امْرَأَةٍ لا تَشْكُرُ لِزَوْجِها وَهِيَ لا تَسْتَغْنِيْ عَنْهُ»[3].

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال في حديث: «وَنِساؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُوْدُ، الْعَؤُوْدُ عَلَىْ زَوْجِها، الَّتِيْ إِذَا غَضِبَ جاءَتْ حَتَّىْ تَضَعَ يَدَها فِيْ يَدِهِ، ثُمَّ تَقُوْلُ: لا أَذُوْقُ غَمْضاً حَتَّىْ تَرْضَىْ»[4].

---

(١) زيادة من «المسند» للإمام أحمد (٥/ ٢٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٧)، وابن ماجه (٢٠١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٠٥٧).

(٣) رواه البزار في «المسند» (٢٣٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٧١). وكذا رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٩): رواه البزار بإسنادين، والطبراني، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٣٢)، وكذا رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٣٩)، وابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١٤٨).

وعن زيد بن ثابت ﷺ: أن النبي ﷺ قال لابنته: «إِنِّيْ أُبْغِضُ أَنْ تَكُوْنَ الْمَرْأَةُ تَشْكُوْ زَوْجَها»(1).

- **ومن صلاحيتها لدينها هي**: أن لا تخالط النسوة اللاتي يتبجحن بثروة أزواجهن، أو بأحسابهم، أو بكثرة نكاحهم لتكون بذلك قاصرة الطرف على بعلها، غير متشوفة إلى غيره، ولا تنظر إلى أجنبي أصلاً، بل تغض طرفها، وتحفظ نفسها بقدر الإمكان.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[النور: ٣١] الآية.

وروى أبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة رضي الله عنها، قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «احْتَجِبا عَنْهُ»، فقلت: يا رسول الله! أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ قال: «أَفَعَمْياوانِ أَنْـتُما؟ أَلَسْتُما تُبْصِرانِهِ؟»(2).

- **ومن صلاحيتها لدينها**: أن لا تخرج من بيتها إلا بإذن بعلها، وإذا خرجت تنزهت عن التبرج بالزينة والطيب تحصناً عن استشراف الفسَّاق إليها وتعففاً وحياءً.

---

(1) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٣٤).

(2) رواه أبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨) وصححه، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٢٤١).

روى الإمام أحمد، والنسائي، وغيرهما عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَخَرَجَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ، فَيَجِدُوْا رِيْحَها، فَهِيَ زانِيَةٌ»(١).

وروى النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ إِلَىْ الْمَسْجِدِ فَلْتَغْتَسِلْ مِنَ الطِّيْبِ كَما تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنابَةِ»(٢).

وروى الترمذي عن ميمونة بنت سعد رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «الرَّافِلَةُ فِيْ الزِّيْنَةِ فِيْ غَيْرِ أَهْلِها، كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ الْقِيامَةِ لا نُوْرَ لَها»(٣).

وروى الحاكم، والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَأْذَنَ فِيْ بَيْتِ زَوْجِها وَهُوَ كارِهٌ، وَلا تَخْرُجَ، وَلا تُطِيْعَ فِيْهِ أَحَداً، وَلا تُخَشِّنَ بِصَدْرِهِ، وَلا تَعْتَزِلَ فِراشَهُ، وَلا تَضُرَّ بِهِ، فَإِنْ هُوَ ظَلَمَ فَلْتَأْتِهِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٣)، والنسائي (٥١٢٦). وكذا رواه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦) وصححه.

(٢) رواه النسائي (٥١٢٧)، وبمعناه رواه مسلم (٤٤٣)، وأبو داود (٤١٧٤)، وابن ماجه (٤٠٠٢).

(٣) رواه الترمذي (١١٦٧) وقال: لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى يضعف في الحديث من قبل حفظه، وهو صدوق، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه.

حَتَّىٰ تُرْضِيَهُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْها فَبِها وَنِعْمَتْ، وَقَبِلَ اللهُ عُذْرَها، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْضَ أَبْلَغَتْ عِنْدَ اللهِ عُذْرَها»(1).

وروى الحكيم الترمذي عن أنس ﷺ: أن رجلاً انطلق غازياً، وأوصى امرأته لا تنزل من فوق البيت، فكان والدها في أسفل البيت، فاشتكى أبوها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تخبره، وتستأمره، فأرسل إليها: «اتَّقِيْ اللهَ، وَأَطِيْعِيْ زَوْجَكَ» ثم إن والدها توفي، فأرسلت إليه تستأمره، فأرسل إليها مثل ذلك، وخرج رسول الله ﷺ، وصلى عليه، فأرسل إليها: «إِنَّ اللهَ غَفَرَ لأَبِيْكِ بِطَواعِيَتِكِ لِزَوْجِكِ»(2).

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَها الشَّيْطانُ»(3).

- **ومن صلاحيتها لدينها**: أن تخرج من عهدة الصلوات الخمس، وصيام رمضان إلا في زمان الحيض والنفاس.

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، والبزار عن أنس رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٩٣). وكذا رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦٢) و(٢٠/ ١٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١٣): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(2) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٥٣).

(3) رواه الترمذي (١١٧٣) وحسنه.

عبد الرحمن بن حسنة رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِذا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَها، وَصامَتْ شَهْرَها، [وحفظت فرجها][1]، وَأَطاعَتْ زَوْجَها، دَخَلَتِ الْجَنَّةَ»[2].

وكذلك تخرج من عهدة أحكام الحيض، والنفاس، والطهر، والاغتسال، والوضوء، ونحو ذلك، ولا تحتج في التخلف عن العبادة أو التأخر عن الغسل لكثرة طلب زوجها لها، وإرادتها على نفسها؛ فإن في الدين سعة، ويمكنها في كل وقت أن تغتسل ولو بالماء المسخن، وعليه أن يبذل لها ثمن الماء، وما تسخنه به.

وحكي عن الأصمعي قال: رأيت بالبادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة، وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا! فقالت:

[من الطويل]

وَلِلَّهِ مِنِّيْ جانِبٌ لا أُضِيعُهُ
وَلِلَّهْوِ مِنِّيْ وَالْبَطالَةِ جَانِبُ[3]

---

(1) زيادة من «المسند» للإمام أحمد (١/ ١٩١)، و«المسند» للبزار (٧٤٨٠).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩١) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، والبزار في «المسند» (٧٤٨٠) عن أنس رضي الله تعالى عنه، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٦) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» عن عبد الرحمن بن حسنة ﷺ، وقال: فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وسعيد بن عفير، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(3) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٥٩).

- **ومن صلاحيتها لدينها**: تربية ولدها، وإرضاعه، وعدم تكليف أبيه أجرة المرضع بغير ضرورة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ الآية... إلى قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[البقرة: ٢٣٣].

قال زيد بن أسلم: يقول: ليس لها أن تلقي ولدها عليه، ولا تجد من يرضعه، وليس له أن يضارها فينزع منها ولدها، وتحب أن ترضعه. رواه أبو داود في «ناسخه»[١].

وروى الحاكم وصححه، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انْطَلَقَ بِيْ؛ فَإِذا بِنِساءٍ تنْهَشْنَ ثُدِيَّهُنَّ الْحَيَّاتُ، فَقُلْتُ: ما بالُ هَؤُلاءِ؟ قالَ: هَؤُلاءِ اللَّواتِيْ يَمْنَعْنَ أَوْلادَهُنَّ»[٢]؛ يعني: الرضاع.

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت، فخرجت وابنتاها، فدخل علي النبي ﷺ، فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَناتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٨٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٣٧)، وكذا رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٩١).

إِلَيْهِنَّ، كُنَّ سِتْراً مِنَ النَّارِ»[1].

وتقدم قوله ﷺ: «خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صالِحُ نِساءِ قُرَيْشٍ؛ أَحْناهُ عَلَىْ وَلَدٍ فِيْ صِغَرِهِ»[2].

ولا يتم صلاح المرأة إلا بكف أذاها عن الزوج، وعن أهله، وعن سائر الناس نوبةً.

روى الترمذي وحسنه، وابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُؤْذِيْ امْرَأَةٌ زَوْجَها فِيْ الدُّنْيا إِلاَّ قالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ: لا تُؤْذِيْهِ قاتَلَكِ اللهُ! إِنَّما هُوَ [دخيل][3] عِنْدَكِ، يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»[4].

ولا ينبغي أن تصخب من ولدها، ولا تضجر، ولا تكثر الدعاء على الولد والخادم، ولا تكثر الشتم واللعن؛ فإن كل ذلك يناقض الفلاح.

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ النِّساءِ! تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّيْ رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فقالت امرأة منهن:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٨٧)، والبخاري (١٣٥٢)، ومسلم (٢٦٢٩)، والترمذي (١٩١٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ما بين معكوفتين ليس في «أ».

(٤) رواه الترمذي (١١٧٤) وحسنه، وابن ماجه (٢٠١٤).

يا رسول الله! وما لنا أكثر أهل النار؟ قال: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيْرَ»[1]؛ يعني: الزوج.

ولا ينبغي لها أن تسيء الظن بزوجها ولا بإخوانه إذا كان ظاهره حسناً، ولا تكره له قريباً ولا صديقاً ولا ضيفاً ولا تطعن فيهم، ولا تبهَت ضرتها، ولا تؤذي أولاده من غيرها؛ فإن كل ذلك مناقض للصلاح المطلوب منها، المعدود من سعادة بعلها.

وقد روى الدينوري في «المجالسة» عن سلم[2] بن قتيبة قال: قال بعض حكماء العرب: ما أعان على نظم مروءات الرجال كالنساء الصوالح[3].

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: النساء ثلاث: امرأة عفيفة مسلمة هينة لينة ودود ولود، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقليلٌ ما تجدها.

وامرأة: وعاء لم تزد أن تلد الولد.

وثالثة: غُلٌّ قَمِلٌ يجعلها الله في عنق من يشاء، وإذا أراد الله أن ينزعه نزعه[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٧٩) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) في «م» و«أ»: «مسلم».

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٨).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٢٥).

وقوله: «غُلٌّ قَمِلٌ» قال ابن الأنباري في كتاب «الزاهر»: قال أبو العباس ـ يعني: المبرد ـ: أصله مثلٌ لكل ما ابتلي به الإنسان، ولقي منه شدة.

قال: والأصل في هذا أنهم كانوا يَغُلُّوْن الأسير بالغُـلِّ، فَيُقَمِّلُ عليه، فيلقى منه شدة، ثم كثر ذلك، وجرى به المثل حتى نعتوا به كل مؤذٍ[1].

* تَنْبِيْهٌ لَطِيْفٌ:

روى الطبراني في «معجمه الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِيْ النِّساءِ كَمَثَلِ الْغُرابِ الأَعْصَمِ»، قيل: يا رسول الله! وما الغراب الأعصم؟ قال: «الَّذِيْ إِحْدَىْ يَدَيْهِ بَيْضاءُ»[2].

وفي رواية: «كَمَثَلِ الْغُرابِ الأَعْصَمِ بَيْنَ مِئَةِ غُرابٍ».

قال في «الإحياء»: الأعصم: الأبيض البطن[3].

والمراد بذلك تقليل الصالحات منهن.

وروى الإمام أحمد، والنسائي بسند صحيح، عن عمرو بن العاص

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلام الناس» لابن الأنباري (١/ ٣١٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٧).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٤٥).

رضي الله تعـالى عنهمـا قـال: كنا مع رسول الله ﷺ بمَرِّ الظَّهران، فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم، أحمر المنقـار، فقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّساءِ إلاَّ مِثْلُ هَذا فِيْ هَذِهِ الْغِرْبانِ»(١).

ولفظ أحمد قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في شِعْبٍ، فقال: «انْظُرُوْا هَلْ تَرَوْنَ شَيْئاً؟» فقلنا: «نرى غرباناً فيهم غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين»، فقال رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّساءِ إلاَّ مَنْ كانَ مِنْهُنَّ مِثْلُ هَذا الْغُرابِ فِيْ الْغِرْبانِ»(٢).

وروى الطَّبراني بسند جيد، عن عبادة بن الصَّامت رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ كَمَثَـلِ الْغُرابِ الأَبْلَقِ فِيْ غِرْبانٍ سُوْدٍ، لا ثانِيَةَ لَها، وَلا شَبِـيْهَ لَها.

وَمَثَلُ الْمَرْأَةُ السُّوْءِ كَمَثَلِ بَيْتٍ مُزَوَّقٍ، ظَهْرُهُ خَرِبٌ، جَوْفُهُ كَظُلْمَةٍ لا نُوْرَ لَها يَوْمَ الْقِيامَةِ.

وَاللهِ إِنِّيْ لأَخْشَىْ أَنْ لا تَقُوْمَ امْرَأَةٌ عَنْ فِراشِ زَوْجِها مُجانِبَةٌ لَهُ، إلاَّ هِيَ عاصِيَةٌ لِلَّهِ وَلِرَسُوْلِهِ»(٣).

وأراد بالمؤمنة: الكاملة الإيمان، وهي الصالحة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٢٦٨). وصحح العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٧).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٤) رواه الطبراني، وقال: إسحاق ابن يحيى، لم يدرك عبادة، وبقية رجاله ثقات.

وقد أجاد البرهان القيراطي رحمه الله تعالى من قصيدة:

[من الطويل]

وَعَيْشُكَ لا يُرْضِي النِّساءَ مَعِيْشُهُ
وَلَوْ أَنَّها مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ تُجْلَبُ
وَما زِلْنَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيْرَ سَجِيَّةً
وَيُنْكِرْنَ خَيْراً فِيْهِ يَسْعَىْ وَيَدْأَبُ
وَإِنْ أَحْسَنَ الدَّهْرَ امْرُؤٌ لِحَلِيْلَةٍ
تَقُلْ لَمْ أُشاهِدْ مِنْكَ خَيْراً وَتَصْخَبُ
وَإِنْ قِيْلَ مِنْهُنَّ التَّقِيَّاتُ فَاتَّئِدْ
فَما كُلُّ مَصْقُوْلِ الذَّوائِبِ زَيْنَبُ
وَقَبْلَكَ قَدْ جَرَّبْتُهُنَّ فَلَمْ أَجِدْ
وَحَقِّكَ فِيْهِنَّ الَّذِيْ أَتَطَلَّبُ
تُشاهِدُها فِيْ حالَةِ الْغَيْظِ مَهْلَكاً
وَحالَ الرِّضَا لَمْ يَكْفِها مِنْكَ مَطْلَبُ
وَإِنِّيْ امْرُؤٌ عَنْهُنَّ صَدَّتْ عَزائِمِيْ
لإِفْراطِ خَوْفِيْ رَهْبَةً أَتَرَهَّبُ
وَما ذاكَ إِلاَّ أَنَّهُنَّ فَوارِكٌ
يُدِيْرُ هَواهُمْ عَنْ وِدادِكَ لَوْلَبُ

لَقَـدْ عزَفَـتْ عَـنْهُنَّ نَفْـسِيْ مَلالَـةً

وَطَـابَ عَلَـىْ كُـرْهٍ لَـدَيْها التَّعَـزُّبُ

فَيـا لَيْـتَ شِـعْرِيْ هَـلْ أُلاقِـيْ حَلِيْلَـةً

فَـلا أَشْـتَكِيْ مِنْهـا وَلا أَتَعَتَّـبُ

عَلَـىْ أَنَّ مِـنْهُنَّ الْجَلِـيْلاتِ رُتْبَـةً

وَمَنْ وَجْهُها فِيْ مَطْلَعِ الْحُسْنِ كَوْكَـبُ

وَمِـنْهُنَّ ذاتُ الـدِّيْنِ وَالْعِفَّـةِ الَّتِـيْ

لَهـا شَـرَفٌ فِـيْ الْعـالَمِيْنَ وَمَنْـصِبُ

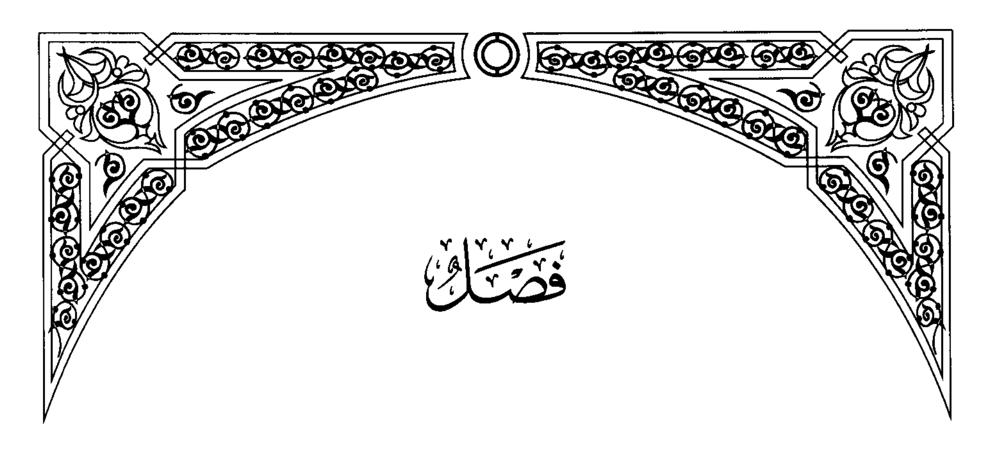
وَلَكِنَّـهُ يُـرْوَىْ وَإِنَّـكَ عـالِمٌ

حَـدِيْثٌ لَـهُ مَعْنًـى يَـرُوْقُ وَيَعْـذُبُ

إِذا مِئَتـا عـامٍ تَقَـضَّتْ فَخَيْرُنـا

تَقِيٌّ خَفِيْـفُ الْحـاذِ فِـيْ الـدِّيْنِ يَرْغَـبُ

* * *



صلاح المرأة ـ وإن كان مطلوباً ـ فإنـه لا يكـاد أن تجتمع خصال الخير في امرأة لغلبة الهوى عليهن، والميل إلى الدنيا أكثر من الرجال، ولأن المرأة خلقت من ضلع ـ كما تقدم ـ فلا تكـاد تستقيم، وقـد قـال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ كَالضِّلَعِ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُها كَسَرْتَها، وَإِنْ تَرَكْتَها اسْتَمْتَعْتَ بِها وَفِيْها عِوَجٌ». رواه مسلم، وغيـره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وفي رواية لمسلم، والترمذي: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيْمَ لَـكَ عَلَىْ طَرِيْقَـةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِها اسْتَمْتَعْتَ بِها وَبِها عِـوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُها كَسَرْتَها، وَكَسْرُها طَلاقُها»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن سمرة رضي الله تعالى عنـه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ،

(١) رواه مسلم (١٤٦٨)، وكذا البخاري (٤٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٨)، والترمذي (١١٨٨).

وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقامَةَ الضِّلَعِ تَكْسِرُها ؛ فَدارِها تَعِشْ بِها»[1] .

قوله ﷺ : «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ» إشارة إلى خلق حواء من ضلع آدم حين نام، فانكسرت قصرى أضلاعه اليسرى، فخلق الله منها حواء، ولذلك سميت حواء لأنها خلقت من حي، فكان القصور فيها، وفي بناتها عن بلوغ رتبة الكمال في الصلاح، ألا ترى كيف كانت سبباً لأكل آدم وأكلها من الشجرة[2]؟ ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ : «لَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَها الدَّهْرَ[3]» . رواه الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[4] .

وفي «كامل ابن عدي» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٣٣).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٧٨).

(٣) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٣٦٨): قوله: «لم تخن أنثى زوجها» فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها: أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لمَّا مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسَّنت ذلك لآدم، عُدَّ ذلك خيانة له.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٩)، والبخاري (٣٢١٨)، ومسلم (١٤٧٠).

النبي ﷺ قال: «لَوْلا النِّساءُ لَعُبِـدَ اللهُ حَقّاً حَقّاً»(1).

وقوله ﷺ: «اسْتَمْتَعْتَ بِها وَبِها عِوَجٌ»؛ أي: استمعت بها في دار الدنيا، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ الآية. . . إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[آل عمران: ١٤].

وقال رسول الله ﷺ: «الـدُّنْيـا مَتَـاعٌ وَخَيْـرُ مَتـاعِ الـدُّنْيـا [المرأة] الصَّالِحَـةُ». رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما(2).

فإذا تيسر للمرء امرأة صالحة من جهات، ولها عوج من جهة، فليهب سيئاتها لحسناتها تخلقاً بأخلاق الله ﷻ؛ فإنه يذهب السيئات بالحسنات.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ(3) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقاً رَضِـيَ مِنْها آخَرَ»، أو قال: «غَيْرَهُ»(4).

ولا يتطلب منها الكمال من كل وجه، وقد قيل: أي الرجال

---

(1) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٢٨٢) وقال: وهذا حديث منكر، ولا أعرفه إلا من هذا الطريق.

(2) رواه مسلم (١٤٦٧).

(3) الفرك: البغض.

(4) رواه مسلم (١٤٦٩).

المهذب؟ فما ظنك بالنساء وهن نواقصات عقل ودين، كما في الحديث؟[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيْرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عائِشَةَ عَلَىْ النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَىْ سائِرِ الطَّعامِ». رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه[2].

والمراد بالنساء نساء الأمم السابقين؛ لئلا يلزم فضل آسية ومريم على خديجة وفاطمة رضي الله عنهن؛ بدليل حديث الشيخين، والترمذي، والنسائي عن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَخَيْرُ نِسائِها خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»[3].

وحديث الإمام أحمد، والترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) روى البخاري (٢٩٨) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٧٩) عن عبدالله ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أغلب لذي لب منكن»، قلن: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجل فهذا نقصان العقل، ويمكثن الليالي ولا يصلين، ويفطرن في رمضان، فهذا نقصان الدين».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٤)، والبخاري (٣٢٣٠)، ومسلم (٣٤٣١)، والترمذي (١٨٣٤).

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٩)، ومسلم (٢٤٣٠)، والترمذي (٣٨٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٥٤).

«حَسْبُكَ مِنْ نِساءِ الْعالَمِيْنَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَخَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[1].

وصحح الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ نِساءِ الْعالَمِيْنَ خَدِيْجَةُ، وَفاطِمَةُ، وَمَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[2].

وأما ما رواه ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ الْعالَمِيْنَ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنهن»[3]؛ فالبعدية في الزمان لا في الرتبة والفضل.

وفي «تاريخ ابن عساكر» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ساداتُ عالَمِهِنَّ[4]: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ، وَخَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَفْضَلُهُنَّ عالَماً فاطِمَةُ»[5].

وفيه نص على فضل فاطمة عليهن كلهن، وعائشة من عالم فاطمة

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥)، والترمذي (٣٨٧٨) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٤٥).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٠).

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٧٣).

(4) في «م» و«أ» و«ت»: «عالمين»، والمثبت من «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

(5) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٠٨).

رضي الله تعالى عنهما، ففاطمة أفضل منها[1] لكونها بضعة رسول الله ﷺ، كما نص على ذلك الإمام مالك[2]، وغيره.

وروى الشيخان عن عائشة، عن فاطمة رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «يا فاطِمَةُ أَلا تَرْضين[3] أَنْ تَكُوْنِي سَيِّدَةَ نِساءِ الْمُؤْمِنِيْنَ؟»[4].

---

(١) قال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٨٢): الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة، أو فاطمة أفضل، إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً، فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم؛ فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله ﷻ، فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص؛ لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب، لا بمجرد أعمال الجوارح، وكم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة، وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة، وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب، فلا ريب أن فاطمة أفضل، فإنها بضعة من النبي ﷺ وذلك اختصاص، لم يشركها فيه غير أخواتها، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة، وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه، صار الكلام بعلم وعدل.

وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل، ولم يوازن بينهما فيبخس الحق، وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله، تكلم بالجهل والظلم.

(٢) انظر: «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (٢/ ٢٨٠).

(٣) في «أ» و«ت»: «ترغبين».

(٤) رواه البخاري (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٤٥٠).

وروى الحاكم في «المستدرك» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «سَيِّداتُ نِساءِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ، وَفاطِمَةُ، وَخَدِيْجَةُ، وَآسِيَةُ»(١).

واختلف في التفضيل بين عائشة، وخديجة رضي الله تعالى عنهما(٢):

الأكثرون على تفضيل عائشة.

وذهبت طائفةٌ محققون إلى تفضيل خديجة، واختاره السبكي(٣).

ولو قيل بتساويهما لم يبعد؛ لأن الأدلة بتفضيل كل منهما قوية.

ثم المراد بكمال هؤلاء الأربع أنهن بلغن الغاية في الكمال إلى مرتبة الصِّدِّيقيَّة، كما وصف الله تعالى بالصِّدِّيقيَّة مريم بقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[المائدة: ٧٥]، ثم شهد رسول الله ﷺ بالأفضلية لها، وللثلاث الأُخر، فالمراد بكمالهن كمال الصِّدِّيقيَّة، وإلا فقد كمل غيرهن كمالاً ما، فهن صالحات.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٨٥٣).

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٣) ـ في جوابه عن سؤال أيهما أفضل ـ: سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها وقيامها في الدين، لم تشركها فيه عائشة، ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم، ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها.

(٣) انظر: «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» لزكريا الأنصاري (٣/ ١٠٣).

وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإِبِـلَ صالحُ نِساءِ قُرَيْشٍ؛ أَحْنـاهُ عَلَىٰ وَلَـدٍ فِيْ صِـغَـرِهِ، وَأَرْعـاهُ عَلَىٰ زَوْجٍ فِيْ ذاتِ يَـدِهِ». رواه عبد الرزاق، والشيخان، وابن جرير[1].

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنـه: ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط[2].

وأراد بذلك الجواب عما يفهمه ظاهر الحديث من تفضيل صالح نساء قريش على عموم النِّساء.

وفي الحديث: «نِعْمَ النِّساءُ نِساءُ الأَنْصارِ؛ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيـاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِيْ الدِّيْنِ»[3].

وناهيك بسائر أزواج النبي ﷺ اللاتي خيـرن بين الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وكفى بالصَّالحات من نساء المهاجرين والأنصار، ومن بعدهن التابعات، وغيرهن كرابعة العدوية، ورابعة الشامية، وغيرهما مما اشتملت عليه كتب الحديث والتاريخ وفيهن كثرة.

ولا يبعد أن يكون قوله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيْرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٥١).

(٣) ذكره البخاري في «صحيحه» (١/ ٦٠) معلقاً، ورواه مسلم (٣٣٢) من قول عائشة رضي الله عنها.

النِّساءِ إِلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنُ»[1] محمولاً على رجال ونساء الأمم المتقدمة، أما هذه الأمة فقد كمل من نسائها كثير خصوصية للنبي ﷺ، وإن كن لم يبلغن رتبة مريم وآسية وخديجة وفاطمة رضي الله تعالى عنهن.

وفي «معجم الطبراني الكبير» عن سعد بن جنادة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ زَوَّجَنِيْ فِيْ الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرانَ، وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَأُخْتَ مُوْسَىْ»[2].

روى أبو بكر بن السُّنِّي عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال لها: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ زَوَّجَنِيْ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرانَ، وَآسِيَةَ بِنْتَ مُزَاحِمٍ فِيْ الْجَنَّةِ»[3].

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٤٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨): وفيه من لم أعرفهم.

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٥٧).



وإذا كانت المرأة الصَّالحة يرغب فيها للرَّجل، فالرغبة بالرجل الصالح للمرأة أولى؛ لما ذكرنا من سريان طباع الخليط إلى الآخر، ولا شك أن المرأة أقرب انقياداً للرجل منه لها؛ لأن الرجل خلق قوَّاماً على المرأة، والياً عليها، وخلقت تحت ولايته، وسلطنته؛ لضعفها ولين جانبها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء: ٣٤].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يعني: أمراء عليهن. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(١).

فإذا كان الزوج صالحاً أمرها بطاعة الله تعالى، ونهاها عن معصيته، فأما لو كان غير صالح فربما حملها على المعصية، وأمرها بالمنكر، أو أقرها عليه؛ فصلاحيته ضرورية لها.

قال الضحاك في الآية: الرجل قائم على المرأة يأمرها بطاعة الله،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٥٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٣٩).

فإن أبت يضربها ضرباً غير مبرح، وله عليها الفضل بنفقته وسعيه[1].

وقال السُّدِّي: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء: ٣٤] يأخذون على أيهدين، ويؤدبوهن. رواهما ابن جرير[2].

وقال مجاهد في قوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: بالتأديب، والتعليم. رواه عبد بن حميد، وابن المنذر[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٨].

ولا شك أن النساء لا يوفيهن حقوقهن بالمعروف من الأزواج إلا الصَّالحون، بل الصالح لا يتجاوز الحق، ولا يقصر عنه، فينجو هو، وينجو به أهله.

وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة: ٢٢٨]؛ قال زيد بن أسلم: الإمارة. رواه ابن أبي حاتم، وغيره[4].

فإذا كان الرجل يستولي على المرأة بالتزوج استيلاء الأمراء، فلأن يكون أميراً صالحاً أولى من أن يكون غير صالح.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٥٨).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٥٨).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥١٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤١٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾[البقرة: ٢٢١].

وفي قوله: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ إشارة إلى أنه لا عبرة بالبزة الظاهرة، ولا الثروة الوافرة، بل بالإيمان القلبي، ويخشى على من زوج بنته برجل لبزته، أو ثروته، أو جاهه أن تكون عاقبته إلى خلاف مراده، كما تقدم نظيره في اختيار المرأة لمالها، أو جمالها، أو حسبها، ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِيْنَهُ، وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوْهُ؛ إِلاَّ تَفْعَلُوْا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِيْ الأَرْضِ، وَفَسادٌ عَرِيْضٌ». رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وفي «صحيح البخاري» عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تَقُوْلُوْنَ فِيْ هَـذَا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تَقُوْلُوْنَ فِيْ هَذَا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب لا ينكح، وإن شفع لا يشفع، وإن قال لا يسمع، فقال رسول الله ﷺ: «هَذا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِ هَذَا»[2].

أي: فهذا هو الذي ينبغي أن يرغب فيه، ويعتنى بشأنه، وكذلك أمثاله من المؤمنين وإن كانوا فقراء، بخلاف المترفين والفاسقين، وإن

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٨٢).

زينهم الله تعالى في الظاهر بزينة الغنى، والجاه والعشيرة.

فتزويج المرأة من الفاسق وسيلة إلى التخلق بالفسق والجبروت؛ لأن المرأة على هوى بعلها وطريقته.

وقد روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النِّساءَ شَقائِقُ الرِّجالِ»[1].

قال علماء الغريب: أي: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع كأنهن شققن منهم، ولأن حواء من آدم عليهما السَّلام[2].

ومن أمثال العرب القديمة: المرأة من المرء، وكل أدماء من آدم. نقله الميداني في «أمثاله»[3]، وغيره.

وفي معنى ذلك: ما أخرجه أبو نعيم عن الزُّبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ ابْنَتِهِ فَيُزَوِّجُها الشيخ الدمِيْم[4]!! إِنَّهُنَّ يُرِدْنَ ما تُرِيْدُوْنَ»[5].

وهذا منه ﷺ إرشاد إلى إعفاف النساء وتحصينهن، فلا ينبغي تزويج المرأة الشابة شيخاً ولا عِنِّيناً؛ لعدم حصول الغرض من

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥٦)، وكذا أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤٩٢).

(٣) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣١٩).

(٤) في «أ» و«ت»: «الذميم».

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٤٠).

التحصين والإعفاف، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٢٨].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين المرأة لي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

قال: وما أحب أن أستوفي جميع حقي عليها لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة: ٢٢٨]. رواه وكيع في «الغرر»، وسفيان بن عيينة في «مسنده»، وابن جرير، وابن أبي حاتم[(١)].

وفي اختيار العبد الصالح للمرأة تمام الإعفاف والتحصين لأنه يقتصر على الحلال، بخلاف الفاسق فقد يتجاوز إلى السفاح، بل كثير من الفساق يعرضون عن نسائهم، ويقبلون على الزنا واللواط، خصوصاً في هذه الأزمنة، وقد اكتفى كثير من الرجال بالرجال.

وقد روى أبو نعيم عن الشعبي قال: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها[(٢)].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦١) إلى وكيع، وسفيان بن عيينة، ورواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤١٧)، وكذا رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٩٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١٤)، وكذا رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٩٩).

وسمعت شيخنا ـ نفع الله به ـ يحكي عن والده الشيخ يونس العيثاوي، وكان من خيار العلماء رحمه الله تعالى: أنه كان يقول: من زوج موليته من شارب الخمر فقد عرَّضها للزنا.

ومعناه: أنه إذا شرب الخمر فربما طلق في سكره، فيقع طلاقه ولا يدري، ثم يقع عليها.

وفي «مسند الفردوس» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ، أَوْ واحِدَةً مِنْ أَهْلِهِ مِمَّنْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَكَأَنَّما قادَهَا إِلَىْ النَّارِ».

ومن هنا منعت المرأة أن تزوج نفسَها إلا بولي عدل؛ لأن نظرها قاصر، والحاجة إلى الكفاءة، واختيار اللائق بها من الأزواج ضرورية.

قال رسول الله ﷺ: «لا نِكاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ». أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، وابن ماجه، والبيهقي عن عائشة، وعن ابن عباس رضي الله عنهم[1].

زاد البيهقي في رواية في حديث عائشة: «وَشاهِدَيْ عَدْلٍ»[2].

وقال في حديث ابن عباس في رواية: «لا نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ مُرْشِدٍ،

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧١٠) عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه.
وابن ماجه (١٨٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٢٥) عن عائشة، و(٧/ ١٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٢٥) عن عائشة.

وَشاهِدَيْ عَدْلٍ»[1].

وبهذا اللفظ أخرجه الشافعي رضي الله تعالى عنه[2].

فتأمل في قوله ﷺ «مرشد»! ليرشد موليته إلى أصلح الأزواج بها، وأتقاهم لله تعالى، وأكرمهم ديناً، وحسباً.

وروى الإمام مالك، والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ إِلاَّ بِإِذْنِ وَلِيِّها، أَوْ ذَوِيْ الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِها، أَوِ السُّلْطانِ[3].

على أن الولي ـ وإن كان فاسقاً ـ قد تحمله الحَمِيَّةُ والأَنَفَة من إنكاح موليته غير الكفء، وإن كان العدل مقدماً عليه، واشتراط الولي احتياطاً لها.

وأيضاً يرغب في الرَّجل الصالح للمرأة لفائدة أخرى: وهي أن المرأة إذا كانت تحت رجل صالح حُشرت معه ما لم تتصل بعده بغيره.

روى ابن سعد في «طبقاته» عن عكرمة: أن أسماء بنت أبي بكر الصِّديق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ كانت تحت الزُّبير بن العوام رضي الله عنه وكان شديداً عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية!

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١١٢).

(٢) رواه الإمام الشافعي في «الأم» (٧/ ٢٢٢).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١١١).

اصبري؛ فإن المرأة إذا كـان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تتـزوج، جمع بينهما في الجنَّة[1].

وروى ابن المنذر عن عروة بن رُويم اللخمي رحمه الله تعالى قال: قالت امرأة موسى لموسى عليه السلام: إني أَيِّمٌ منك منذ أربعين سنة، فأمتعني بنظرة، فرفع البرقع عن وجهه، فَغَشَّىْ وجهَه نورٌ التمع بصرها، فقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنـة، قال: على أن لا تتزوجي بعدي، وأن لا تأكلي إلا من عمل يدك، قال: فكانت تتبـع الحصادين فإذا رأوا ذلك تخاطوا لها، فإذا أحست بذلك تجاوزته[2].

ونظير ذلك قوله ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها: «يَا عَائِشَةُ! إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُـوْقَ بِيْ فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيا كَـزادِ الرَّاكِـبِ، وَإِيَّاكِ وَمُجالَسَـةَ الأَغْنِياءِ، وَلا تَسْتَخْلِفِيْ ثَوْباً حَتَّىْ تَرْقَعِيْهِ». رواه الحاكم عنها[3].

فالعبد الصالح ينفع أهله حتى بعد موته بما يبقيه فيهم من وصيته وآثاره.

وفي «طبقات ابن سعد» عن عكرمة مرسلاً: أن النبي ﷺ قال لفاطمة

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٥١).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٣٧) إلى ابن المنذر.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٧). وكذا رواه الترمذي (١٧٨٠) وقال: حديث غريب، وسمعت محمداً يقول: صالح بن حسان منكر الحديث.

رضي الله تعالى عنها: «يَا فَاطِمَةُ! أَمَا إِنِّيْ ما آلَيْتُ أَنْ أَنْكَحْتُكِ خَيْرَ أَهْلِيْ»[1].

وقال الإمام الحافظ أبو عبدالله البخاري في «صحيحه»: باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح[2].

ثم روى عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس رضي الله تعالى عنه وعنده ابنة له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله! ألك فيَّ حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقلَّ حياءَها، واسَوْأَتاهُ! فقال: هي خير منك؛ رغبت في النبي ﷺ، فعرضت عليه نفسها[3].

ثم قال: باب عرض الإنسان ابنته[4]، أو أخته على أهل الخير[5].

وروى فيه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر رضي الله عنهما من خُنَيْسِ بن حُذافة السَّهْمِيِّ - وكان من أصحاب النبي ﷺ، فتوفي بالمدينة - فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر:

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٤).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١٩٦٧).

(٣) رواه البخاري (٤٨٢٨).

(٤) في «م» و«أ»: «نفسه».

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١٩٦٨).

فلقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنهما فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إليَّ شيئاً، وكنت أَوَجَد عليه مني على عثمان، فلبث ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع عليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها[1].

وروى الحاكم، والبيهقي عن عثمان، وابن عساكر عنه، وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين عرض حفصة على عثمان: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى خَتْنٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمانَ، وَأَدُلُّ عُثْمانَ عَلَى خَتْنٍ خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ؟» قال: بلى، قال: «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي»[2].

وروى أبو نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة، [عن ابن أبي وداعة][3] رحمه الله تعالى قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: تُوُفِّيَتْ أهلي، فاشتغلت بها، فقال: ألا

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٥٦٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٦) عن عثمان رضي الله عنه.

(٣) زيادة من «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ١٦٧).

أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله! ومن يزوجني وأملك درهمين، أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟ قال: نعم.

ثم تَحَمَّد، وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين، أو قال: ثلاثة.

قال: فقمت، وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ، وممن أستدين، فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي، واسترحت، وكنت وحدي صائماً، فقدمت عشائي أفطر ـ وكان خبزاً وزيتاً ـ فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب؛ فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت، فخرجت، فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد! ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فقال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً، فتزوجت، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، فهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم تقدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاؤوني، فقالوا: ما شأنك؟ قلت: وَيْحَكُمْ! زَوَّجَني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاءني بها على غفلة، قالوا: سعيد بن المسيب زَوَّجَك؟ قلت: وهي ذا هي في

الدار، قال: ونزلوا هم إليها، وبَلَغَ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

قال: فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله ﷻ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج.

قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد، ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس ـ أي: تفرقوا ـ فلمَّا لم يبق غيره قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد! على ما يحب الصديق، ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

قال أبـو نعيم: قال عبـدالله بن سـليمان ـ يعني: الأشعـث أحـد رواته ـ: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مئة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف[1]. انتهى.

ونظير قصة سعيد بن المسيب في رد الخليفة وقد خطب إليه ابنته، وإيثار عبد الرحمن بن حرملة[1] بها لدينه وعلمه: ما رواه الإمام أحمد في

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٦٧).

«الزهد»، ومن طريقه أبو نعيم، وغيرهما عن ثابت البناني قال: خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنته الدرداء، فرده، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله! تأذن لي أن أتزوجها؟ قال: اعْزُبْ ويلك! قال: فائذن لي أصلحك الله! قال: نعم، قال: فخطبها، فأنكحها أبو الدرداء الرجل، فسار ذلك في الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، قال: فقال أبو الدرداء: إني نظرت للدرداء ما ظنكم بالدرداء؛ إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها، أين دينها منها حينئذ؟[2].

هكذا كان نظرهم لبناتهم ومولياتهم في اختيار الأكفاء، واعتبار الكفاءة في الدين بخلاف أهل زماننا.

وقد رغب علماؤهم إلا من شذ في مصاهرة أرباب الدولة أو التجار على ما هم عليه من الغرور، فكيف بغير العلماء؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون!

* **تَتِمَّةٌ:**

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ

---

(١) تقدم أن عبد الرحمن هو راوي القصة، وأن زوج ابنة سعيد هو: كثير بن المطلب بن أبي وداعة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٢٣٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١٥).

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[النور: ٣٢]؛ الخطاب في الآية للأولياء والسادة.

قال صاحب «الكشاف»: فإن قلت: لم خص الصالحين؟ قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم، ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم، وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة، والمودة، فكانوا مظنة التوصية بشأنهم، والاهتمام بهم، وتقبل الوصية فيهم، وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك.

قال: أو أريد بالصَّلاح القيام بحقوق النكاح[1]. انتهى.

قلتُ: وعلى هذا الوجه فالصلاح في الآية عام؛ يعني: إرادة النكاح للتحصن، وإقامة الحقوق، أما من يدعى إلى التزوج وهو يرغب عنه لما شربه قلبه من محبة السفاح، والميل إليه، والنكاح في الغالب لا يعفه، وهو حال أكثر الناس في هذا الزمان، فكم من إنسان زوج ابنه، أو غلامه ليعف، فلم يعف!

فإن قلتَ: لم خص الصالحين من الأرقاء، وعمم في أيامى الأحرار ـ جمع أيِّم؛ وهو من لا زوج له من ذكر أو أنثى ـ؟

قلتُ: لأن التحصين في حق المولى الحر ضروري أضر منه في حق المولى العبد، وصلاح الحر يعينه عليه النكاح، فقد يتزوج الفاسق فيعف، والحر يرجع إلى صيانة نسبه، وحفظ حسبه، والحياء من عشيرته،

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٢٤٠).

وأهل بلده، وأهل محلته ما لا يرجع إليه العبد.

ولقد قيل: [من مجزوء الكامل المرفل]

الْعَبْـــدُ يُـــردع بِالْعَـــصَا   وَالْحُـــرُّ تَكْفِيْـــهِ الْمَلامَـــةْ[1]

واعلم أن ما سبق من باب إرشاد الراغب من رجل أو امرأة في تزوج الآخر إلى صلاح مطلوبه، وهذا إرشاد للأولياء إلى تزويج من في ولايتهم إعفافاً لهم، وتحصيناً، وتحصيلاً للصَّلاح، وإن كان المزوج منحرفاً عنه.

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ عَجَّ[2] شَيْطَانُهُ يَقُوْلُ: يا وَيْلَهُ! عَصَمَ ابْنُ آدَمَ مِنِّيْ ثُلُثَيْ دِيْنِهِ»[3].

وفي «الأوسط» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الإِيْمانِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِيْ النِّصْفِ الثَّانِيْ»[4].

---

(١) البيت ليزيد بن ربيعة الحميري. انظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام (٢/ ٦٨٩)، و«البيان والتبيين» للجاحظ (ص: ٤٠٩).

(٢) عج: صاح.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٧٥)، ولفظه: «أيما شاب تزوج في حداثة سنه...». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٣): وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٤٧)، قال الهيثمي في «مجمع =

وروى الأئمة الستة عن ابن مسعود ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الشَّبابِ! مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمُ الْباءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّـهُ أَغَـضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجاءٌ»(٢).

* * *

= الزوائـد» (٤/ ٢٥٢): رواه الطبراني في «الأوسط» بإسنادين، وفيهما يزيد الرقاشي وجابر الجعفي، وكلاهما ضعيف، وقد وثقا.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (١٤٠٠)، وأبـو داود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١)، والنسائي (٢٢٣٩)، وابن ماجه (١٨٤٥).



فَصْلٌ

وينبغي للعبد أن يكثر من ذكـر الصالحين؛ لما رواه الحافـظ أبـو الفرج بن الجوزي في مقدمة كتابه «صفه الصفوة» عن سفيان بن عيينة أنه قال: عند ذكر الصَّالحين تنزل الرحمة(١).

وقال عبدالله بن خبيق ـ وهو أحـد رجال «الرسالـة القشيريـة» ـ: سمعت محمد بن يونس يقول: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين(٢).

بل روى الديلمي في «مسند الفردوس» عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذِكْـرُ الأَنْبِـياءِ مِنَ الْعِبادَةِ، وَذِكْـرُ الصَّالِحِيْنَ كَفَّارَةٌ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ صَدَقَةٌ، وَذِكْرُ الْقَبْرِ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ».

وإنما كان ذكر الأنبياء من العبادة؛ لأن المراد ذكرهم على وجه التعظيم، وهو يستدعي الإقـرار بنبوتهم، والإيمان بها، وذلك من أشرف العبادات.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥)، ورواه أبـو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥).

وإنما كان ذكر الصَّالحين كفارة؛ لأن الذنب جفاء، وذكر الصالحين صفاء، والصفاء يكفر الجفاء.

وأيضاً فإن العبد إذا ذكر الصالحين يذكرهم بأوصافهم الجميلة، وأحوالهم الشريفة، فيستصغر نفسه، ويحتقر عمله عندهم، وذلك من جملة المكفرات لذنوب النفس، ورؤية الأعمال.

وروى الأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا بِشْرُ! تَدْرِيْ لِمَ رَفَعَكَ اللهُ مِنْ بَيْنِ أَقْرانِكَ؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: بِاتِّباعِكَ لِسُنَّتِيْ، وَخدمتك[1] لِلصَّالِحِيْنَ، وَنَصِيْحَتِكَ لإِخْوانِكَ، وَمَحَبَّتِكَ لأَصْحابِي، وَأَهْلِ بَيْتِي؛ هُوَ الَّذِيْ بَلَّغَكَ مَنازِلَ الأَبْرارِ[2].

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن أبي بكر الدَّقاق رحمه الله تعالى قال: أهل الحقائق والصالحون والكبار أدنى أحوالهم إذا ذكرت يزداد الإنسان معرفة بتقصير نفسه.

وعن إبراهيم الحربي قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: بحسبك أن أقواماً موتى يحيا القلب بذكرهم ـ يعني: الصالحين ـ، وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم؛ يعني: الكفار والظلمة والفسقة[3].

---

(١) في «م» و«أ» و«ت»: «وحرمتك»، والمثبت من «الرسالة القشيرية» (ص: ٣١).

(٢) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٣١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٣٣).

والمراد بعمى الأبصار ما يقع لذويها من سخنة العين برؤيتهم، كما قال ابن الفارض رحمه الله تعالى: [من الطويل]

وَقَـدْ صَـدِئَتْ عَيْنِـيْ بِرُؤْيَـةِ غَيْرِهَـا

* **ومن لطائف الأدب مع الصالحين**: ما ذكره ابن عقيل في «الفنون»، ونقله ابن مفلح عنه في «الآداب»: أن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كان مستنداً، وذكر عنده ابن طهمان، فأزال ظهره عن الاستناد، وقال: لا ينبغي أن يجري ذكر الصالحين ونحن مستندون.

قال ابن مفلح: وقد ذكر هذا الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد في ترجمة أبي زرعة الرازي، قال: سمعت أحمد بن حنبل ذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة، فاستوى جالساً، وقال: لا ينبغي أن يذكر الصَّالحون فنتكىء[1]. انتهى.

* **ومن فوائد ذكر الصَّالحين**: أن العبد إذا ذكرهم رقَّ قلبه عند ذكرهم، وأحبهم، وودَّ أن يتأسى بهم، ونشط في العبادة والطاعة، ورغب في اللحاق بهم، وترحم عليهم، ودعا لهم، ودعاء العبد لأخيه في ظهر الغيب يستدعي دعاء الملائكة لهم كذلك، ودعاء الملائكة عليهم السَّلام أقرب إلى الإجابة والقبول.

روى مسلم عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٦).

قال: «ما مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُوْ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ»[1].

واشتهر عن الإمام أحمد أنه قال: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي[2].

وقال له ابنه: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ وقال أحمد: يا بني! كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف![3].

وذكر ابن السبكي في «طبقاته» في ترجمة الحارث بن سريج قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، قال: وكذلك ذكر يحيى بن معين أنه سمع يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة[4].

وكان يحيى بن سعيد من أقران شيوخ الشافعي، والإمام أحمد من أصحابه، فدعاء يحيى له من باب دعاء الكبير للناشىء الصالح، ودعاء أحمد له من دعاء الصاحب لصاحبه الصالح، أو التلميذ لشيخه الصَّالح.

وقد أشار في جوابه لابنه حين سأله عن سبب كثرة دعائه للشافعي

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٩٨).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٦٦).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ١١٢).

إلى أن دعاءه لـه من باب تأدية الحق، ومكافأتـه للشافعي عن أهل عصره بما نفعهم به من العلم، وفيه إشارة إلى أن الدعاء للصالحين، والعلماء العاملين فيه أداء لحقوقهم مهما كان لهم نفع في عباد الله تعالى، بل كل مسلم يطلب منه الدعاء للمسلمين طلباً لصلاحهم، وكمالهم، وإذا دعا لهم كان له مثل ما يدعو به لهم؛ لحديث أبي الدرداء المتقدم.

وفي «معجم الطبراني الكبير» عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُـؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنـاتِ كُـلَّ يَوْمٍ سَبْعاً وَعِشْرِيْنَ مَـرَّةً، أَوْ خَمْساً وَعِشْرِيْنَ مَرَّةً كانَ مِنَ الَّذِيْ يُسْتَجابُ لَهُمْ، وَيُرْزَقُ بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ»(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنـه: أن النبي ﷺ قـال: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِناتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»(٢).

فدعاء المسلم للمؤمنين من تمام صلاحه، ومن أنفع أسباب فلاحه، فكيف بالصالحين!

وقد أوجب الله تعالى ذكر الصالحين على كل مسلم مصلٍّ مقروناً بالسلام عليهم، المتضمن للدُّعاء لهم بالسلامة بحيث إن صلاته لا تصح بدون ذلك، كما هو مذهب أكثر أهل العلم.

---

(١) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» وقال: وفيه عثمان بن أبي العاتكة، وثقه غير واحد، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله المسمين ثقات.

(٢) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠) إلى الطبراني في «المعجم الكبير» وقال: إسناده جيد.

وروى الشيخان، وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِيْ الصَّلاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّباتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلَىْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ؛ فَإِنَّهُ إِذا قالَ ذَلِكَ أَصابَ كُلَّ عَبْدٍ صالِحٍ فِيْ السَّماءِ وَالأَرْضِ»، الحديث[1].

قال بعض العلماء: تارك الصلاة ظالم لكل صالح في السموات والأرض حقاً فرضه الله له عليه، وحقوق العباد محل الْمُشَاحَّةِ والْمُحَاقَّةِ، فلأجل ذلك كان ذنبه عظيماً، ولا يقبل منه إلا أن يأتي بها، وإلا قتل بترك صلاة واحدة.

* **ومن لطائف الآثار**: ما رواه أبو نعيم في «الحلية» في ترجمة عروة ابن رويم عنه، عن خالد بن يزيد القرشي قال: كانت لي حاجة بالجزيرة، فاتخذتها طريقاً مستخفياً، قال: فبينما أنا أسير بين أظهرهم إذا أنا بشمامسة ورهبان، وكان رجلاً كيساً ذا رأي، قال: فقلت لهم: ما جمعكم ههنا؟ قالوا: إن لنا شيخاً سياحاً نلقاه في كل عام في مكاننا هذا مرة، فنعرض عليه ديننا، وننتهي فيه إلى رأيه، قال: وكنت رجلاً معنياً بالحديث، فقلت: لو دنوت من هذا فلعلي أسمع منه شيئاً أنتفع به، قال: فدنوت منه، فلما نظر إلي قال: ما أنت؟ مِنْ هؤلاء؟ قلت: أجل، قال: من أمة أحمد ﷺ؟ قلت:

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٦)، ومسلم (٤٠٢).

نعم، قال: من علمائهم أنت، أو من جهالهم؟ قلت: لست من علمائهم، ولا جهالهم.

قال: ألستم تزعمون في كتابكم أن أهل الجنة يأكلون، ويشربون، ولا يبولون، ولا يتغوطون؟ قال: قلت: نعم، قال: نقول ذلك، وهو كذلك، قال: فإن لهذا مثلاً في الدنيا؛ فما هو؟ قلت: مثل الصبي في بطن أمه؛ يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشياً، ولا يبول، ولا يتغوط، قال: فَتَرَبَّدَ وجهه، وقال لي: ألست تزعم أنك لست من علمائهم؟ قلت: بلى، ما أنا من علمائهم، قال: ولا من جهالهم.

ثم قال لي: ألستم تزعمون أنكم تأكلون، وتشربون، ولا ينتقص مما في الجنة شيء؟ قلت: نعم، قال: نقول ذلك، وهو كذلك، قال: فإن لهذا مثلاً في الدنيا، فما هو؟ قلت: مثل هذا رجل أعطاه الله تعالى علماً وحكمة، وعلمه كتابه، فلو اجتمع جميع من خلقه الله فتعلموا منه، ما نقص من علمه شيئاً، قال: فَتَرَبَّدَ وجهه، وقال: ألم تزعم أنك لست من علمائهم؟ قلت: أجل، ما أنا من علمائهم، ولا من جهالهم.

فقال لي: ألستم تقولون في صلاتكم: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين؟ قال: قلت: بلى، قال: فلها عني، ثم أقبل على أصحابه، فقال: ما بسط لأحد من الأمم ما بسط لهؤلاء من الخير؛ إن أحد هؤلاء إذا قال في صلاته: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، لم يبق عبد صالح في السَّموات والأرض إلا كتب الله له به عشر حسنات.

ثم قال: ألستم تستغفرون للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: قلت: بلى، فقال لأصحابه: إن أحد هؤلاء إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات لم يبق عبد مؤمن في السَّموات من الملائكة، ولا في الأرض من المؤمنين، ولا من كان على عهد آدم عليه السَّلام، أو من هو كائن إلى يوم القيامة إلا كتب له به عشر حسنات.

قال: ثم أقبل عليَّ، فقال: إن لهذا مثلاً في الدنيا، فما هو؟ قلت: كمثل رجل مر بملأ، كثيراً كانوا، أو قليلاً، فسلم عليهم، فردوا عليه، أو دعا لهم، فدعوا له، قال: فتَرَبَّدَ وجهه، فقال: ألست تزعم أنك لست من علمائهم؟ قلت: أجل، ما أنا من علمائهم، ولا من جهالهم.

فقال: ما رأيت من أمة محمد ﷺ من هو أعلم منك، سلني عما بدا لك.

قال: قلت: كيف أسأل من يزعم أن لله ولداً؟ قال: فشق عن مدرعته حتى بدا بطنه، ثم رفع يديه فقال: لا غفر الله لمن قالها، منها فررنا، واتخذنا الصوامع.

قال: إني أسألك عن شيء فهل أنت مخبري؟ قال: قلت: نعم، قال لي: أخبرني هل بلغ ابن القرن فيكم أن يقوم إليه الناشيء، أو الطفل فيشتمه، ويتعرض لضربه، ولا يغير ذلك عليه؟ قال: قلت: نعم، قال: ذلك حين رق دينكم، واستحببتم دنياكم، وآثرها من آثرها منكم، فقال

رجل من القوم: ابن كم القرن؟ قال: أما أنا قلت: ابن ستين، وأما هو فقال: ابن سبعين، فقال رجل من جلسائه: يا أبا هاشم! ما كان يسرنا أن يكون أحد من هذه الأمة لقيه غيرك[1].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[النور: ٦١]؛ قال: هو المسجد؛ إذا دخلته فقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين[2].

وعن مجاهد قال: إذا دخلت بيتاً فقل: بسم الله، والحمد لله، والسلام علينا من ربنا، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين[3].

وعنه، وعن قتادة رحمهما الله تعالى أنهما قالا: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين؛ فإن الملائكة عليهم السلام ترد.

وقد سبق عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما نحوه[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢١)، وكذا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٠٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٣٦)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٣٥١٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٣٩).

(٤) تقدم تخريجه.

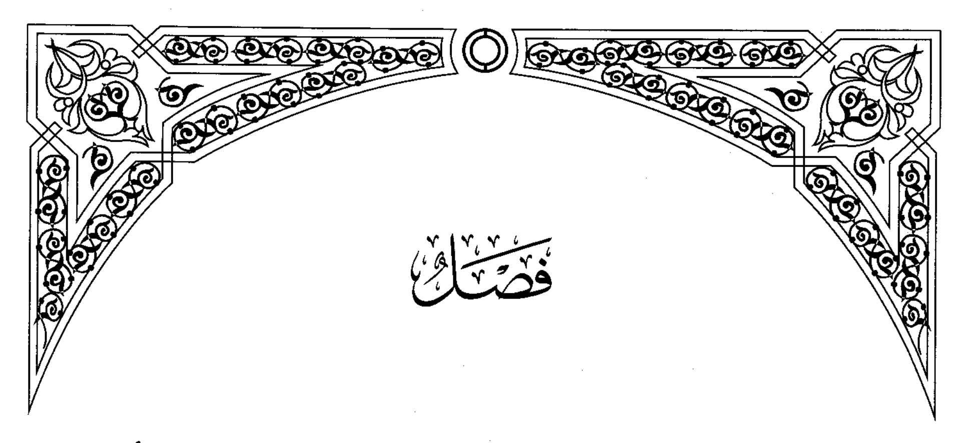
* تَنْبِيْهٌ:

إذا ذكر المرء الصالحين وجب عليه ألا يذكرهم إلا بخير، وليحذر مِنْ ذِكْرِهِمْ بما يُكره؛ فإن غيبتهم أشد حرمة من غيبة من سواهم.

وفي «رسالة القشيري» رحمه الله تعالى: وقيل: أوحى الله إلى سليمان بن داود عليهما السلام: أوصيك بتسعة أشياء: لا تغتابنَّ صالح عبادي، ولا تحسدنَّ أحداً من عبادي، فقال سليمان: يا رب! حسبي[1].

* * *

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ١٩٣).



ويستحب طلب الدعاء من الصالحين لنفسه، ولولده، وأهله.

روى الإمام أحمد، وابن ماجه عن ابن عمر، عن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال له لما استأذنه في العمرة، فأذن له: «يَا أُخَيَّ أَشْرِكْنا فِيْ صالِحِ دُعائِكَ وَلا تَنْسَنا»[1].

وأخرجه أبو داود [والترمذي][2] وصححه، ولفظه: قال: استأذنت رسول الله ﷺ في العمرة، فأذن، وقال: «لا تَنْسانا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعائِكَ»، فقال عمر رضي الله عنه: كلمة ما يسرني أنَّ لي بها الدُّنيا[3].

وروى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قالت أمي: يا رسول الله! خادمك أنس؛ ادع الله له، فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ وَوَلَدَهُ وَبارِكْ لَهُ فِيْما أَعْطَيْتَهُ»[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) بياض في «أ».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٥٩٨٤)، وكذا رواه مسلم (٢٤٨٠).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصِّبيان فيدعو لهم[1].

وقال النـووي في «أذكـار الاستسقاء»: ويسـتحـب إذا كـان فيهم ـ يعني: المحتاجين إلى السقيا ـ رجل مشهور بالصلاح أن يستسقوا بـه، فيقولوا: اللهم إنا نستسقي، ونتشفع إليك بعبدك فلان.

روينا في «صحيح البخاري»: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فقال: اللَّهم إنا كنا نستسقيك بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ، فاسقنا، فيسقون[2].

قال: وجاء الاستسقاء بأهل الصَّلاح عن معاويـة رضي الله تعالى عنه، وغيره[3]. انتهى.

وكذلك ينبغي استيصاء الصَّالحين وأهـل العلم منهم أخص بذلك، وطلب نصيحتهم، والموعظة منهم، وطلب التعليم منهم.

روى البخاري، وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ: أوصني، قال: «لا تَغْضَبْ، لا تَغْضَبْ»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٤) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦).

(٢) رواه البخاري (٩٦٤) عن أنس ﷺ.

(٣) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ١٤٠).

(٤) رواه البخاري (٥٧٦٥).

وروى الشيخان عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: أنه قال للنبي ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي ـ وفي روايـة لمسلم: وفي بيتي ـ قال: «قل: اللَّهُمَّ إِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيَ ظُلْماً كَبِيْراً ـ وفي رواية: كَثِيْراً ـ بالمثلثـة ـ وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِيْ مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِيْ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ»[1].

والأخبار في طلب الوصية والتعليم من رسول الله ﷺ كثيرة، وكذلك الاستيصاء من الصَّحابة والتابعين والحكماء والصَّالحين كثيرة في الآثار.

* **ومن لطائفها**: ما أخرجه أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، وغيره عن أحمد ابن عاصم رحمه الله تعالى قال: قال هَرِم بن حيان لأويس القرني رضي الله عنهما: أوصني، فقال: توسَّدِ الموت إذا نمت، واجعله نصب عينك إذا قمت، وادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئاً أشد عليك منهما؛ بينا قلبك مقبل إذا هو مدبر، ولا تنظر في صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، وحسبك قصة موسى عليه السلام في طلب الخضر عليه السلام لأجل طلب العلم والفائدة، وقد كان ذلك بأمر من الله تعالى لموسى حتى لقيه بمجمع البحرين، فقال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦][2].

---

(١) رواه البخاري (٧٩٩)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٥٥).

وروى ابن أبي الدُّنيا، والبيهقي، وابن عساكر عن أبي عبدالله ـ أظنه الملطي ـ قال: أراد موسى أن يفارق الخضر عليهما السلام قال له موسى: أوصني، قال: كن نفَّاعاً، ولا تكن ضَرَّاراً، كن بَشَّاشاً ولا تكن غَضْبانـاً، ارجع عن اللجاجة، ولا تمشِ من غير حاجـة، ولا تعير امرأ بخطيئته، وابك على خطيئتك يا ابن عمران[1].

وروى ابن أبي حاتم، وابن عساكر عن يوسـف بن أسباط قـال: بلغني أن الخضر قال لموسى عليهما السَّلام لما أراد أن يفارقه: يا موسى! تعلم العلم لتعمل به، ولا تعلمه لتحدث به.

قال: وبلغني أن موسى قال للخضـر: ادع لي، فقـال الخضر: يسر الله عليك طاعته[2].

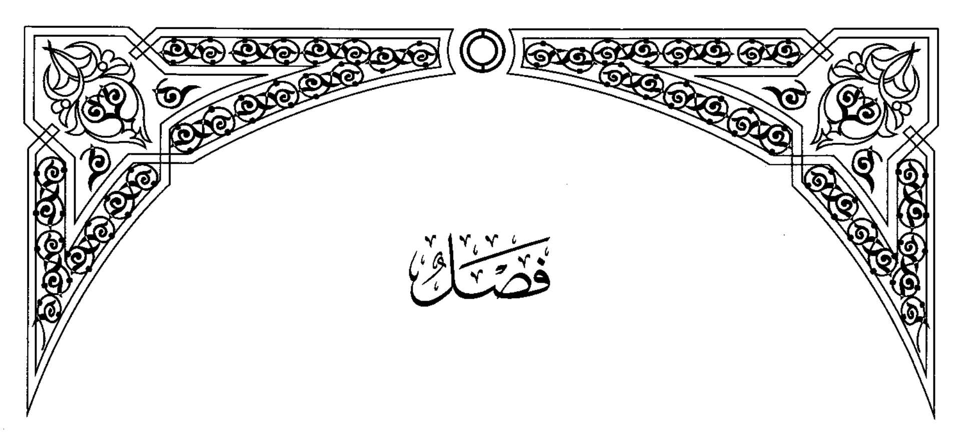
وروى ابن أبي حاتم عن بقية قال: حدَّثني أبو سعيد قال: سمعت أن آخر حكمة أوصى بها الخضر موسى عليهما السلام حين فارقه: إياك أن تُعَيِّرَ إنساناً بإساءته فتبتلى.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (ص: ١٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤١٦).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٢) إلى ابن أبي حاتم، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤١٦).



فصل

ويستحب حمل المولود عند ولادته إلى واحد من أهل الصَّلاح يحنكه بتمرة ليكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، فيتبرك به. كما ذكره النووي[1] رحمه الله تعالى في «شرح مسلم» في حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما ولدت أم سليم رضي الله تعالى عنها قالت لي: يا أنس! انظر هذا الغلام فلا تصيبن شيئاً حتى تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه، قال: فغدوت فإذا هو في الحائط... الحديث[2].

وروى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: حملت بعبدالله بن الزُّبير رضي الله تعالى عنهما بمكة، فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به النَّبي ﷺ، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمر، وبارك عليه[3].

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ١٠٠).

(٢) رواه البخاري (٥٤٨٦)، مسلم (٢١١٩).

(٣) رواه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (٢١٤٦).

قال النووي في «شرح المهذب»: ويستحب أن يكون المحنك من أهل الخير، فإذا لم يكن رجلاً فامرأة صالحة[1].

وكذلك ينبغي للعبد أن يحمل أولاده، أو يصحبهم إلى الصالحين، ويزورهم بهم، فعساهم إن لم يحصل لهم تحنيك الصالحين في البداية أن يحصل عليهم نظر الصالحين، وخصوصاً إذا كانوا شيوخاً طالت أعمارهم، وحسنت أعمالهم، ولم تزل العلماء، والأكابر يحملون أولادهم إلى العلماء، والصالحين، ويستجيزونهم.

وقد حمل جدي والدي رضي الله تعالى عنهما وهو دون السنتين إلى الشيخ الصالح، العالم، العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أبي الفتح الإسكندري البزي، واستجازه له، فأجازه، وألبسه الخرقة، ولقَّنه الذكر، وظفر بصحبته، ونال من بركته، وكان يأمر الوالد وهما بمصر أيام الطلب أن يذهب إلى القطب الكبير سيدي عبد القادر الدشطوطي، وإلى الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إسماعيل الزائر، وغيرهما من الأولياء للزيارة، والتماس البركة، وليحل عليه نظر هؤلاء المفلحين.

وقد قال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى أحمد بن الرفاعي، وغيره رحمهم الله تعالى: عجبت لمن يحل عليه نظر المفلح، ولا يفلح[2].

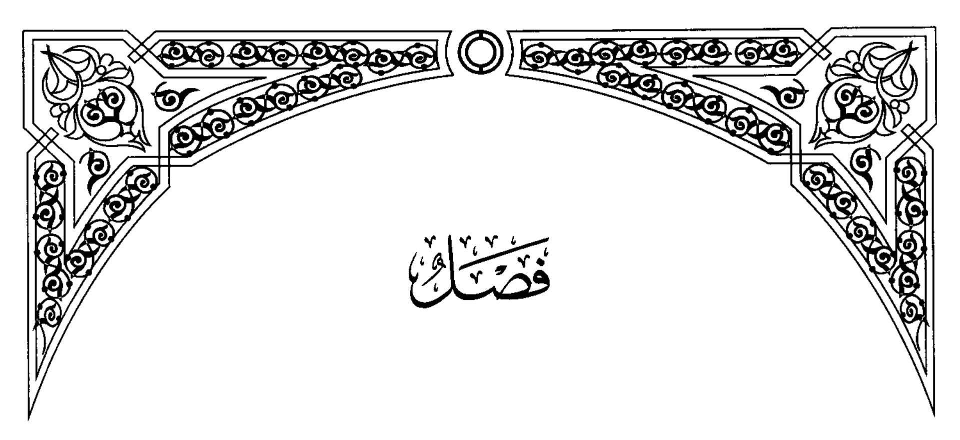
---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٨/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» لنجم الدين الغزي (ص: ١٧١).

ومنذ كنت طفلاً ما حلا لي إلا صحبة الصالحين، ولا طمحت نفسي إلا إلى اللحاق بالعلماء العاملين، وكـان ذلك بدعـوة من والـدي شيخ الإسلام؛ دعا لي بها عند ما بشر بولادتي، ودعا لي بمثلها قبل وفاته بنحو يوم، فأسأل الله تعالى أن يديم هذه النعمة، ويزيدني صحبة للصالحين حتى أكون معهم في حزب المتقين، وأن يفعـل ذلك بأحبائي، وسائر المسلمين.

* * *



فصل

وكذلك ينبغي التبرك بآثار الصالحين، والحرص على ما عسى أن يحصل منهم من كسوة، أو طعام، أو دراهم، أوغيرها تبركاً بآثارهم.

روى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل[١].

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[٢].

وعن أفلح مولى أبي أيوب: أن أبا أيوب ﷺ كان يصنع للنبي ﷺ طعاماً وهو نازل عنده، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ـ أي: أصابع النبي ﷺ ـ فيتتبع موضع أصابعه[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٤).

(٣) رواه مسلم (٢٠٥٣).

وروى هو، والبخاري عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس وأصحابه في سقيفة بني ساعدة: «اسْقِنِيْ يا سَهْلُ!» قال: فخرجت إليهم بهذا القدح، فسقيتهم فيه.

قال أبو حازم: فأخرج لنا سهل ذلك القدح، فشربنا منه.

قال: ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له[1][2].

و[3]قال البخاري: قال أبو بردة: قال لي عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه: ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه؟[4].

وأخرج عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وكان قد انصدع، فسلسله بفضة[5].

وروى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن سائلاً أتى النبي ﷺ، فأعطاه تمرة، فقال الرجل: سبحان الله! نبي من الأنبياء يتصدق بتمرة؟ فقال له النبي ﷺ: «أَوَ ما عَلِمْتَ أَنَّ فِيْها مَثاقِيْلَ ذَرٍّ كَثِيْرٍ؟» فأتاه آخر، فسأله، فأعطاه تمرة، فقال: تمرة من نبي؟ لا تفارقني هذه التمرة ما بقيت،

---

(١) في «م» و«أ» و«ت»: «منه»، والمثبت من «صحيح البخاري» (٥٣١٤).

(٢) رواه البخاري (٥٣١٤).

(٣) الواو ليست في «أ».

(٤) ذكره البخاري (٥/ ٢١٣٤) معلقاً.

(٥) رواه البخاري (٥٣١٥).

ولا أزال أرجو بركتها أبداً، فأمر له النبي ﷺ بمعروف، وما لبث الرجل أن استغنى[1].

وروي أن معاوية ﷺ قال في وصيته لابنه يزيد: إذا وفى أجلي فَوَلِّ غسلي رجلاً لبيباً؛ فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل، وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل [في الخزانة][2] فيه ثوب من أثواب النبي ﷺ، وقراضة من شعره، وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني[3].

وروى أبونعيم عن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتي بماء، فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسحون به، الحديث[4].

ولم يزل العلماء، والأخيار يتبركون بآثار الصالحين.

وأخبرني غير واحد أن الشيخ الوالد رضي الله تعالى عنه وهبه شيئاً من النقد، فحرص عليه، وحفظه في كيسه ـ أو خزانته ـ فكان سبباً لنمو ماله، وحلول البركة فيه.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٣٥).

(٢) بياض في «أ»، وفي «ت»: «الخزينة».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ٦٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣٥)، ورواه أيضاً البخاري (١٨٥)، ومسلم (٥٠٣).

وحكى بعض أهلنا أن خالة لي مرضت، وطال مرضها، وأعيا الأطباء أمرها، فقيل لها في المنام: أين أنت عن ماء وضوء صهرك الشيخ بدر الدين؟ فاغسلي به وجهك، ويديك، ففعلت، فبرأت بإذن الله تعالى.

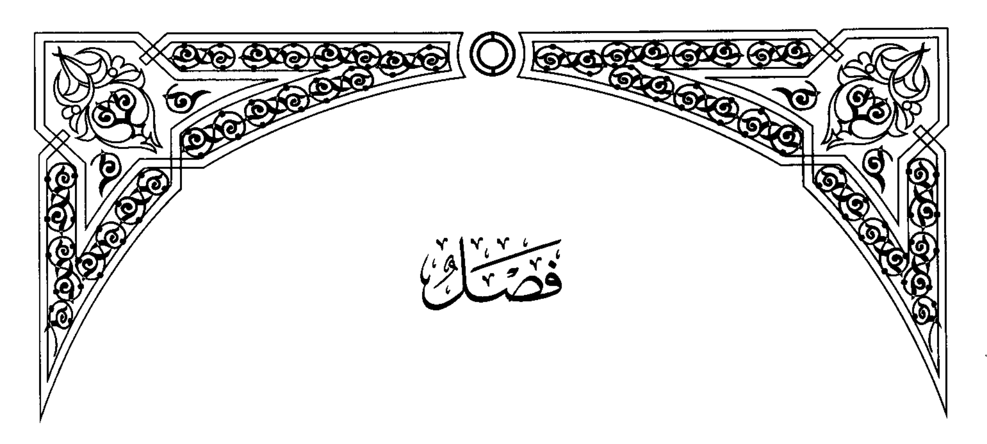
وأخبرنا أبي رحمه الله تعالى عن القاضي زكريا الأنصاري، عن العز عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، عن قاضي القضاة التاج ابن السبكي، عن أبيه شيخ الإسلام تقي الدين السبكي أنه لما ولي تدريس دار الحديث الأشرفية بدمشق، وكان وليها سابقاً الشيخ محي الدين النووي رضي الله تعالى عنه كان إذا دخل دار الحديث المذكورة يصلي ركعتين على البساط الذي كان يجلس عليه النووي، وينشد: [من الوافر]

وَفِــيْ دارِ الْحَــدِيْثِ لَطِيْــفُ مَعْنَــىً
عَلَــىْ بُــسْطٍ لَهَــا أَصْــبُوْ وَآوِيْ

لَعَلِّــيْ أَنْ أَنَــالَ بِحُــرِّ وَجْهِــيْ
مَكانــاً مَــسَّهُ قَــدَمُ النَّــواوِيْ[1]

* * *

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٣٩٦).



وليحذر كل الحذر من بغض أحد من الصالحين، وإيذاء أحد منهم ـ ولو بأقل شيء ـ فقد علمت أن الصالحين إنما أصلحهم الله تعالى، فقصد واحد منهم بالأذى مناقضة لما فعله الله تعالى بهم؛ فإنه أصلح بالهم، وأنت تريد أن تفسد بالأذى بالهم.

ويخشى من إيذاء الصالحين، والتعرض لأذاهم أن يغضب الله لهم، فيهلك المؤذي، أو يبلغهم أذاه فتبدر منهم دعوة تنفذ فيه، كما في «الصحيح»: أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وكان دعا له رسول الله ﷺ بأن تستجاب دعوته، لما شكاه أهل الكوفة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فبعث عمر رجالاً يسألون عنه في مساجد الكوفة، فكانوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا أثنوا عليه خيراً، وقالوا معروفاً، حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس، فقال رجل ـ يقال له أبو مسعدة ـ: اللهم إنه كان لا يسير بالسرية، ولا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، فقال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، فكان بعد ذلك يقول إذا سئل: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك[1] رضي الله تعالى عنه: أنا رأيته بعد ذلك قد سقط حاجباه على عينه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن[2].

وفي «صحيح مسلم»: أن أروى خاصمت سعيد بن زيد في بعض داره، فقال: دعوها وإياها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِيْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ»، اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها.

قال محمد بن زيد: فرأيتها عمياء تلتمس الجدر، وتقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، إذ مرت على بئر في الدَّار، فوقعت فيها، فكانت قبرها[3].

وفي «المجالسة» للدينوري: عن حميد بن هلال قال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه في مسجدهم كلام [و]كذب عليه، فقال له مطرف: فإن كنت كاذباً فأماتك الله، فَخَرَّ ميتاً، فاستعدى عليه بنو عمه إلى زياد، فقال: هل مس صاحبكم بشيء، أو ضربه؟ قالوا: لا، قال: كلمة عبد صالح وافقت قدراً[4].

---

(١) في «م» و«أ» و«ت»: «جابر بن سمرة»، والمثبت من «صحيح البخاري» (٧٢٢).

(٢) رواه البخاري (٧٢٢).

(٣) رواه مسلم (١٦١٠) واللفظ له، ورواه البخاري (٣٠٢٦) مختصراً.

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣١٧).



فَصْلٌ

كما ينبغي للعبد أن يجاور الصالحين، ويخالطهم في حال حياتـه، ينبغي لأهله أن يدفنوه بين قوم صالحين بعد وفاتـه، فلعله إن لم يتيسر له التبرك بالصَّالحين في حال الحياة، أن تشمله بركاتهم بعد الوفاة.

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين؛ فإن الموتى يتأذون بالجار السُّوء، كما يتأذى به الأحياء[1].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله ﷺ «إِذَا ماتَ لأَحَدِكُمُ الْمَيِّتُ فَأَحْسِنُوْا كَفَنَهُ، وَعَجِّلُوْا إِنْجازَ وَصِيَّتِهِ، وَأَعْمِقُوْا لَـهُ فِيْ قَبْرِهِ، وَجَنِّبُوْهُ جارَ السُّوْءِ»، قيل: يا رسول الله! وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: «هَلْ يَنْفَعُ فِيْ الدُّنْيا؟» قالوا: نعم قال: «كَذَلِكَ يَنْفَعُ فِيْ الآخِرَةِ». رواهما ابن عساكر.

وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادْفِنُوْا مَوْتاكُمْ وَسْطَ قَوْمٍ صالِحِيْنَ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَتَأَذَّىْ بِجارِ السُّوْءِ، كَما

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٩٧).

يَتَأَذَّىٰ الْحَيُّ بِجارِ السُّوْءِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» عن عبدالله بن نافع المزني قال: مات رجل من أهل المدينة، فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، فأريه بعد سابعة أو ثامنة كأنه من أهل الجنة، فسأله، فقال: دفن معنا رجل من الصالحين، فشفع في أربعين من جيرانه، وكنت منهم[2].

وذكر ابن الجوزي أن بعضهم رأى معروفاً الكرخي رحمه الله تعالى في نومه لما دفن في قبره شفع في أربعين ألفاً من كل جانب من جوانبه، فأعتقوا من النار.

وذكر ابن رجب في كتاب «أهوال[3] القبور» أنه لما مات كرز الحارثي رحمه الله تعالى رأى رجل فيما يرى النائم كأن أهل القبور جلوس على قبورهم عليهم ثياب جُدد، لقدوم كرز عليهم[4].

والآثار في ذلك كثيرة.

والحاصل أن الميت من المسلمين إذا دفن بين الصَّالحين فإن كان مسيئاً نزلت الرَّحمة عليهم، فأصابه منها نصيب ما، أو شفعهم الله تعالى فيه، ووهبهم إياه.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٥٤). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٧٥): وسليمان بن عيسى متروك، بل اتهم بالكذب والوضع.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «القبور» (ص: ٣١).

(٣) في «م» و«أ»: «أهل».

(٤) وقد رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨١).

وأيضاً فإن الصالحين يكثر قصدهم بالزيارة والدعاء، فربما شملت مجاورتهم أدعية زائريهم، وإن كان محسناً صالحاً ترقى مقامه بهم، أو ترقت مقاماتهم به.

وما أحسن قول شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى: [من الطويل]

إِذَا مِــتُّ فَــادْفِنِّيْ إِلَــىْ جَنْــبِ ظُلَّتِــيْ
تَكُــوْنُ أَمَــامِيْ أَوْ أَكُــوْنُ أَمامَهَــا

وَلا تَــدْفِنَنِّيْ نازِحــاً عَــنْ ضَــرِيْحِها
فَــإِنِّيْ لِيَــوْمِ الْحَــشْرِ أَبْغِــيْ الْتِزامَهــا

وَأَرْجُــوْ إِذا كُنَّــا عِظامــاً رَمِيْمَــةً
يُخَــالِطُ عَظْمِــيْ فِــيْ التُّــرابِ عِظَامَهَــا

لَعَــلَّ إِلَــهَ الْعَــرْشِ يَرْفَــعُ رُتْبَتِــيْ
بِهــا أَوْ يُعُلِّــيْ بِــيْ إِلَهِــيْ مَقَامَهــا

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن بشر - يعني: الحافي - قال: قال خيثمة رحمه الله تعالى: ادفنوني مع الفقراء والمساكين. فقيل لبشر: ما أراد بذلك؟ قال: التواضع، ويحشر معهم.

* * *



زيارة القبور مستحبة؛ لقولـه ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةِ الْقُبُوْرِ فَزُوْرُوْا الْقُبُوْرَ؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِيْ الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ». رواه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[1].

وقبور الصالحين أولى بالقصد بالزيارة للتبرك، والدُّعاء لهم وللداعي، ولمن شاء من إخوانه؛ فإن الدعاء عند قبورهم ترجى إجابته[2]،

(١) رواه ابن ماجه (١٦٧١)، وروى مسلم (١٩٧٧) قريباً منه عن بريدة.

(٢) قال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص: ٦٧): وزيارة القبور على وجهين؛ زيارة شرعية، وزيارة بدعية، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت، والدعاء له، كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعى له، سواء كان نبياً أو غير نبي، كما كان النبي ﷺ يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم» وهكذا ـ كان ـ يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة وغيرهم أو زار شهداء أحد. =

وقبور الأنبياء عليهم السَّلام أخص قبور الصالحين، ولا سيما قبر سيد المرسلين ﷺ.

وقد روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ زارَ قَبْرِيْ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِيْ»(١).

وقد تواتر قديماً وحديثاً عند أهل بغداد أن الدعاء عند قبر معروف الكرخي مستجاب، وأنه درياق مجرب(٢).

وذكر النووي أن الدعاء عند قبر الشيخ نصر المقدسي مستجاب، وهو بالقرب من قبر سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه بباب الصغير خارج دمشق(٣).

وكذلك اشتهر أن الدعاء مستجاب عند قبر الشيخ أرسلان بدمشق.

= وأما الزيارة البدعية فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء بـه، فهذا ليس من سنة النبي ﷺ ولا استحبه أحد من سلف الأمـة، بل هـو من البـدع المنهي عنها باتفاق سلف الأمة وأئمتها.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٩)، وكذا رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٧٨). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٦٧): طرق هـذا الحديث كلها ضعيفة، لكن صححه ابن السكن، وعبد الحق، والشيخ تقي الدين.

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣/ ٤٠٤).

(٣) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٤٢٦).

وكذلك عنـد قبـر الإمام الشافعي، وقبـر سيدي عمر بن الفارض بمصر، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

واعتقادي أن الدعاء مرجو الإجابة عند قبر كل عبد صالح.

ومما جربته أنا، وغيري: أن الدعاء مستجاب عند قبـر والدي شيخ الإسلام رضي الله تعالى عنه[1].

وقد أفاد هو ذلك قبل موته، وكان ذلك من باب الكشف، وخرق العادة، وذلك أنـه مات لـه ولد في طاعون سنة ثمانين وتسع مئة، كان اسمه محمداً أبا الطيب، مات وهو ابن سبع سنين، ومات وهو يقرأ

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتـاوى الكبرى» (٤/ ٣٦١): قول القائـل: الدعـاء مستجاب عنـد قبور الأنبياء والصالحين، قول ليس لـه أصل في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ، ولا قاله أحد من الصحابـة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين؛ كمالك، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيدة، ولا مشايخهم الذين يقتدى بهم؛ كالفضيل ابن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، وأمثالهم.

ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ المتقدمين من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، لا مطلقاً ولا معينـاً، ولا فيهم من قال: إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة، ولا أن الصلاة في تلك البقعة أفضل من الصلاة في غيرها، ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور.

القرآن، وكان آخر ما سمعوه منـه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢] بعد أن قرأ من أول سورة الفتح إلى آخر القرآن، ثم ابتدأ فقرأ الفاتحة، وأول البقرة إلى قوله تعـالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وقضى، فرثاه الشيخ رضي الله تعـالى عنه بقصيدتين لطيفتين؛ بائيـة، وجيمية، أفاد فيهما أن الدعاء عند قبره مستجاب.

ثم اتفق أن الشيخ لما توفي في شوال سنة أربع وثمانين وتسع مئة دفن عند قبر ولده المذكور، بحيث إن الزائر إذا وقف عند قبرهما مستقبل القبلة عند رأس الشيخ يقف على قبر ولده المذكور، والقبر بين يديـه، فظهر بذلك أن الشيخ إنما أفاد أن الدعاء عند قبر نفسه مستجاب، وهذه كرامة عظيمة لأن الشيخ لم يعين لنفسه موضعاً يدفن فيه، وإنما اتفق بعـد موته أنه حفر لـه موضع قبره الآن، ولم يكن إذ ذاك فيمن قام بأمـر الشيخ من بنيه لذلك أصلاً، ولا من كان ذاكراً لكلامه المذكور.

وعبارة الشيخ في القصيدة «البائية»، بعد أن ذكر ولده المذكور، ومحاسنه: [من المتقارب]

فَـإِنْ جُـزْتَ يَوْمـاً عَلَـىْ قَبْـرِهِ
تَوَقَّـفْ قَلِـيْلاً وَلا تَـذْهَبِ
تَـرَىْ النُّـوْرَ مِـنْ قَبْـرِهِ سـاطِعاً
بِقَلْبِـكَ وَالْعَـيْنُ كَالْكَوْكَـبِ

هُنَــــاكَ الـــــدُّعاءُ لَـــــهُ قُرْبَـــــةٌ
وَيُرْجَـــىْ بِـــهِ الْعَفْـــوُ عَـــنْ مُـــذْنِبِ

سَـــــعِدْتُ وَحَـــــقِّ إِلَهِـــــيْ بِـــــهِ
وَبِـــالْعَوْنِ فَـــضْلاً صَـــفا مَـــشْرَبِيْ

وقال رحمه الله تعالى في «الجيمية»: [من البسيط]

فَـــإِنْ أَتَيْـــتَ إِلَـــىْ قَبْـــرٍ حَـــواهُ فَقِـــفْ
وَاسْأَلْ إِلَهَكَ كَيْ يَقْضِـيْ لَـكَ الْحِوَجَـا

إِنَّ الـــدُّعَا عِنْـــدَهُ تُرْجَـــىْ إِجابَتُـــهُ
فَـلا تَكُـنْ عَـنْ حِمَـاهُ قَـطُّ مُنْعَرِجَـا

إِنَّ التَّوَسُّـــــلَ بِالـــــصُّلاَّحِ عُمْـــــدَتُنَا
ما خَابَ مَنْ لِحِماهُمْ فِيْ الْخُطُوْبِ لَجَا

وَالـــصَّالِحُوْنَ هُـــمُ الأَوْتَـــادُ سَـــادَتُنَا
وَالْعَـالِمُوْنَ غَـدَوْا فِـيْ دِيْنِنـا سُـرُجا

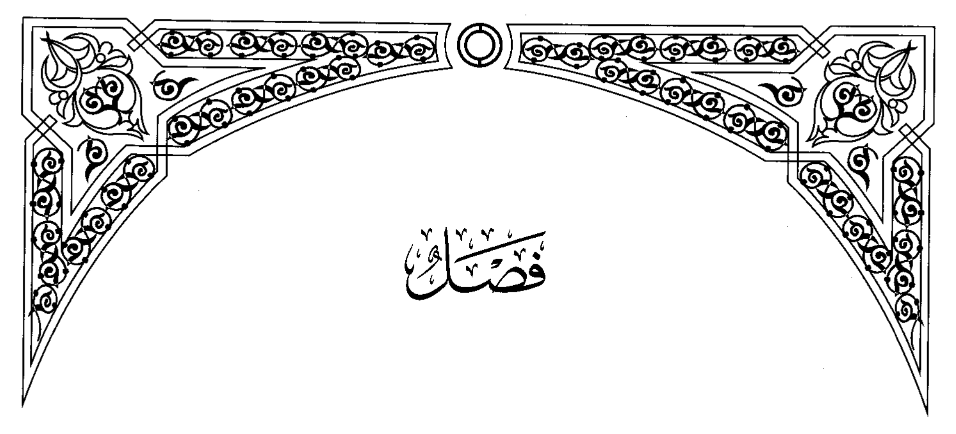
وَكَـمْ هَـدَوْا لِطَرِيْـقِ الْحَـقِّ مِـنْ بَـشَرٍ
وَمَـنْ عَـدَا الْفِئَتَـيْنِ اعْـدُدْهُمُ هَمَجَـا

وَمَـــنْ أَحَـــبَّهُمُ حَقّـــاً يُـــرَىْ مَعَهُـــمْ
أَوْ صـارَ فِيْ حِزْبِـهِمْ بِالْحُـبِّ مُنْدَرِجَـا

يــا رَبِّ إِنْ لَــمْ أَكُــنْ مِــنْهُمْ فَحُــبُّهُمُ

قَدْ صارَ وَسْطَ الْحَشا بِالْقَلْـبِ مُمْتَزِجَـا

* * *



وإذا زار قبور الصالحين فلا يمسح القبر، ولا يستلمه بيده، ولا يقبله، وما يفعله العوام من ذلك من المبتدعات المنكرة شرعاً ينبغي تجنب فعله، ونهي فاعله؛ نقله النووي عن أبي الحسن الزعفراني[1].

بل إذا قصد السلام على الميت وقف قبالة وجهه، فإذا أراد الدُّعاء تحول إلى القبلة.

قال النووي رحمه الله تعالى: واتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصَّلاح، أو غيره؛ لعموم الأحاديث.

قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: ويكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحاً، أو غيره.

قال الحافظ أبو موسى الأصفهاني: قال الإمام أبو الحسن الزَّعفراني: ولا يصلى إلى قبر، ولا عنده تبركاً وإعظاماً؛ لعموم الأحاديث[2].

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٥/ ٢٨١).

(٢) المرجع السابق.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مرثـد الغَنَـوي رضي الله تعالى عنـه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تَجْلِسُوْا عَلَىْ الْقبُوْرِ، وَلا تُصَلُّوْا إِلَيْهَا»[1].

وفي «الصحيحيـن» عن أبي هـريـرة رضي الله تعـالـى عـنـه: أن رسول الله ﷺ قال: «قاتَلَ اللهُ الْيَهُوْدَ؛ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ»[2].

وفيهما عن عائشة، وابن عباس ﷺ: أنه ﷺ قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىْ الْيَهُوْدِ وَالنَّصارَىْ؛ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ»[3].

لا يجوز إيقاد المصابيح والشموع على قبور الصالحين ليلاً، إلا أن يبيت هناك من ينتفع بالنور من الأحياء، وأما إيقادها نهاراً فأشد تحريماً، وليس من الكرامات اتقادهـا من غيـر صنيـع ظاهر، بل هو من خديعـة المزورين بوضع نفـط أو نحـوه، وإن لم يكن ذلك فليس من الكرامـة أيضاً، ويحتمل أن يكون من فعل الشيطان.

ويكره أو يحرم أن يقطـع الزائـر من ثوبـه قطعـة يعلقها على قبـر الصالح، أو على شجرة يتعارفها الناس بالتبرك بها، فيعلقون من أُثْوْرِهِمْ خرقاً يزخرف لهم الشيطان أنها تشهد له، أو نحو ذلك.

وقد روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والنسائي، وغيـرهم عن

---

(١) رواه مسلم (٩٧٢).

(٢) رواه البخاري (٤٢٦)، ومسلم (٥٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥٣١).

أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلت: يا رسول الله! اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفـار ذات أنواط، قال: وكان الكفـار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ! هَذَا كَمَا قَالَ بَنُـوْ إِسْرَائِيْلَ لِمُـوْسَـىْ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قـال: «إِنَّكُمْ تَرْكَبُوْنَ سَنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ»[1].

قلت: لو علمت العامة أن ما يفعلونـه من ذلك في شجرة أم عياش في طريق الحج وغيرها هذا أصله، وكانوا ممن ينتفع بعقله، لتركوا ذلك توبةً، لكنهم قوم يجهلون، ولا يحصل لهم من العلماء من ينهاهم عما يصنعون؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

وبقي هنـا فوائـد، ولطائـف، ومسـائل، ومعـارف هي متممة لهذا الباب.

*** فائِدَةٌ:**

ينبغي لمن طلب شيئاً من الله تعالى من ولد، أو زوجة، أو مال،

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢١٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٨٥)، وكذا رواه الترمذي (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح.

(٢) **ثمة كلمات غير واضحات في النسخة الخطية المرموز لها بـ «أ» بعد قولـه: «راجعون»، ويظهر لي أنها هكذا: «انتهى الجزء الأول»، ويتلوه في الثاني...».**
ثم جاء في الهامش: «بلغ مقابلة من أوله إلى آخره».

أو عطيـة، أو دار أن يسـأل الله أن يكـون صالحـاً مباركـاً لا فتنـة فيـه، ويسأل الله تعالى العافية فيه؛ ألا ترى أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما طلب الولد طلبـه صالحاً، فقال الله تعالى حكايـة عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[الصافات: ١٠٠]؛ أي: ولداً من الصالحين.

وقال تعالى حكاية عن زكريا عليـه السـلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦].

وقـال تـعـالـى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ٣٨ ـ ٣٩].

قال السُّدي في قوله ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران: ٣٨]: يقول: مباركة. رواه ابن أبي حاتم(١).

وأخرج عن محمـد بن كعـب ﷺ قال: قال داود عليـه السـلام: يا رب! هب لي ابناً، فولد له ابنٌ خرج عليه، فبعـث إليـه داود جيشاً، فقال: إن أخذتمـوه سليماً فابعثـوا إليَّ رجـلاً أعرف السـرور [أو قال: البِشْر] في وجهه، وإن قتلتموه فابعثوا إليَّ رجلاً أعرف الشر في وجهه.

فقتلوه، فبعثوا رجـلاً أسودَ، فلما رآه علم أنـه قتـل، فقال: رب! سألتك أن تهب لي ابناً، فوهبت لي ابناً فخرج عليَّ!

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٨١).

قال: إنك لم تَستثْنِ.

قال محمد بن كعب: لم يقل كما قال زكريا: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٦][1].

وقال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥].

طلب المغفرة قبل الملك، ومن لوازم المغفرة حصول العافية في الملك.

وقال البخاري: باب: الدعاء بكثرة المال[2] مع البركة[3].

ثم قال: باب: الدعاء بكثرة الولد مع البركة[4].

ثم روى في البابين حديث أنس رضي الله عنه عن أم سُليم رضي الله تعالى عنها ـ وهي أم أنس ـ أنها قالت: يا رسول الله! أَنَسُ خادمك؛ ادع الله له، فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبارِكْ لَهُ فِيما أَعْطَيْتَهُ»[5].

أين هذا من دعاء أهل الغفلة وسؤالهم شيئاً مما ذكر من غير تعرض لسؤال الله تعالى العافية فيه والبركة.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٨١).

(٢) في «صحيح البخاري» زيادة: «والولد».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٤٤).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٤٥).

(٥) رواه البخاري (٦٠١٧)، وكذا مسلم (٢٤٨٠).

وأشد من ذلك من يدَّعي أنه إذا أوتي شيئاً من ذلك أصلح فيه من غير أن يقول: إن شاء الله، أو: لا حول ولا قوة إلا بالله، وربما عاهد الله على ذلك، وجزم به من نفسه!

ويفرق بين النيـة والدعـوى في ذلك؛ فإن من نوى إذا أعطـاه الله شيئاً من ذلك أن يتقي الله فيه، يعتمد في ذلك على معونة الله، ويرضى فيه بمشيئة الله، ومن ادعى الإصلاح والإحسان فيما يُعطى يعتمد فيه على حوله وقوته، والنية شأن المؤمنين، والدعوى خُلُق المنافقين.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[التوبة: ٧٥ ـ ٧٨].

* **فائِدَةٌ ثانِيَةٌ:**

ينبغي التسمية بأسماء الصالحين تفاؤلاً، وتحسين التسمية بتغيير الاسم القبيح؛ فالاسم الحسن سنة معروفة.

روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم، والترمذي عن المغيرة ابن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾[مريم: ٢٨] وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أَدرِ ما أجيبهم به حتى رجعت إلى النبي ﷺ،

فقال: «إِنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيائِهِمْ، وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»(١).

وروى ابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ قَوْمٍ يَكُونُ فِيهِمْ رَجُلٌ صالِحٌ فَيَموتُ فَيَخلفُ فِيهِمْ مَولودٌ فَيُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ إِلاَّ خَلَفَهُمُ اللهُ تَعالَى بِالْحُسْنَى»(٢).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الوُجُوهِ، وَتَسَمَّوْا بِخِيارِكُمْ، وَإِذا أَتاكُمْ كَرِيْمُ قَومٍ فَأَكْرِمُوهُ»(٣).

وذكر الحاكم في «تاريخه» عن محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى: أنه كان يتمنى على كبر سنه أن يولد له.

قال الحاكم: فبينا أنا عنده يوماً وإذا برجل من أصحابه، وقد جاء وسارَّه في أذنه، فرفع رأسه وقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾[إبراهيم: ٣٩]، ثم مسح وجهه بباطن كفه، ورجع إلى ما كان فيه.

قال الحاكم: فرأينا أنه استعمل في هذه الكلمة ثلاث سنن: تسمية

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٠١٩)، ومسلم (٢١٣٥)، والترمذي (٣١٥٥).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٤٤).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ١٨٤). وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك، كما في «الضعفاء» للعقيلي (٢/ ١٢١).

الولد، وحمد الله على الموهبـة، وتسميته إسماعيل لأنه ولد على كبر سنه.

وقال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]، انتهى[1].

قلت: ومما اتفق لشيخ الإسلام الوالد من اللطائف ـ وقد بُشِّر بولد على كبر سنه ـ قوله: [من مجزوء الرجز]

قَـــدْ بَـــشَّرُونِي بِغُـــلامٍ   قُلْـــتُ إِذْ صَـــحَّ الْخَبَـــرْ
الْحَمْـــــدُ لِلَّـــــهِ الَّـــــذِي   وَهَـــبَ لِـــي عَلَـــى الكِبَـــرْ

* فائِدَةٌ ثالِثَةٌ:

من الأمور الميسِّرة للعبـد بسلوك طريق الصالحين والتشبـه بهم: ما رواه البخاري في «تاريخـه»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ أَغاثَ مَلْهُوفاً كَتَبَ اللهُ لَهُ ثلاثاً وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً؛ واحِـدَةٌ فِيها صَلاحُ أَمْرِهِ كُلِّهِ، وَثِنْتانِ وَسَبْعونَ لَـهُ دَرجاتٌ فِي الْجَنَّةِ»[2].

وروى أبو نعيم عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال: من

---

(١) وانظر: «المنتظم» لابن الجوزي (١٣/ ٥٥)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٥٠) وقال: كان شعبة يتكلم في زياد ابن حسان، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧٠) واللفظ له.

قدر على بطنه قدر على دينـه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينـه من قِبَلِ بطنـه فذاك رجل من العابدين أعمى[1].

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: قال داود عليه السلام: معاشر الأنبياء[2]! تعالوا أعلمْكم خشية الله؛ أيما عبد منكم أحب أن يحيا ويرى الأعمال الصالحة فليحفظ عينه أن تنظر إلى السوء، ولسانه أن ينطق بالإفك، عين الله إلى الصديقين، وهو يسمع لهم[3].

وفي كتـاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

قال الحسن: سديداً: صدقاً. رواه الفريابي، وعبد بن حُميد[4].

وقال [قتادة]: عدلاً. رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٧).

(٢) في «حلية الأولياء»: «الأتقياء» بدل «الأنبياء».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٩).

(٤) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٧٨).

(٥) رواه الطـبـري في «التفسيـر» (٢٢/ ٥٣)، وابـن أبي حـاتم في «التفسـير» (١٠/ ٣١٥٨).

وروى هؤلاء، وابن أبي شيبة عن عكرمة في الآية قال: قولوا: لا الله إلا الله[1].

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» عنه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[2].

فالتقوى، والعدل، والصدق، وذكر الله تعالى أعظم مُعين على تحصيل مقام الصالحين.

وروى ابن أبي الدنيا في «التقوى» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما قام رسول الله ﷺ على المنبر إلا سمعته يقول: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب: ٧٠]»[3].

وروى سمُّويه في «فوائده» عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب الناس، أو علَّمهم لا يَدَعُ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١][4].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٥٨).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢١٨).

(٣) كذا عزاه ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥٢٢) إلى ابن أبي الدنيا، وقال: غريب جداً، ورواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٣٥٠).

(٤) وورواه الروياني في «مسنده» (١٠٦٠)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٦٧).

* **فائِدَةٌ رابِعَةٌ:**

قال الدينوري في «المجالسة»: حدثنا عبدالله بن مسلم بن قتيبة قال: بلغني أن الصالحين كانوا يستنجحون[1] حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما: اللهم إني بك أستفتح، وبك أستنجح، وبمحمد ﷺ إليك أتوجه، اللهم ذلِّل لي صعوبته، وسهل لي حزونته، وارزقني من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف[2].

قلت: دل هذا الأثر على أن التوجه بالنبي ﷺ، والتوسل به إلى الله تعالى سنة قديمة من سنن الصالحين، فلا عبرة بمن أنكر ذلك من المحجوبين.

وقد ألف ابن النعمان في هذه المسألة كتاباً هاماً سماه «مصباح الظلام في التوسل بالنبي عليه [الصلاة و] السلام».

وما أحسن قول شيخ الإسلام والدي رحمه الله تعالى في قصيدة استغاث فيها بالله ﷻ، وتوسل إليه بالنبي ﷺ في حادثة: [من الطويل]

فَغَوْثِيَ مِنْهَا اللهُ ثُمَّ وَسِيلَتِي
مُحَمَّدٌ الْهادِي إِلَى رَبِّنَا العَلِي

---

(١) في «م» و«ت» و«أ»: «يستنتجون».

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٨٦)، وانظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ٣٢١).

فَلَـــيْسَ علـــى غَيْـــرِ الإلَـــهِ تَـــوَكُّلِي
وَلَـــيسَ بِغَيـــرِ الْهاشِـــمِيِّ تَوَسُّـــلِي

* تَنْبِـيهٌ:

قد سبق أن الآثار من الدعاء من الفضائل التي يتجمل بها الصالحون، فلا يقتصرون من الدعاء في حوائجهم على ما ذكر، بل هم إلى الدعاء في مهماتهم يفزعون، وإلى الله تعالى في كل أمورهم يَضْرعون، وبابه دون باب غيره يقرعون، وربما أُلهموا من الدعاء ما لم يجر على ألسنة غيرهم من البشر.

فلذلك كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يدعو بهـذه الدعوات بعد التشهد: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، إني أسألك خير ما سألكَ عبادُك الصالحون، وأعوذ بك من شر ما عاذ بك منه عبادك الصالحون.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٤]. رواه ابن أبي شيبة[1].

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٥٨).

فإذا علمت أن الله تعالى قد يجري على لسان بعض عباده الصالحين ما لم يجر على لسان غيره من الدعاء والاستعاذة؛ فإذا سألت الله من خير ما سأله منه عباده الصالحون، واستعذت من شر ما استعاذ منه عباده الصالحون؛ فقد توصلت بذلك إلى طلب خير كثير، والتعوذ من شر كثير.

ومن هذا القبيل في التوصل إلى طلب جوامع الخير، والعياذ من جوامع الشر: ما رواه ابن أبي شيبة، وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ علمها هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عاجِلِهِ وَآجِلِهِ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وَما لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عاجِلِهِ وَآجِلِهِ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وَما لَمْ أَعْلَمْ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَما قَرَّبَ إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَما قَرَّبَ إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيراً»(١).

وقوله «ما سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ» فيه وجهان:

الأول: أن المراد به النبي ﷺ، وهو المتبادر.

والثاني: أن المراد به جنس العباد والأنبياء؛ لأن الجنس إذا أضيف إلى معرفةٍ شَمَلَ كل فرد منه، والمراد خواص العباد والمضافين إلى الله

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٤٥)، وابن ماجه (٣٨٤٦).

تعالى إضافة الخصوصية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[الحجر: ٤٢].

وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الحجر: ٤٩].

وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[الزمر: ١٦].

وعلى هذا الوجه فالمعنى: أسأل الله تعالى من كل خير سأله إياه عبد صالح أو نبي، والعياذ من كل شر عاذ منه نبي أو عبد صالح؛ فافهم!

* **فائِدَةٌ خامِسَةٌ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى - مرسلاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لابنه: يا بُني! إِنِّي مُوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ، وَقاصِرُها عَلَيْكَ حَتَّى لا تَنْساها؛ أُوْصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ.

فَأَمَّا اللَّتانِ أُوْصِيكَ بِهِما فَإِنِّي رَأَيْتُهُما يُكْثِرانِ الوُلُوجَ عَلى اللهِ ﷻ، وَرَأَيْتُ اللهَ ﷻ يَسْتَبْشِرُ بِهِما وَصالِحُ خَلْقِهِ؛ قَوْلُ: سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّها صَلاةُ الْخَلْقِ، وَبِها يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَقَوْلُ: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ السَّمواتِ وَالأَرَضِينَ لَوْ كُنَّ حَلقةً لَقَصَمَتْها، وَلَوْ كُنَّ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ.

وَأَمَّا اللَّتانِ أَنْهاكَ عَنْهُما فَالشِّرْكُ وَالْكِبْرُ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ شِرْكٍ أَوْ كِبْرٍ فَافْعَلْ»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥١).

قوله «وَرَأَيْتُ اللهَ يَسْتَبْشِرُ بِهِما»؛ أي: يرضى بهما هو وصالح خَلقِه.

ومعنى استبشار صالح الخلق بهما، أنهم إذا أُلهموها سُرُّوا بها، واستبشروا بثوابها لثقلها في الميزان كما في حديث «الصحيحين»[1]، أو لاشتمالها على التنزه والشكر؛ فالتنزيه ثوابه طهارة نفس المنزه وتقديسها، والشكر ثوابه مزيد النعمة، فاستبشارهم بذلك.

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه ـ وحسنه ابن حجر في «أماليه» ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذا أَساؤُوا اسْتَغْفَروا»[2].

❐ ❐ ❐

---

(١) روى البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٢٩)، وابن ماجه (٣٨٢٠).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تابع

(١)

باب

التشبه بالملائكة عليهم السلام

١٤٠ ـ ومن أخلاق الملائكة عليهم السلام: البكاء من خشية الله تعالى ٧
١٤١ ـ ومنها: الخضوع، والخشوع ٩
١٤٢ ـ ومنها: التلطُّف بأهل الشَّام، وإرادة الخير لهم، ودفع السوء عنهم ١٠
١٤٣ ـ ومنها: حضور مجالس العلم ١١
١٤٤ ـ ومنها: ختم المجالس بالتسبيح والتحميد ١٣
* فصل: في الترقي بالذات واللحاق بالملائكة في صفاتهم وأخلاقهم ١٥
* فصل: في جواز رؤية الملائكة ٢٣
ـ فائدة ٢٨

الموضـــوع	الصفحة

- فائدة أخرى ٢٩
- مسألة: هل تجوز المعصية على الملائكة - عليهم السَّلام - أم لا؟ ٣١
* فصل ٤٠
* فصل ٤٩
خاتمة في لطائف تتعلق بهذا الباب ٦٩

(٢)

بَابُ

ٱلتَّشَبُّهِ بِٱلْأَخْيَارِ مِنْ بَنِي آدَمَ

* فصل: أخلاق الأصناف الأربعة الذين أنعم الله عليهم مجتمعة في النبي ﷺ ١٢٤
* فصل ١٢٩
* فصل ١٣١
* فصل ١٣٨
* فصل ١٤٦

(٣)

بَابُ

ٱلتَّشَبُّهِ بِالصَّالِحِيْنَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ

* فصل ١٦١
- تنبيه ١٨٥

الموضـــوع	الصفحة
ـ تتمة	١٨٦
ـ تنبيه	١٩٢
* فصل	٢٠٥
من خلال الصالحين:	
١ ـ فمنها: الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأفعال	٢١٣
٢ ـ ومنها: التوبة	٢١٦
٣ ـ ومنها: الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى قضائه	٢١٧
٤ ـ ومنها: الرضا بقضاء الله تعالى	٢١٨
٥ ـ ومنها: الصدق	٢١٩
٦ ـ ومنها: المراقبة	٢٢٠
٧ ـ ومنها: الشكر	٢٢٠
٨ ـ ومنها: السجود شكراً عند هجوم نعمة، واندفاع نقمة، ورؤية مبتلى	٢٢١
٩ ـ ومنها: التقوى	٢٢٢
ـ تنبيه	٢٢٣
١٠ ـ ومنها: الإحسان	٢٢٣
ـ تنبيه	٢٢٤
١١ ـ ومنها: اليقين	٢٢٤
١٢ ـ ومنها: التوكل	٢٢٥
١٣ ـ ومنها: التفكر في مصنوعات الله تعالى وفي نعمه، دون التفكر في ذاته	٢٢٧

الموضــــوع	الصفحة
١٤ ـ ومنها: الاستقامة	٢٢٩
١٥ ـ ومنها: المبادرة إلى الخيرات	٢٣٠
١٦ ـ ومنها: المجاهدة للكفار، وللنفس، والشيطان	٢٣٠
١٧ ـ ومنها: المصابرة في الحرب، وعدم الفرار	٢٣١
١٨ ـ ومنها: الازدياد من الخير وخصوصاً في آخر العمر	٢٣٢
١٩ ـ ومنها: الاقتصاد في العبادة	٢٣٣
٢٠ ـ ومنها: المحافظة على الأعمال، والمداومة عليها	٢٣٣
ـ تنبيه	٢٣٤
٢١ ـ ومنها: الأخذ بالرخص في محالِّها	٢٣٥
٢٢ ـ ومنها: المحافظة على السنة، وآدابها	٢٣٧
٢٣ ـ ومنها: الانقياد لحكم الله تعالى	٢٣٨
٢٤ ـ ومنها: إحياء السنة، والدلالة على الخير، والتعاون على البر والتقوى	٢٣٨
٢٥ ـ ومنها: حفظ اللسان والصمت إلا عن خير	٢٣٩
٢٦ ـ ومنها: النصيحة	٢٤١
٢٧ ـ ومنها: العدل في الحكم، وفي سائر ما يطلب فيه العدل	٢٤٢
٢٨ ـ ومنها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر	٢٤٢
٢٩ ـ ومنها: موافقة القول العمل	٢٤٣
٣٠ ـ ومنها: أداء الأمانة	٢٤٥
ـ تنبيه	٢٤٦

الموضـــوع	الصفحة
٣١ ـ ومنها: تعظيم حرمات المسلمين، والشفقة عليهم، ورحمة من أمر برحمته من خلق الله تعالى	٢٤٧
٣٢ ـ ومنها: ستر عورات المسلمين	٢٤٨
٣٣ ـ ومنها: قضاء حوائج المسلمين	٢٤٩
٣٤ ـ ومنها: الشفاعة إلا في حدود الله تعالى، أو في إضاعة حق	٢٥٠
٣٥ ـ ومنها: الإصلاح بين النَّاس	٢٥٠
٣٦ ـ ومنها: إيثار صحبة الفقراء، والتواضع لهم	٢٥١
٣٧ ـ ومنها: ملاطفة اليتيم، والبنات، وسائر الضعفة، والمساكين، والمنكسرين، والإحسان إليهم	٢٥١
٣٨ ـ ومنها: التلطف بالمرأة، وتحسين الخلق معها، واحتمال الأذى منها	٢٥٣
٣٩ ـ ومنها: الرفق بالخادم، والتلطف به، والإحسان إليه	٢٥٥
٤٠ ـ ومنها: النفقة على العيال	٢٥٦
٤١ ـ ومنها: الصدقة، وخصوصاً مما يحب	٢٥٧
ـ تنبيه	٢٥٩
ـ تنبيه آخر	٢٥٩
٤٢ ـ ومنها: تعليم الأهل والأولاد الأدب، وأمرهم بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن معصية الله، وتعليمهم ما يحتاجون إليه من ذلك	٢٦٠
٤٣ ـ ومنها: رعاية حق الجار	٢٦١

الموضـــوع	الصفحة
ـ لطيفة	٢٦١
٤٤ ـ ومنها: بر الوالدين، وصلة الأرحام	٢٦٢
٤٥ ـ ومنها: برُّ أصدقاء الأب، والأم، والأقارب، وسـائر من يندب بره، وإكرامه	٢٦٣
٤٦ ـ ومنها: إكرام آل بيت النبي ﷺ	٢٦٣
٤٧ ـ ومنها: محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم	٢٦٥
٤٨ ـ ومنها: توقير العلماء، والأكابر، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفـع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، والترحم على من مات منهم، والاستغفار لهم	٢٦٧
٤٩ ـ ومنها: زيارة أهل الخير، ومجالستهم، وصحبتهم، ومحبتهم، وطلب زيـارتهم، وطلب الدعـاء منهم	٢٦٩
٥٠ ـ ومنها: الحب في الله، والحث عليه	٢٦٩
ـ تنبيه	٢٧٠
ـ تنبيه: خصال السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة كلها من خصال الصالحين	٢٧٢
٥١ ـ ومنها: أنهم إذا تآخوا في الله تعالى تعارفوا بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وبلدانهم لأداء الحقوق	٢٨٠
٥٢ ـ ومنها: إخبار العبد من يحب بأنه يحبُّه	٢٨١
٥٣ ـ ومنها: البغض في الله، والعداوة في الله؛ أي: لأجله ...	٢٨٢
٥٤ ـ ومنها: إجراء أحكام الناس على الظاهر، وكِلَةُ سرائرهـم إلى الله تعالى	٢٨٤

الموضـــوع	الصفحة
٥٥ ـ ومنهـا: الخـوف، والرجاء، واعتدالهما، أو ترجيح الخوف إلا عند الموت، فيرجح الرَّجاء	٢٨٤
ـ لطيفة	٢٨٦
٥٦ ـ ومنها: البكـاء من خشيـة الله تعالى، أو شـوقـاً إلى لقائـه، وخصوصاً عند تلاوة القرآن	٢٨٧
ـ تنبيه	٢٨٩
٥٧ ـ ومنها: الحزن على ما فات من معصية، أو تقصير، أو فَزَعاً من عذاب الله، وفَرَقاً من أهوال يوم القيامة	٢٩٠
ـ تنبيه	٢٩٢
٥٨ ـ ومنها: حسن الظن بالله تعالى لاسيما عند الموت	٢٩٤
٥٩ ـ ومنها: الورع، وترك الشبهات	٢٩٥
٦٠ ـ ومنها: الزهد في الدنيا، وإيثار التقلل منها، وإيثار الفقر على الغنى، وحمل النفس على الرضى بما قسم لها، والنظر إلى من هو دونها في الدنيا، وإلى من هو فوقها في عمل الآخرة	٢٩٨
ـ تنبيه	٣٠١
٦١ ـ ومنها: إيثار الجوع وخشونة العيش، والاقتصار على اليسير من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس	٣٠٢
٦٢ ـ ومنها: القناعة والاقتصاد في المعيشة والنفقة والتعفف عن السؤال من غير ضرورة	٣٠٣
ـ تنبيه	٣٠٦

الموضـــوع	الصفحة
٦٣ ـ ومنها: قبول ما يفتح الله به من غير سؤال ولا تطلُّع نفس	٣٠٧
ـ تتمة	٣٠٨
٦٤ ـ ومنها: الأكل من عمل اليد، والكسب الطيب	٣٠٨
ـ تنبيه	٣١٠
٦٥ ـ ومنها: الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى	٣١١
لَطائِفُ	٣١٣
ـ تنبيه	٣١٥
٦٦ ـ ومنها: الإيثار، والمواساة	٣١٦
٦٧ ـ ومنها: التواضع وخفض الجناح	٣١٩
٦٨ ـ ومنها: التنافس في أمور الآخرة، والاستكثار مما يتبرك به ..	٣٢٠
ـ فائدة: الفرق بين الحسد والمنافسة	٣٢٠
٦٩ ـ ومنها: أخذ المال من وجهه، وصرفه في وجوهه المأمور بها شرعاً	٣٢١
٧٠ ـ ومنها: الإكثار من ذكر الله تعالى، والرغبة في مجالس الذكر، والتنزه عن مجالس اللهو والظلم وذكر الدُّنيا	٣٢٣
٧١ ـ ومنها: الإكثار من ذكر الموت، وقصر الأمل	٣٢٥
٧٢ ـ ومنها: زيارة القبور للرجال، والسَّلام على سكانها	٣٢٨
٧٣ ـ ومنها: قيام الليل، والتهجد، وهو الصلاة بعد رقدة	٣٢٩
ـ تنبيه: الذنوب سبب لحرمان قيام الليل	٣٣٢

الموضـــوع	الصفحة

٧٤ ـ ومنها: استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو الخوف من الفتنة في الدين، والوقوع في حرام أو شبهة ٣٣٢

٧٥ ـ ومنها: التفرغ للعبادة، علماً، وعملاً، ونية ٣٣٤

٧٦ ـ ومنها: الاختلاط بالناس لحضور جمعهم وجماعاتهم، ومشاهـد الخيـر، ومجالس الذِّكـر معهم، وغير ذلك ٣٣٥

* فصل ٣٤٢

* فصل ٣٤٥

من الآداب الشرعية ما ذكره النووي في رياض الصالحين:

١ ـ الحياء ٣٥٢

٢ ـ ومنهـا: إنجـاز الوعـد، وحفـظ العهد، ويدخل فيه صيانة الأسرار ٣٥٥

ـ تنبيه ٣٥٦

٣ ـ ومنها: المحافظة على ما اعتاده من الأوراد ٣٥٧

٤ ـ ومنها: الحِلْم وكظم الغيظ واحتمـال الأذى والعفـو عن الناس والصفح الجميـل عنهم والإحسان إليهم والإعراض عن الجاهلين ٣٥٩

٥ ـ ومنها : حسن الخلق ٣٦١

٦ ـ ومنها: الرفق ٣٦٢

٧ ـ ومنها: الأناة، والتُّؤَدَةُ ٣٦٤

٨ ـ ومنها: قِرَى الضيف، وإكرامه، والبشاشة في وجهـه، وطيب الكلام، وطلاقة الوجه عند اللقاء ٣٦٦

الموضـــوع	الصفحة
٩ ـ ومنها: الوعظ، والاقتصاد فيه، والاستنصات فيه، وتفهمه للسَّامع	٣٦٨
ـ تنبيه	٣٦٩
١٠ ـ ومنها: الخشوع والخضوع بين يدي الله تعالى، والسكينة والوقار، خصوصاً في إتيان الصَّلاة وطلب العلم	٣٦٩
١١ ـ ومنها: إهداء الهدية وقبولها، ما لم تكن رشوة، والمكافأة عليها، وإتحاف الصديق والقريب بالشيء، وإعطاء ولده الشيء إذا دخل عليك	
١٢ ـ ومنها: إدخال السرور على قلوب المؤمنين، والتودد إليهم، والتردد إلى إخوانه منهم من غير إذلال لنفسه في طلب دنيا	٣٧٧
١٣ ـ ومنها: التهنئة، والتبشير بالخير لإخوانه المؤمنين	٣٧٩
١٤ ـ ومنها: تنفيس كروب المسلمين، وقضاء حوائجهم، وستر عوراتهم، وتعزيتهم في مصائبهم	٣٨١
١٥ ـ ومنها: تنحية الأذى عن طريق المسلمين	٣٨١
١٦ ـ ومنها: كف الإنسان أذاه عن الناس	٣٨٢
١٧ ـ ومنها: اصطناع المعروف على أنواع؛ كالقرض، وقيادة الأعمى، وإسماع الأصم، ومساعدة المسلم على حمل حاجته، وقضائها، وتحميل دابته، وإمساك الركاب له، ونحو ذلك	٣٨٣
١٨ ـ ومنها: وداع الصاحب عند فراقه لسفر، أو غيره، والدعاء له، وطلب الدعاء منه	٣٩٩

الموضــــوع	الصفحة
١٩ ـ ومنها: الاستخارة، والمشاورة	٤٠٠
ـ تنبيه	٤٠١
٢٠ ـ ومنها: الذهاب إلى العيد والحج والجنازة ونحوها من طريق والرجوع من طريق آخر	٤٠٢
٢١ ـ ومنها: تقدم اليمين فيما هو من باب التكريم، واليسار في ضد ذلك	٤٠٣
٢٢ ـ ومنها: المحافظة على آداب الوضوء، والطهارة، ودخول الخلاء	٤٠٤
٢٣ ـ ومنها: المحافظـة على آداب الطعـام والشراب	٤٠٥
٢٤ ـ ومنها: إفشاء السلام، والبداءة به	٤٠٦
* فصل	٤٠٩
ـ جمـلة من الفضائل ذكـرها النـووي رحمـه الله تعالى في رياض الصالحين	٤١٣
ـ تنبيه	٤١٩
فوائد التشبه بالصالحين: الفائدة الأولى: ولاية الله تعالى	٤٢١
الفائدة الثانية: ولاية النبي ﷺ	٤٢٢
الفائدة الثالثة: فوز العبد بالمرتبة العظيمة التي محلها في القرآن العظيم بين جبريل وبقية الملائكة عليهم السلام بعد الاقتران باسم الله تعالى	٤٢٣
الفائدة الرابعة: الدخول في رحمة الله تعالى	٤٢٤

الموضـــوع	الصفحة
الفـائدة الخامسـة: حفـظ العبـد في نفـسه، وأولاده، وأهله، وعشيرته، وجيرانه	٤٢٥
- **تنبيهان**: **الأول**: أن العبد إذا تشبه بالصالحين، تعدى خيره إلى ولده وأهله وعشيرته وجيرانه	٤٢٧
التنبيه الثاني: لا يجب على الله تعالى شيء، وأنه سبحانه وتعالى له الاختيار فيما يتفضل به على عباده	٤٢٨
- **الفائدة السادسة**: إن العبد الصالح إذا استرعي على رعية أعانه الله تعالى على رعايتها، ووفقها لطاعته	٤٣٣
- **الفائدة السابعة**: إدخال السرور على قلوب الأبوين والأقارب في قبورهم بصلاح الولد والقريـب	٤٣٥
- **الفائدة الثامنة**: أن الصالحين لا تقوم عليهم الساعة، ولا يقاسون أهوال قيامها، ويثبتهم الله في القبور، وينجيهم على الصراط	٤٣٧
- **تنبيه**: ذهاب الصالحين قبل قيام الساعة فيه راحة لهم، لكن فيه فوات خيرهم لمن يبقى بعدهم	٤٣٩
- **تنبيه آخر**: البلاء رحمة للصالحين، وطهرة لهم	٤٣٩
- **الفائدة التاسعة**: النعيم في القبر، والسلامة من فتنته، وذب الأعمال الصالحة عن العبد الصالح فيه	٤٤١
- **الفائدة العاشرة**: تنعم الصالح في الدنيا بمعرفة الله تعالى، وفي الآخرة برؤيته سبحانه، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر	٤٤٢
- **الفائدة الحادية عشرة**: أن الصلاح يكسب العبد الشرف في الدنيا والآخرة	٤٤٥

الموضــــوع	الصفحة
ـ **الفائدة الثانية عشرة:** مقارنة الصالحين في الجنة، ومرافقتهم	٤٤٦
ـ **الفائدة الثالثة عشرة:** أن الله تعالى يلحق بالعبد الصالح في رتبته من هو دونه في الرتبة من ولد، أو والد، أو زوج	٤٤٧
ـ **تنبيه:** يدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء	٤٤٩
ـ **تتمة:** أولاد المؤمنين تبع خير آبائهم	٤٥٠
ـ **فائدة:** مقام فاطمة رضي الله عنها أرفع من مقام بعلها	٤٥٠
ـ **الفائدة الرابعة عشرة:** أن الصالحين تفتخر بهم البقاع، وإذا ماتوا بكت عليهم مجالسهم من الأرض، ومهابط أرزاقهم من السماء، ومصاعد أعمالهم منها	٤٥١
ـ **الفائدة الخامسة عشرة:** الحياة الطيبة	٤٥٤
ـ **الفائدة السادسة عشرة:** ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾	٤٥٥
ـ **الفائدة السابعة عشرة:** أن الله تعالى يلقي محبة الصالحين في قلوب الخلق إلا من شذ منهم	٤٥٧
ـ **الفائدة الثامنة عشرة:** هداية الصالحين في الدنيا إلى عمل الخير، وفي الآخرة إلى مستقراتهم من الجنة	٤٥٩
ـ **الفائدة التاسعة عشرة:** أن الصالحين يرفعون إلى جنة الفردوس، والدرجات العلى	٤٥٩

الموضـــوع	الصفحة

- الفائدة التي بها تمام عشرون فائدة: الفلاح؛ وهو الفوز بالخير في الدنيا؛ ومنه استجابة الدعاء ٤٦١
- تنبيه لطيف ٤٦٢
* فصل ٤٦٤
* فصل ٤٦٦
* فصل ٤٦٩
- تنبيه ٤٧٧
* فصل ٤٧٨
- صلاح المرأة للدنيا أعم من أن تكون إلى دنياه أو دنياها، وذكر صلاحيتها لذلك ٤٨٧
- تنبيه لطيف ٥٠٠
* فصلٌ ٥٠٤
* فصلٌ ٥١٣
- تتمة ٥٢٥
* فصلٌ ٥٢٩
- تنبيهٌ ٥٣٨
* فصلٌ: في استحباب طلب الدعاء من الصالحين ٥٣٩
* فصلٌ: في استحباب تحنيك الصالحين للمولود عند ولادته ٥٤٣
* فصلٌ: في التبرك بآثار الصالحين ٥٤٦
* فصلٌ: في التحذير من بغض الصالحين وإيذائهم ٥٥٠

الموضـــوع	الصفحة
* فصلٌ: في استحباب مجاورة الصالحين ومخالطتهم	٥٥٢
* فصلٌ: في استحباب زيارة القبور	٥٥٥
* فصلٌ: في منكرات زيارة القبور	٥٦١
ـ فائدةٌ: في سؤال الله تعالى الأشياء الصالحة والطيبة	٥٦٣
ـ فائدةٌ ثانية: في استحباب التسمية بأسماء الصالحين، وتغيير الأسماء القبيحة	٥٦٦
ـ فائدةٌ ثالثة: في ذكر بعض الأمور الميسِّرة للتشبه بالصالحين	٥٦٨
ـ فائدةٌ رابعة: في التوسل بالنبي ﷺ	٥٧١
ـ تنبيهٌ	٥٧٢
ـ فائدةٌ خامسة: في وصية نوح ـ عليه السلام ـ لابنه	٥٧٤
* فهرس الموضوعات	٥٧٧

